شرح
كتاب التوحيد

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لشرح سماحته

كتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الأول

شَرح

كِتَابِ التَّوحِيدِ

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٧هـ.

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم
شرح كتاب التوحيد. / آل الشيخ، محمد بن إبراهيم؛ القاسم، عبد المحسن بن محمد- ط١ . . - المدينة المنورة، ١٤٤٧هـ.
٤٩٢ص؛ ١٧ × ٢٤سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٣٩٧٣
ردمك: ٣-٤٤٣٥-٠٦-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

شرح
كتاب التوحيد

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩ هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لشرح سماحته

كتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١ هـ)

حققه ابنه

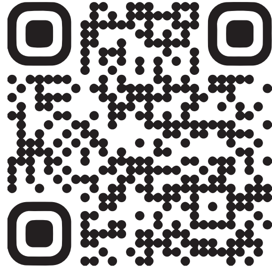
د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الأول

يُمكنُ الاطِّلاع وتَحميلُ جميع إصدارات المحقِّق على الرَّابط:

a-alqasim.com/books/



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ العِلْمَ نُورٌ وهدىً للعالمين، وهو ميراث النُّبوَّة، وبه الرِّفعة لأهله في الدَّارين، وهو المُوصِل لرضوان اللَّه وجَنَّته.

وأشرف العلوم ما يُصَحِّح به المرءُ اعتقادَه، فيستقيم للعبد دِينه، ويظفر بصراط اللَّه المستقيم؛ ولهذا كانت العقيدة الصَّحيحة تعلُّماً وتعليماً وتأليفاً وذبّاً ونُصْحاً ودعوةً؛ أُولى أَوْلَويَّات العلماء الرَّاسخين من السَّابقين واللَّاحقِين.

وقد أَوْلَاها سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جُلَّ اهتمامه، فعَكَف على تدريسها أكثر من أربعين عاماً، ومن متون العقيدة التي أعاد شرحها مِراراً: «**كتاب التَّوحيد**» للإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأه الوالد الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ عليه ستَّ مرات.

وكان سماحة الشَّيخ يشرحه، والوالد يُقيِّد شرحه عليه كاملاً في كلِّ مرَّة، فتكرَّرت كتابته لهذا الشَّرح ستَّ مرَّات، يكتبه في حينه بلَفْظِه وحروفِه من فِيه؛ محافظةً على أمانة النَّقْل، وحِرْصاً على تقييد الفوائد،

فخرج شرحاً نافعاً من تقريرات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

ولأهمِّيَّة هذا الشَّرح، ولكونه النُّسخة الوحيدة لأوَّلِ شرحٍ مُدَوَّن منذ زمن المُصنِّف، وإنفاذاً لوصية الوالد لي - مشافهةً وكتابةً - بتحقيق كُتُبِه وإخراجها؛ عملتُ على تحقيقه، وقدَّمتُ بين يدي ذلك ما يأتي:

أوَّلاً: ترجمة المُصَنِّف إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثانياً: ترجمة الشَّارح سماحة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثالثاً: ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ.

رابعاً: أهمِّيَّة «**كتاب التَّوحيد**».

خامساً: مزايا الشَّرح.

سادساً: منهجي في التَّحقيق.

سابعاً: نماذج من المخطوطات.

أسأل اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع بهذا الشَّرح كما نَفَع بأصلِه، وأن يجزيَ علماء المسلمين خير الجزاء وأوفاه، وأن يتغمَّدهم بمغفرته ورحمته، وأن يجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه، وصحبِه أجمعين.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَغْتُ مِنْهُ فِي الأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
عَامَ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ
فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

---

(١) المراد بالتَّقريرات هنا: ما أملاه سماحتُه رَحِمَهُ اللَّهُ من العِلم عن ظهر قلبٍ.

تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (١)

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة مختصرة من كتابنا: «تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: أبو عليٍّ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب بن سليمان بن عليِّ بن مُحمَّد بن أحمد بن راشد بن بُرَيد بن مُحمَّد بن بُرَيد بن مُشرَّف، من بَطن الوُهَبة من تميم.

وُلِد سنة (١١١٥هـ) في نجد[١]، في بلدة «العُيَيْنة»[٢].

(١) نَجْد: موضعٌ واسعٌ، قاعدته وسط المملكة العربيَّة السُّعوديَّة؛ وحدوده شمالاً: سواد العراق ومشارف الشام، وجنوباً: الرُّبع الخالي، والجنوب الغربي: مرتفعات عسير، وشرقاً: الأحساء وجوفها الشمالي إلى حدود الكويت، وغرباً: جبال الحجاز. معجم البلدان (٥/ ٢٦٢)، المجاز بين اليمامة والحجاز (ص٢١٨).

(٢) العُيَيْنة: شمال الرِّياض، تَبعُد عنها خمسة وثلاثين (٣٥) كيلومتراً.

أُسرتُه

مَقَرُّ أُسرته «آل مُشرَّف»: بلدة أُشيقر[1]، وقد تنقَّلَت بين عدَّة بلدان، وبيان ذلك في الآتي:

١ - جَدُّه الشَّيخ سليمان: وُلِد ونشأ في بلدة أُشيقر، وأخذ العلم عن علمائها، وأخذ عنه بعضُهم.

ثمَّ طَلبه أهل رَوضة سُدير[2] قاضياً لهم، فانتقل إليهم.

ثمَّ انتقل إلى العُيَيْنة، وصار قاضياً فيها واستوطنها، وتزوَّج فاطمةَ ابنة الشَّيخ أحمد بن مُحمَّد بن بسَّام، وتوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في العُيَيْنة.

٢ - والده الشَّيخ عبد الوهَّاب: وُلِد في العُيَيْنة، ونشأ وتعلَّم فيها، ثمَّ صار قاضياً فيها، وتزوَّج بنت مُحمَّد بن عزَّاز المشرفيِّ، وأنجبت منه ابنين هما: الشَّيخ مُحمَّد، والشَّيخ سليمان.

ثمَّ انتقل الشَّيخ عبد الوهَّاب إلى حُرَيْمَلاء[3]، ومكث فيها قاضياً من عام **(١١٣٩هـ)** إلى وفاته عام **(١١٥٣هـ)**.

٣ - الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب: ارتحل من حُرَيْمَلاء إلى العُيَيْنة، وتزوَّج الجوهرة بنت عبد اللَّه بن مُعمَّر - عمَّة أمير العُيَيْنة

---

(١) أُشيقر: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئتي **(٢٠٠)** كيلومترٍ.

(٢) روضة سُدير: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئة وثمانين **(١٨٠)** كيلومتراً.

(٣) حُرَيْمَلاء: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها خمسة وثمانين **(٨٥)** كيلومتراً.

عثمان بن مُعَمَّر -، ومكث فيها مدَّة، ثمَّ خرج إلى الدِّرْعِيَّة[١] واستقرَّ فيها حتى وفاته.

وللشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ستَّة أبناء، وهم: عليٌّ، وعبد اللَّه، وحسن، وحسين، وإبراهيم، وعبد العزيز.

وله بنات.

وأُسرتُه تَنحدرُ من أبنائه الأربعة: عليٍّ، وعبد اللَّه، وحسن، وحسين، أمَّا إبراهيم وعبد العزيز فليس لهما عَقِب.

(١) الدِّرْعِيَّة: تقع شمال غرب الرِّياض، وهي الآن ملتصقة بها.

نَشأتُه

نَشَأَ في بيتِ عِلْمٍ ودِينٍ وصلاحٍ، فعمُّ جدِّه الثَّالث، وابن عمِّ جدِّه الثَّالث، وجَدُّه، وأبوه، وأخوه، وابنا أخيه، وعمَّاه، وابنُ عمِّه، وابنُ عمَّته، وخالُه؛ كلُّهم مِنْ أَهلِ العلم، وبيان ذلك في الآتي:

١ - عمُّ جدِّه الثَّالث عبد القادر بن راشد بن بُريد: من العلماء؛ تلقَّى العلم عن الشَّيخ أحمد بن يحيى بن عَطْوَة(١).

٢ - ابن عمِّ جدِّه الثَّالث محمَّد بن عبد القادر بن راشد بن بُريد: من العلماء؛ تلقَّى العلم عن الشَّيخ أحمد بن يحيى بن عَطْوَة.

٣ - جَدُّه سليمان: مُفتي نَجْد في زمانه ورَئيسُ علمائها، وأَوسعُهم علماً، صَنَّف، ودَرَّس، وَوَلِيَ قضاء روضة سُدير، ثُمَّ العُيَيْنة، وكان معاصراً لإمام المذهب الحنبليِّ في مصر الشَّيخ منصور بن يونس البُهُوتِيِّ، واجتمع به في مكَّة عام (١٠٤٩هـ).

قال حَفيدُه الشَّيخ عبدُ الرَّحْمَن بن حَسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أَفْقَهَ مَنْ نزل نَجْداً في وقته، فتخَرَّجَ عليه خلقٌ كثير مِنْ أَهلِ نَجْد»(٢).

---

(١) هو: أحمد بن يحيى بن عَطْوَة بن زيد التَّميميُّ، عالمُ نجدٍ ومفتيها، ولد في العُيَينة، ورحل إلى الشَّام، وتلقَّى العلم عن علمائها، ومنهم: العلَّامة عليُّ بن سليمان المَرداويُّ صاحب «الإنصاف» (ت٨٨٥هـ)، نشر المذهب الحنبليَّ في نجد، وهو أوَّل عالم نجديٍّ تصل إلينا أخباره ومؤلَّفاته، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجُبيلة - بالقرب من العُيَينة - سنة (٩٤٨هـ). مجلَّة الدَّارة، العدد الرَّابع، السَّنة السَّادسة والثَّلاثون، (ص١٣١).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/٦).

٤ - والده عبد الوهَّاب: فَقيهٌ وعَالِمٌ كَبير، كان مفتي العُيَيْنة وما حولها، تولَّى قضاء العُيَيْنة أربعة عشر عاماً؛ من عام (١١٢٥هـ) إلى عام (١١٣٩هـ)، ثمَّ انتقل إلى حُرَيْمَلاء، ووَلِيَ قضاءها أربعة عشر عاماً إلى وفاته عام (١١٥٣هـ).

٥ - أخوه سليمان بن عبد الوهَّاب: كان فقيهاً وقاضياً في حُرَيْمَلاء.

٦ - ابن أخيه عبد اللَّه بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوَرَع.

٧ - ابن أخيه عبد العزيز بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوَرَع.

٨ - عمُّه إبراهيم بن سليمان: فقيه، وَلِيَ القضاء في أُشيقر، وكان يسافر إلى ما حولها من البلاد؛ لحاجتهم إليه في الإفتاء، ويُوَثِّق ما يقع بينهم من معاملات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتَبَه وأثبَتَه.

٩ - عمُّه الثَّاني أحمد بن سليمان: من العلماء.

١٠ - ابنُ عمِّه عبد الرَّحمن بن إبراهيم: كان عالِماً فقيهاً.

١١ - ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز، أبو مُحمَّد الكفيف الأحسائيُّ، مِنْ كبار علماء الأحساء[١].

(١) الأحساء: شرق الرِّياض، تَبعُد عنها ثلاث مئة وعشرين (٣٢٠) كيلومتراً.

١٢ - خاله سيف بن مُحمَّد بن عزَّاز: من الفقهاء، تَصَدَّى للإفتاء والتَّدريس.

قال ابن بسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو مِنْ بيت عِلْم كبيرٍ، قد تَوَارَثُوه أباً عن جَدٍّ»[١].

ولا أَعرفُ في التَّاريخ أُسرة بقي العِلمُ في آبائهم وأبنائهم خمسة قرون متتابعة سواها.

(١) علماء نَجْد خلال ثمانية قرون (١/ ١٢٧).

أَخلاقُه

كان ﷺ دَمِث الأخلاق، رفيع التَّعامل، مُتحلِّياً بأخلاق القرآن والسُّنَّة، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - يُحِبُّ العفو والصَّفح؛ فقد كان لجَدِّه الشَّيخ سليمان بستانان في أُشيقر، فاسْتَوْلَى عليهما بعض النَّاس، فلمَّا ظهر أمرُ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب جاء أحد المُستَوْلِينَ عليهما، فقال: «يا شيخ، بأيدينا سِبْلٌ لكم[١]، وأبيك[٢] تمضيها لي[٣]، فقال له الشَّيخ ﷺ: ما استرخصتنا أوَّل، ولا نحن بجايينك فيها تالي[٤]»[٥].

٢ - يَحُثُّ الآخرين على الحِلم والعفو والصَّفح، قال ﷺ: «ذَكرتَ مِنْ طرف مراسلة سليمان، فلا ينبغي أنَّها تزعِّلك[٦]: أوَّلاً: أنَّه لو خَالَف فمِثْلُك يَحْلُم، ولا يَأتِي بغَايَتِه هذا ولا أكثر منه، وثانياً: إنَّك إذا عَرفتَ أنَّ كَلامَه ما له فيه قصد إلَّا الجهدة[٧] في الدِّين ولو صار مُخطئاً، فالأعمال بالنِّيَّات؛ والذي هذا مَقصِدُه يُغتفرُ له ولو جهل

(١) أي: وقْفٌ.
(٢) أي: أُريدك.
(٣) أي: تجيزها فتكتب أنَّها لنا.
(٤) أي: لم تَأخُذْ إذنَنا حين الاستيلاء عليها، ولن نَأتِيَكَ بعد استيلائك عليها.
(٥) علماء نَجْد خلال ثمانية قرون (١/ ١٢٨).
(٦) الزَّعل: الضِّيق والضَّجَر.
(٧) أي: بذل الوسع.

عليكَ، ونَحنُ مُلزِّمون[١] عليك لَزمة جيِّدة، وربُّك ونبيُّك ودِينُك لَزمتُهم لَزمة تتلاشى فيها كلُّ لَزمة»[٢].

٣ - يُحسِن إلى مَنْ يُسيءُ إليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولك: أُرِيد أماناً على كذا وكذا؛ فأنت مخالف، والخاصُّ والعامُّ يفرحون بمجيئك، مثلما فَرِحوا بمجيء ابن غنَّام، والمَنقور، وابن عُضيب؛ مع أنَّ ابنَ عُضيب أكثر النَّاس سَبّاً لهذا الدِّين إلى الآن، وراحوا مُوقَّرين محشومين[٣]، كيف لو تجيء أنت؟ كيف تَظنُّ أنْ يَجيئك ما تكره؟! فإنْ أَردتَ تجديد الأمان على ما بغيت؛ فاكْتُبْ لي»[٤].

٤ - إنْ عَاتَب مَنْ أَساءَ إليه فيُعاتِبُه بأَحسنِ الكلام، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَل إلينا مِنْ نَاحِيَتِكُم مكاتيب[٥]، فيها إِنكارٌ وتَغليظٌ عَلَيَّ، ولَمَّا قيل: إنَّك كَتَبْتَ معهم، وَقَع في الخاطر بعض الشَّيء؛ لأنَّ اللَّهَ سبحانه نشر لك من الذِّكْر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المَحبَّة ما لم يؤته كثيراً من النَّاس»[٦].

٥ - يُراعي مشاعر الآخرين، ويخشى أنْ يُفهَم كلامه على غير وجهه؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يَدخل خواطرَكم[٧] غِلْظةُ هذا الكلام، فاللَّه سبحانه يَعلَم قَصدِي به»[٨].

(١) أي: مؤكِّدون.
(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٦١).
(٣) أي: مكرَمين.
(٤) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٨٠).
(٥) أي: رسائل.
(٦) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٣٥).
(٧) أي: في أنفسكم.
(٨) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤١٧).

٦ - كان وفِيّاً مع مَنْ أحسن إليه، فلا ينسى معروف أهل الفَضْلِ؛ طلب أمير العُيَيْنة عثمانُ بن معمَّرٍ من الشَّيخ الخروجَ من العُيَيْنة، ولمَّا خرج الشَّيخ إلى الدِّرْعِيَّة ونصَرَه الإمام مُحمَّد بن سعود وظهر أمرُه، نَدِم عثمان بن معمَّرٍ على خروج الشَّيخ من بلده، فطلب منه الرُّجوع إليه في العُيَيْنة ووعده بنَصْرِه، فقال الشَّيخ: «ليس ذلك إليَّ، إنَّه لمُحمَّد بن سعود؛ فإنْ أَرادَ أن أذهبَ معك ذهبتُ، وإنْ أراد أن أُقيمَ عنده أَقمتُ، ولا أَستبدل برجل تلقَّاني بالقَبول غيرَه»(١).

٧ - كان شديد التَّواضع، قال ابن بِشْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عَلِمْنَا أحداً أَلْيَن ولا أَخْفَض منه جانباً لطالب علم، أو سائلٍ، أو ذي حاجة، أو مقتبس فائدة»(٢).

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَع أَئمَّة الدِّين في زمانه، وبعد زمانه، على تقدُّمه في شأنِه ونُبْلِه، وعُلُوِّ مقامه ومكانه»(٣).

---

(١) تاريخ نَجْد (ص٨٢).
(٢) عنوان المَجْد في تاريخ نَجْد (١/ ١٨١).
(٣) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣١٤).

سَلامةُ صَدرِه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ سليم الصَّدْر، لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه، وبَيانُ ذلك في الآتي:

١ - يَتحَاشَى أنْ يُسِيءَ لأَحدٍ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَخافُ أُطوِّل الكلام، فيجري فيه شيء يُزعِّلكم»[١].

٢ - يُكدِّر خاطرَه ضَجرُ الآخَرين منه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي يُكدِّر الخاطرَ زَعلُكم، وإِظهارُكم للنَّاس الزَّعل والتَّغيُّر؛ بسبب ظنِّ سُوءٍ»[٢].

٣ - يَتضايَقُ من استياء الآخَرين منه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يَخفَاكُم أنَّ معي غيظاً عظيماً، ومُضايَقَة مِنْ زَعلِكم»[٣].

٤ - يُحِبُّ مَنْ يُنَبِّهه؛ لِئلَّا يبقى في خَاطرِ أَحدٍ شيءٌ عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنْ كان بَلغكَ عنِّي شيء، فنبِّهنِي جزاك اللَّه خيراً»[٤].

٥ - يَحُثُّ الآخَرين أنْ لا يبقى في خَاطِرِهم شيء إلَّا ويُنَبِّهونَه عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ كان جارياً منِّي شيءٌ تَنقُده[٥]، فتراني أُحبُّ أن تُنَبِّهني عليه، لا تترك بيان شيءٍ في خَاطرِك مِنْ قِبَلي»[٦].

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٥٤).

(٢) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).

(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٥).

(٤) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٥٧).

(٥) أي: تعيبُه عليَّ.

(٦) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٩).

٦ - يُحِبُّ أنْ يَنصَحَه أَحدٌ كلَّما غَلِط، قال ﵀: «أنا أَجِدُ في نفسي أنَّ ودِّي مَنْ يَنصَحُنِي كلَّما غَلطتُ»(١).

٧ - يُبَيِّن للنَّاس أنَّهم إنْ رأَوْا منه شيئاً عليه، فالواجب عليهم مذاكرته ومناصحته، قال ﵀: «وإنْ كان الصَّواب معهم، أو معنا شيء مِن الحقِّ وشيء مِن الباطل، أو معنا غُلوٌّ في بعض الأمور؛ فالواجبُ مِنكَ مُذاكَرَتنا ونَصيحتنا»(٢).

٨ - يَذكُر للنَّاس أنَّه إن نَبَّهه أحدٌ عن شيء، فإنَّه لا يدخل في خَاطِرِه شيءٌ، قال ﵀: «إنْ كان مذكوراً لكم أنِّي قَائلٌ شيئاً، أو قَائلٌ أَحدٌ يحضرني كلامَ سوء ولا ردَّيت عليه، فاذكروا لي؛ ترى التَّنبيه حسن، ولا يدخل خَاطِرِي إلَّا رُبَّما أنِّي أعرف أنَّه مَحَبَّةٌ وصَفوٌ»(٣).

٩ - لا يَحسدُ أحداً؛ بل يذكر محاسنه، قال ﵀: «كنتُ أحكي لمَنْ يتعلَّم منِّي: ما مَنَّ اللَّهُ به عليكَ مِنْ حسن الفَهم، ومَحَبَّة اللَّه والدَّار الآخرة»(٤).

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم ﵀: «جَمَع بين خَلَّتَي العلم والحَسَب والنَّسَب، والعَقْل والفَضْل، والخَلْق والخُلُق، مع سلامة الصَّدر، واللُّطفِ والرِّفق، وحُسنِ النِّيَّة، وطِيبِ الطَّويَّة»(٥).

---

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٢٣).
(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٤٢).
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).
(٤) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٥٠).
(٥) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٢٣).

صِفاتُه

جَمَع اللَّهُ له من المناقب والفضائل ما أوجبَتْ له القَبول، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يَتحلَّى بصفاتٍ جَليلةٍ؛ منها:

١ - كان ذا رَأيٍ سَديدٍ، وفِراسةٍ.

٢ - كان سمحاً جواداً كريماً.

٣ - كان عَطاؤُه عَطاءَ مَنْ وَثِق باللَّه.

٤ - كان يَتحمَّلُ الدَّين الكثير لأَضيافِه وَسَائِلِيه والوَافِدِين عليه.

٥ - كان بيت المال تحت يده، ولكنَّه كان وَرِعاً متعفِّفاً، ولم يُخلِّف لورثته شيئاً، قال تلميذه ابن غنَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يُخلِّف ديناراً ولا درهماً، فلم يُوزَّع بين وَرَثَتِه مالٌ ولم يُقسَم؛ بل كان عليه دَينٌ كَثيرٌ»[(١)].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعدودٌ مِنْ أكابر السَّلَف الماضِين»[(٢)].

---

(١) روضة الأفكار والأفهام (٢/ ٩٠٣).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١٦).

ذَكاؤُه

كان شديد الذَّكاء، سريعَ الحِفْظ، حادَّ الفَهْمِ، قويَّ الإدراك، وممَّا يَدلُّ على ذلك:

١ - حَفِظَ القرآن قبل بلوغه سِنَّ العاشرة.

٢ - حَفِظَ أحاديث كثيرة، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَرَع في الحديث وحِفْظِه، فقَلَّ مَنْ يَحفظ مثلَه، مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدَّليل»[١].

٣ - ظَهَرَ نُبوغُه مُبَكِّراً، فقد أَرسلَ وَالدُه رِسالةً إلى الشَّيخ أحمد المنقور، وفي آخرها يُبَلِّغه سلام ابنه مُحمَّد بن عبد الوهَّاب، وعُمُره أقلُّ من عشر (١٠) سنوات[٢].

٤ - قَدَّمه والدُه إماماً للصَّلاة بالنَّاس وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

٥ - كان يُناظِرُ أباه وعَمَّه وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً في بعض المسائل بالدَّليل على بعض الرِّوايات عن الإمام أحمد، والوجوه عن الأصحاب، وناظَرَهما في مسائل قرأها في «الشَّرح الكبير» و«المُغني» و«الإنصاف»؛ لما فيها من مخالفة ما في متن «المُنْتَهى» و«الإقْنَاع».

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٢٣).

(٢) الشَّيخ أحمد المنقور توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١١٢٥هـ)، ومُحمَّد بن عبد الوهَّاب ولد عام (١١١٥هـ).

٦ - عَجِب أَهلُه مِنْ فِطنَتِه وذَكائِه، قال أخوه سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أَبُوه يَتعجَّب مِنْ فَهْمِه، ويَعترفُ بالاستفادة منه مع صِغَر سِنِّه»[١].

٧ - كان ذا نَباهَة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ لأَحدِ خُصومِه: «وليس الذي يَذكر هذا عنك بعشرةٍ[٢] ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا أنت بمُتخفٍّ في ذلك، ثمَّ تَظنُّ في خَاطِرِك أنَّ هذا يخفى عَلَيَّ وأنا أُصدِّقُك إذا قُلتَ ما قُلتَ؟!»[٣].

٨ - كان يَعرف خُطوط النَّاس، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا مِنْ باب السُّؤالات، وأنَّكم بلغكم أنِّي ظانٌّ أنَّها مِنْ عبد اللَّه، فهذا عَجَبٌ؛ كيف تظنُّون أنِّي ما أعرف خَطَّ ابن صالح؟!»[٤].

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمع مِنْ وَالدِه ومِنْ فقهاء نَجْد في وقته، واشتهر عندهم بالعِلْم والذَّكاء، وعُرِف به على صِغر سِنِّه»[٥].

---

(١) مشاهير علماء نَجْد وغيرهم (ص١٧).
(٢) أي: عشرة رجال.
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٨٠).
(٤) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).
(٥) مصباح الظَّلام (١/ ٤٩).

عِبادتُه

كان الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جانب علمه عابداً، ومِنْ ذلك ما يأتي:

١ - يُذَكِّر نفسَه وغيرَه بالإخلاص، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجبُ على الكلِّ - مِنَّا ومنكم - أنَّه يَقصِدُ بعِلْمِه وَجهَ اللَّه»(١).

٢ - كان يُحيي كثيراً من اللَّيل بالصَّلاة.

٣ - كان مُكثِراً مِنْ تلاوة القرآن في دُجَى الظَّلام.

٤ - كان في النَّهار يَشتغلُ بالتَّدريس والتَّصنيف.

٥ - كان كثير الذِّكر للَّه، قَلَّما يَفتُر لسانُه مِنْ قول: «سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلَّا اللَّه، واللَّه أكبر»، وإذا كان النَّاس يَنتظرُونَه، يَعلَمُون إقبالَه عليهم قبل أنْ يَرَوْه؛ مِنْ كَثرةِ لَهَجِه بالتَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير.

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت حالُه رَحِمَهُ اللَّهُ في العبادة والزُّهد والوَرَعِ مشهورةً بين الأنام»(٢).

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٥٦).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٩).

رِحلتُه في طَلَبِ العِلم

طَلَبَ العِلْمَ مُبَكِّراً قبل بلوغه على مشايخ بلدته - العُيَيْنة -، ثمَّ رحل لطلب العلم إلى مكَّة والمدينة والبصرة[١] والأحساء مراراً، واجتمع بمَنْ فيها مِن العلماء، فسَمِع وناظر، وبحث واستفاد؛ وبَيانُ ذلك فيما يأتي:

١ - طَلَبَ العلم في العُيَيْنة على وَالِدِه وعلى عُلمائِها.

٢ - في السَّنة الثَّانية عشرة مِنْ عُمُره سافر للحجِّ، ثمَّ قَصَد المدينة لطَلَبِ العلم، ومكث بها شهرين.

٣ - عاد للعُيَيْنة، وشرع في القراءة على والده وعمِّه إبراهيم في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

٤ - سافر إلى مكَّة مراراً لطلب العلم.

٥ - أَخذَ يَتردَّد على علماء المدينة المنوَّرة، وأقام بها مدَّة، وقرأ فيها على العلماء الآتي ذكرهم:

أ - المُحَدِّث عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ - مِن المَجْمَعة[٢] -، ثمَّ المدنيُّ.

---

(١) البصرة: مدينةٌ جنوب شرق بغداد، تَبعُد عنها خمس مئة وثلاثين (٥٣٠) كيلومتراً.

(٢) المَجْمَعة: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئة وتسعين (١٩٠) كيلومتراً.

ب - مُحَدِّث الحرمين مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ المدنيُّ - له حاشية على صحيح البخاريِّ -، قال عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة اللَّه، والتَّخلُّص مِنْ رِقِّ التَّقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسُّنَّة»(١).

ج - المُحَدِّث إسماعيل بن مُحمَّد العجلونيُّ الدِّمشقيُّ.

د - المُحَدِّث عليُّ أفندي بن صادق الدَّاغستانيُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ.

٦ - رجع إلى العُيَيْنة ومكث فيها سنة كاملة.

٧ - رحل إلى البصرة وطالت إقامته بها، وقرأَ وكَتَبَ بها كثيراً من الحديث والفقه واللُّغة، ولازم في البصرة عالماً من علمائها الأجلَّاء؛ وهو الشَّيخ مُحمَّد المَجموعيُّ البصريُّ.

٨ - رحل إلى الأحساء، ولَقِيَ فيها فُحُول العلماء؛ منهم: ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز.

٩ - رجع من الأحساء إلى البصرة، قال حفيدُه الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَتْ همَّتُه إلى طلب التَّفسير والحديث، فسافر إلى البصرة غير مرَّة، كلُّ مرَّة يُقِيم بين مَنْ كان بها من العلماء»(٢).

---

(١) مصباح الظَّلام (٢/ ٢٥٥).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٦).

١٠ - خرج من البصرة قاصداً الحجَّ، ولمَّا قضى الحجَّ وقف في المُلتَزَم، وسأل اللَّه تعالى: «أن يُظهِر هذا الدِّين بدعوته، وأن يرزقه القَبول من النَّاس»[١].

١١ - قَدِم المدينة بعد الحجِّ، فأقام بها، وعمل فيها ما يأتي:

أ - حضرَ عند عَددٍ مِنَ العلماء؛ منهم: المُحَدِّث مُحمَّد حياة السِّنْدِيُّ، وأخذ عنه كتب الحديث إجازةً في جميعها، وقراءةً لبعضها.

ب - وَجَد فيها بعضَ الحنابلة فانتفع منهم.

ج - كتبَ بيده «صحيح البخاريِّ».

د - كتبَ بيده «زاد المعاد» لابن القيِّم؛ أربعة مجلَّدات.

هـ - حفِظَ «ألفيَّة ابن مالك»، وحضرَ دروس النَّحو[٢].

١٢ - قَصَد نَجْداً ووجد والدَه قد ارتحل إلى بلدة حُرَيْمَلاء، فاستقرَّ معه فيها سِنين، واستأنف القراءة على والده، وصار له أوقات خاصَّة يُطالِع فيها كُتب التَّفسير والحديث والأصول، وكُتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم، ووجد في كتب هذين الإمامين مِن العلوم الصَّحيحة، والأقوال المبنيَّة على الكتاب والسُّنَّة، والتَّحقيق، والأحكام المطابِقة للعقل والنَّقل؛ ما زاده بصيرةً وفَهْماً وتحقيقاً.

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٨).
(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٩).

١٣ - مجموعُ ما قطعه الشَّيخ في رحلاته العلميَّة أكثر من عشرين ألف (**٢٠,٠٠٠**) كيلومتر.

قال حفيدُه الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: «المُعوَّل[١] على ما وَهَبَه اللَّه من الفَهْم والحِفْظ، وتمييز الحَقِّ من الباطل، ومعرفة حقيقة التَّوحيد وما ينافيه من الشِّرك الأكبر، وسبيل أهل السُّنَّة، ومعرفة ما خالف السُّنَّة من البِدَع؛ أعطاه اللَّه في ذلك علماً عظيماً، فصار بذلك يُشبِه أكابر علماء السُّنَّة، وما كان عليه السَّلَف الصَّالح»[٢].

---

(١) أي: المعتمد.

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٩).

شُيوخُه

خِلالَ طَلَبِه للعِلْمِ، ورحلاته المُتعدِّدة أخَذَ العِلْمَ عن عَددٍ من العلماء؛ منهم:

١ - والده الشَّيخ عبد الوهَّاب بن سليمان.

٢ - عمُّه الشَّيخ إبراهيم بن سليمان.

٣ - المُحَدِّث عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ، ثمَّ المدنيُّ.

٤ - المُحَدِّث مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ المدنيُّ.

٥ - المُحَدِّث إسماعيل بن مُحمَّد بن عبد الهادي العجلونيُّ الدِّمشقيُّ.

٦ - المُحَدِّث عليُّ أفندي بن صادق بن مُحمَّد الدَّاغستانيُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ، من مشايخ الشَّام، اجتمع به في المدينة المنوَّرة.

٧ - الشَّيخ مُحمَّد المَجموعيُّ البصريُّ، قرأ عليه في مدرسة البصرة.

٨ - الشَّيخ عبد اللَّطيف العفالقيُّ الأحسائيُّ.

٩ - الشَّيخ مُحمَّد العفالقيُّ الأحسائيُّ.

١٠ - ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز، أبو مُحمَّد الكفيف الأحسائيُّ.

إجازاتُه

بَلَغَ الشَّيخُ مَنزِلةً عَاليةً من العِلْم، فأَجازَه العلماءُ في كُتبِ الحديث والعقيدة والفقه وغيرها، ومِمَّنْ أَجازَه:

١ - الشَّيخ عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ ثمَّ المدنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وممَّا أَجازَه فيه[1]:

أ - «الحديثُ المُسلسَلُ بالأَوَّليَّة»؛ وهو أوَّل ما سَمِع منه بالسَّند المُتَّصل إلى عبد اللَّه بن عَمْرِو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[2].

ب - «مُسلسَلُ الحنابلة»؛ سَمِعه منه بالسَّند المُتَّصل إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ، قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»[3].

٢ - المُحَدِّث مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - المُحَدِّث عليُّ أفندي بن صادق بن مُحمَّد الدَّاغستانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٢١٠)، الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣١٦).
(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٦٤٩٤).
(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢٠٣٦).

٤ - الشَّيخ عبد اللَّطيف العفالقيُّ الأحسائيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَجازَه الكثيرُ»[١].

وقال أيضاً: «وسَندُه المُتَّصلُ بأئمَّة المذهب إلى الإمام أحمد، مَعروفٌ مُقرَّرٌ عندهم»[٢].

---

(١) مصباح الظَّلام (٢/ ٢٥٥).
(٢) مصباح الظَّلام (١/ ٣٥٤).

غَزارةُ عِلمِه

حَصَّل الشَّيخُ عِلْماً غزيراً، فعَمَّ عِلْمُه الأنام، وانْتَفَعَ به النَّاسُ على مرِّ الأعوام، وغزارة عِلمِه تَتبيَّن في الآتي:

١ - برع في تفسير القرآن، وغاصَ في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يُسبَق إليها، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وله مِن المسائل المُستنبَطات مِن كتاب اللَّه ما يَقصُر عنه فَهْم الفُحُول الأفاضل، ولا يقدر على إبرازِه ذَوُو التَّدقيق من الأماثل، تكلَّم على غالب السُّور، واستنبط منها مِنَ الفوائد ما لم يُسبَق إليه»[1].

٢ - حَفِظ وسَمِع الحديث، وأَكثَرَ في طلبه، وبرع فيه، ونظر في الرِّجال والطَّبقات، وحَصَّل ما لم يُحَصِّله غيرُه في زمنه.

٣ - كان عَلَماً شامخاً في العقيدة.

٤ - دقيقٌ في التَّفريق بين مسائل أصول الدِّين، فضلاً عن فروعها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصْلُ الإشكال: أنَّكم لم تُفَرِّقوا بين قيام الحُجَّة، وبين فَهم الحُجَّة؛ فإنَّ أكثر الكفَّار والمنافقين مِن المسلمين لم يفهموا حُجَّة اللَّه مع قيامها عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤]»[2].

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٨).

(٢) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٤٤).

٥ - فاق علماءَ عَصرِه في الفقه.

٦ - كان يُجادِل كلَّ عالمٍ مِنْ أتباع المذاهب الأربعة بمذهبِه، قال رَحِمَهُ اللهُ: «كلُّ إنسان أُجادلُه بمذهبه؛ إنْ كان شافعيّاً فبكلام الشَّافعيَّة، وإنْ كان مالكيّاً فبكلام المالكيَّة، أو حنبليّاً، أو حنفيّاً، فكذلك»[1].

وقال أيضاً: «أنا أُخاصِم الحَنفيَّ بكلام المتأخِّرين من الحَنفيَّة، والمالكيَّ، والشَّافعيَّ، والحَنبليَّ؛ كلٌّ أُخاصِمُه بكُتبِ المُتأخِّرين مِنْ علمائهم الذين يعتمدون عليهم»[2].

٧ - له كلَّ يوم مجالس عديدة في التَّدريس في فنون العلم.

٨ - رحل إليه طلَّاب العلم من مختلف النَّواحي.

٩ - كان حريصاً على جَمْعِ الكتب، قال رَحِمَهُ اللهُ: «تعرفُ حرصي على الكتب»[3].

١٠ - كان أهل العلم يستعيرون منه الكتب، قال رَحِمَهُ اللهُ: «مَجموعُ ابن رَجبٍ ترى ما جاءنا، فهو عارية مُؤَدَّاة وإن لم تأتنا»[4].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ طالع مُصَنَّفاتِه، واستقرأ سِيرتَه ومُؤلَّفاتِه، عَرَف أنَّه مِنْ أَغزرِ النَّاس عِلْماً، وأَحَدِّهم

(١) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص١٤٤).
(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤١٤).
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٠٧).
(٤) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٢٧).

فَهْماً، وأَنفذِهم عَزْماً وأَشْجعِهم؛ بل هو مِنْ أَكابرِ السَّلَف، وهذه كتبه وفتاواه ورسائل دعوته تشهد بذلك؛ وهو المَرجِع في وقته في سائر العلوم والفتاوى»[١].

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٨).

تَلاميذُه

أَخَذَ عنه العِلمَ عددٌ من الطُّلَّاب مِن بَنِيه وبَنِيهم، ومن أهل الدِّرعيَّة، وغيرهم؛ ومِنْ أُولئكَ الطُّلَّاب:

١ - ابنه الشَّيخ عليُّ بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - ابنه الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - ابنه الشَّيخ حسين بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - ابنه الشَّيخ عبد العزيز بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - حفيده الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ - الشَّيخ حَمَد بن ناصر بن مُعَمَّر رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ - الشَّيخ عبد العزيز الحصيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨ - الشَّيخ سعيد بن حجِّيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ - الشَّيخ مُحمَّد بن عبد اللَّه بن سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن خَميس رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن نامي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ - الشَّيخ مُحمَّد بن سلطان العَوسَجيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن عبد المُحْسِن رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤ - الشَّيخ حسن بن عبد اللَّه بن عِيدان رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥ - الشَّيخ عبد العزيز آل سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦ - الشَّيخ مُحمَّد آل سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧ - الشَّيخ حَمَد بن راشد العُرَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكلٌّ وَاحدٍ مِنْ هؤلاء وَلِيَ القَضَاء في ناحيةٍ.

وقد أَخَذَ أيضاً عنه خَلْقٌ كثير ممَّنْ لم يَلِ القضاء مِن الفقهاء والأعيان.

مُصنَّفاتُه

لِغَزَارةِ علم الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ تنوَّعت مُصَنَّفاته في مختلف الفنون؛ ومنها:

١ - في التَّفسير: «تفسير سورة الفاتحة»، و«مختصر تفسير سورة الأنفال»، و«مسائل في سورة النُّور»، و«مختصر تفسير سورة الحجرات»، و«تفسير سورة الفلق»، و«تفسير سورة النَّاس»، و«تفسير آيات من القرآن الكريم»، و«مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»، و«ثماني حالات استنبطها من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الآية».

٢ - في علوم القرآن: «فضائل القرآن».

٣ - في الحديث: «مجموع الحديث على أبواب الفقه»، وعدد أَحاديثِه: ألفان واثنان وثلاثون (٢٠٣٢) حديثاً، و«مختصر فتح الباري».

٤ - في العقيدة: «نواقض الإسلام»، و«القواعد الأربع»، و«الأصول الثَّلاثة»، و«كتاب التَّوحيد»، و«كَشْف الشُّبُهات»، و«مسائل الجاهليَّة»، و«أصول الإيمان»، و«مختصر الصَّواعق»، و«مختصر العقل والنَّقل»، و«مختصر الإيمان».

٥ - في الفقه: «شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها»، و«كتاب

العبادات - الصَّلاة، الزَّكاة، الصِّيام -» المشهور بـ«آداب المشي إلى الصَّلاة»، و«مختصر الإنصاف»، و«مختصر الشَّرح الكبير»، و«مختصر زاد المعاد».

٦ - في السِّيرة: «مختصر السِّيرة النَّبويَّة».

٧ - في الآداب والسُّلوك: «مختصر المنهاج».

٨ - في الوعظ: «كتاب الكبائر».

٩ - له رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسائل وأجوبة كثيرة مفيدة، في التَّوحيد والفقه والنَّصائح.

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ عَرَف الرِّجال بالعِلم؛ عَرَف حَالَ الشَّيخ ورُسوخَه، ومتانةَ عِلمِه ودِينِه، وأنَّه يلحق بأكابر السَّلَف وعلمائهم»[١].

---

(١) مصباح الظَّلام (١/ ٧٦).

وَفاتُه

توفِّي رحمه الله يوم الاثنين آخر شهر شوَّال، سنة (١٢٠٦هـ)، وكان يوماً مشهوداً؛ تَزَاحَمَ النَّاسُ على نَعْشِه، وصَلَّوْا عليه في بلده الدِّرْعِيَّة، وخرج النَّاسُ - الصَّغير والكبير - إلى جنازتِه، وحَصَل بمَوْتِه الخَطْبُ العظيم، والفَادحُ العَمِيم.

وقد رُؤِيَ بعد مَوتِه في المنام، أنَّ اللَّهَ قال له: «مرحباً بالذي دلَّ عِبادِي على عِبادَتِي».

وقد انتفع النَّاس بعِلْمِه، فدُوِّن أكثر من مئة (١٠٠) موضوعٍ عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب وعِلْمِه وأثره الحسن على الفرد والمجتمع، وتنوَّعت ما بين مُصَنَّفات، ورسائل علميَّة، وبحوثٍ.



ترجمةُ سماحةِ الشَّيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١)

رحمهُ اللهُ

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «ترجمة سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رحمهم الله، مِنْ قبيلة تَمِيم.

ولد يوم الاثنين، في السَّابع عَشَر من شهر المُحرَّم، سنة ألف وثلاث مئة وإحدى عشرة (١٣١١هـ)، في حيِّ «دُخْنة»، في مدينة الرِّياض.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأ في بيتٍ معروف بالعِلم والدِّين؛ فوالده: الفقيه القاضي إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٢٩هـ).

وعمُّه: العالِم العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ).

وجدُّه: الإمام العالِم عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٩٢هـ).

ووالد جدِّه: العلَّامة الحَبر عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٨٥هـ).

ووالد جدِّ جدِّه: العالِم الكبير، إمام الدَّعوة المُجَدِّد، مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ).

وقد بَدَأ منذ صغره في الأخذ بأسباب العِلم والمعرفة؛ فتلقَّى القرآن الكريم وهو ما بين الثَّامنةِ والعاشرةِ مِنْ عُمُره.

وفي السَّادسة عشرةَ مِنْ عُمُره أُصيب بالرَّمَد(١) في عينيه؛ فكُفَّ بصرُه، فأقبل على العِلْم والحفظ بهمَّةٍ وعَزيمةٍ.

---

(١) الرَّمَد: داءٌ التهابيٌّ يُصيب العين، يُؤَدِّي إلى هيجانها وانتفاخها. تاج العروس (٨/ ١١٦)، المعجم الوسيط (١/ ٣٧٢).

شُيوخُه

أخذ العِلْمَ عن علماء عصره، وجَدَّ وثَابَر في التَّلقِّي منهم؛ ومن أولئك:

١ - الشَّيخ عبد الرَّحمن ابن مُفَيرِيجٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٥٣هـ)، حَفِظ عليه القرآن، ثمَّ دَرَس عليه عِلم «التَّجويد».

٢ - عمُّه الإمام العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «العقائد»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «كتاب التَّوحيد»، و«أصول الإيمان»، و«فضائل الإسلام»، و«الدَّلائل في حُكم موالاة أهل الإشراك»، و«العقيدة الواسطيَّة»، و«العقيدة الحمويَّة».

وأخذ عنه أيضاً: عِلم «الحديث»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «بُلوغ المَرام»، وثُلُث «المنتقى في الأحكام الشَّرعيَّة من كلام خير البَرِيَّة».

٣ - الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مدير بيت المال - (ت ١٣٤٥هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «العربيَّة»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «الآجُرُّومِيَّة»، و«مُلْحَة الإعراب»، و«قَطْر النَّدى»، و«ألفيَّة ابن مالك».

٤ - الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت ١٣٤٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «الحديث»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «صحيح البُخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، و«بُلوغ المَرام»، و«ألفيَّة العراقي».

٥ - الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ابن محمود رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٣٣هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفقه».

٦ - والده الشَّيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٢٩هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض».

٧ - الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن راشد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت **١٣٣٩هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «ألفيَّة الفرائض».

غزارةُ عِلمِه

كان مُكِبّاً على العِلم - حِفظاً وفَهْماً -، فحَوَى معارف كثيرة، وعلوماً واسعة؛ ومِنْ ذلك:

١ - حِفظُه لمُتونٍ كثيرةٍ في مختلف الفنون؛ منها: نُخبة الفِكَر، وألفيَّة العراقيِّ - في مصطلح الحديث -، والأربعون النَّوويَّة، وعمدة الأحكام، وبُلوغ المَرام، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكتاب التَّوحيد، وكشف الشُّبهات، ومسائل الجاهليَّة، وأصول الإيمان، ولُمعة الاعتقاد، والعقيدة الواسطيَّة، والحمويَّة، والتَّدمريَّة، والطَّحاويَّة، والورقات، وشروط الصَّلاة، وآداب المشي إلى الصَّلاة، وزاد المستقنع، والرَّحبيَّة، والآجُرُّومِيَّة، ومُلْحَة الإعراب، وألفيَّة ابن مالك، والمُعَلَّقات السَّبع.

٢ - كان غزير العِلم في التَّفسير، ويظهر ذلك في دقائق تفسيره للآيات.

٣ - كان عالماً بالحديث ومُصطَلَحِه، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - حفظه لمتون مصطلح الحديث؛ كـ«ألفيَّة العراقيِّ».

ب - حِفظه لمتون الحديث؛ كـ«بُلوغ المَرام» وغيره، وتدريسه لها.

ج - قراءة أمَّهات كُتب الحديث عليه دائماً؛ كـ«صحيح البخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، والسُّنن، والمسانيد، والمعاجم.

د - قراءة كتب الحديث المُطَوَّلة المَخطُوطَة عليه؛ كـ«سُنن سعيد بن منصور».

هـ - استشهاده بأحاديث كثيرة جدّاً من الصِّحاح والسُّنن والمسانيد والمعاجم في درسه.

و - ذِكره لمسائل دقيقة من عِلم المصطلح.

ز - ذكره عِلَل الأحاديث، وما يَقَع من أوهام الرُّواة أو المُصَنِّفين.

٤ - كان أُمَّةً في العقيدة.

٥ - كان متقناً لمذهب الإمام أحمد، ونصوصه، ومفرداته.

٦ - واسع المعرفة بفتاوى علماء عصره ومَن تقدَّمهم.

٧ - استظهاره كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم رحمهما الله، ولا يَكادُ يفوته منه شيء.

٨ - معرفته بدقائق فروع المسائل الفقهيَّة.

٩ - إلمامه بالتَّاريخ والحوادث.

١٠ - عالمٌ بالعربيَّة من النَّحو والصَّرف والغريب والمعاجم، ويظهر ذلك في استحضاره لشواهد النَّحو واشتقاق الكلمات.

١١ - مَن اطَّلع على شروح سماحته للمتون في دروسه، يعجب من عِلمه الغزير، وجزالة ألفاظه، واستحضاره للنُّصوص وأقوال العلماء.

١٢ – إجازة علماء عصره له في مختلف العلوم.

١٣ – ظَهَر أثرُ غزارة عِلمه على تلاميذه، فأصبحوا من كبار علماء العصر، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ﷺ: «وكنتُ ممَّنْ لَازَمَه مدَّة طويلة، وتَخَرَّج عليه في العقيدة السَّلفيَّة، والفقه، والحديث، والعلوم العربيَّة، وعِلم الفرائض، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والتَّاريخ، والتَّفسير»[١].

١٤ – شَهِد له العلماء بسَعَة عِلْمِه؛ ومِنْ أولئك:

أ – العلَّامة عبد اللَّه العنقريُّ، قال ﷺ: «أخونا العلَّامة الأصيل، وكهفُ المجد الأَثيل[٢]، حائزُ قَصَبِ السَّبْق في المضمار[٣]، وأُفُق مجده قد أضاء بطالع سَعْده واستنار، الشَّيخ المُحَقِّق، والحَبر المُدَقِّق، ذو الرَّأي الصَّائب، والفهم الثَّاقب: مُحمَّد بن الشَّيخ إبراهيم بن عبد اللَّطيف»[٤].

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

(٢) يُقال: هو كهف قومه؛ أي: ملجؤهم، والأثيل: الأصيل. تاج العروس (٢٤/ ٣٤٧)، (٢٧/ ٤٢٨).

(٣) قال في المصباح المنير (٢/ ٥٠٤): «وقولهم: (أَحرزَ قَصَب السَّبْق) أصله: أنَّهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قَصبة، فمَنْ سَبَقَ اقتلعها وأخذها؛ ليُعلَم أنَّه السَّابق من غير نزاع، ثمَّ كَثُر حتى أُطلِق على المُبَرِّز والمُشَمِّر».
والمراد بالمضمار هنا: مكان السِّباق.

(٤) الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).

ب - سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز، قال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ خيرة العلماء الأفذاذ، ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أعلمَ منه».

(١) في تسجيلٍ صَوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِجازاتُ العُلماء لسَماحَتِهِ

لِمَا يَتمتَّع به سماحته مِنْ عِلمٍ غزير في فنون متعدِّدة؛ أجازه كبار العلماء من أقطار العالم؛ ومن تلك الإجازات:

١ - إجازةٌ عامَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق[١].

٢ - إجازةٌ خاصَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق، في «بُلوغ المَرام» قراءةً عليه، وفي «صحيح البخاريِّ» و«صحيح مسلم» قراءةً عليه وسماعاً، وهذه الإجازة ذكرها سماحة الشَّيخ في «شرح بلوغ المرام»، ودوَّنها والدي[٢].

٣ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز العنقريِّ، سنة (١٣٥٩هـ)[٣].

٤ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد السَّتَّار بن عبد الوهَّاب الدِّهلَويِّ المكِّيِّ، حين لَقِيَه في الحجِّ سنة (١٣٤٨هـ)[٤].

---

(١) نسختُها لدى ابن أخ كاتبها: الدكتور رياض بن سعيد.

(٢) شرح بلوغ المرام لسماحته؛ وهو مخطوط لديَّ.

(٣) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥)، الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).

(٤) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

٥ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفوريِّ، سنة (**١٣٤٩هـ**)، باستدعاءِ الشَّيخ مُحمَّد تقيِّ الدِّين الهلاليِّ[١].

٦ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الحقِّ بن عبد الواحد الهاشميِّ المَكِّيِّ[٢].

---

(١) أهل الحديث في شبه القارة الهنديَّة (ص١٦٩-١٧١).

(٢) مجموعٌ فيه ترجمة سماحة الشَّيخ ابن باز (ص٥٣)، الإجازة العِلميَّة في نجد (٤/١٠٠٦).

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق لسماحته
بخطِّ تلميذه مُحمَّد بن أحمد بن سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم انا يا محمد ابن احمد ابن سعيد قد طلب مني الشيخ العلامه سعد ابن حمد ابن عتيق وقت طلبي العلم عليه وملازمتي له وكتب خطوطه أن اكتب بخطي اجازته للشيخ العلامه محمد ابن ابراهيم ابن عبد اللطيف آل الشيخ وقد كتبتها بقلمي هذا وأعدت قراءتها عليه وبعد ذالك امرني اروح للشيخ محمد في بيته وسلمها له ولا حفظت منها الا في آخرها بيتين وهي

وقد اجزت مع التقصير عن دركي لرتبة الفضلا اهل الأجازات
واسئل الله توفيقا ومغفرة ورحمة منه في يوم المجازات

والأجازه طويله معها اجازة شيخه وزاد عليها الشيخ سعد وكتابتي الأجاز الله اعلم فوق سبعين السنه بتقليل تقدير مني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٤١٩هـ
هذا وقد طلب مني الأخ العزيز رياض ابن عبد المحسن ابن سعيد كتابة ٩/٨
هذه الورقه واسئل الله الكريم لمشائخنا الرحمة والغفران
وصلا الله على نبينا محمد وآله وصحبه

محمد ابن احمد ابن سعيد

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق التي ذكرها سماحة الشَّيخ في شرح بلوغ المرام، ودوَّنها والدي

إجازة الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ لسماحته

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله على ما منح من العطايا الجسام وفتح من الأفهام والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على المبعوث للأنام محمد أسعد الكائنين من عقد على دينه
بالخناصر أسعد ... وعلى آله وأصحابه وتابعيهم على النهج الأحمد
أما بعد فقد طلب مني أخي العلامة الأصيل وكهف المجد الأثيل
حائز قصب السبق في المضمار ومن أفق مجده تبدا
بطالع سعده واستنار الشيخ المحقق والحبر المدقق
ذو الآراء الصائبة والفهم الثاقب محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ
أن أجيزه بمروياتي ومسموعاتي عن مشايخي ... بجميع ...
لست من رجال هذا الشأن ولست ممن يخوض في هذا الميدان
ثم إني رأيت أن أجيبه إلى دعوته وأسعفه بطلبته
رجاء الانتظام في سلسلة الأفاضل والتشبه بأهل الفضل من أهل الكمال
والفضائل فأقول قد أجزت الشيخ المذكور بما أجازني
به أشياخي الكرام وهو ما قرأته أو سمعته منهم أو قرئ عليهم
أو غيره وأنا أسمع بين يديهم وأنا أسمع من حديث وتفسير وفقه
وآلات ذلك من الفنون العربية وغير ذلك ومن أشياخي الشيخ
عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق
والشيخ حمد بن فارس والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود
والشيخ محمد بن محمود رحمهم الله ... وبيض صحائفهم وأباحهم
النظر إلى وجهه الكريم وجمعنا بهم في جنات النعيم

وحيث وقفت على أن القلم وانتهى المقصود مما رقم ورسم فإنني أجيز الأخ
الفاضل المشار إليه بما أجازني به مشايخي وأسأل الله لي وله ولجميع المسلمين
الثبات على ما تحملناه والعمل على وفق ما علمناه [illegible]
[illegible] وذلك لكونه من [illegible] طليعة الإنسان
[illegible] وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا. [illegible] اليوم الخامس [illegible] الفقير إلى الله [illegible] عبد
عبد الله [illegible] العنقري [illegible]

وكتبت الإجازة بما تضمنه الثبت الذي أرويه من طريق شيخنا
الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق بلا [illegible] وإياه
ونص الثبت المذكور بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

إجازة الشَّيخ عبد الرَّحمن المباركفوريِّ لسماحته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله واصحابه اجمعين

اما بعد فيقول العبد الضعيف محمد عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري

عفا الله تعالى عنهما انه قد وقع لاتفاق في بلدة لكنؤ بالعلامة الاديب

والفاضل اللبيب مولانا الشيخ تقي الدين بن عبد القادر الهلالي بارك الله

في ايامه والليالي فذكر الفاضل الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف

ابن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي وقال بانه

قد قرأ كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث واصوله والتفسير

على شيوخه الاعلام ووصف لي علمه وفضله وصلاحه وتقواه وقال لي

انه يريد ان اجيز له برواية الحديث ووصل سنده بسند مولفيها الاجلاء

فاسعفته بمطلوبه تحقيقا لظنه ومرغوبه وان كنت لست اهلا لذلك ولا

ممن يخوض في هذه المسالك ولكن تشبها بالائمة الاعلام السابقين

الكرام ـ واذا اجزت مع القصور فانني ؛ ارجو التشبه بالذين اجازوا

السالكين الى الحقيقة منهجا ؛ سبقوا الى غرف الجنان ففازوا

فاقول وبالله التوفيق اني قد اجزت الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور

ان يروي عني كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث واصوله

والتفسير وان يقرأها واني قد حصلت القراءة والسماعة والاجازة

من شيخنا العلامة السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى

إجازة الرواية: المحدث / الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله

للشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (مفتي المملكة السعودية سابقاً)

وهو حصل القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ المكرم الاورع البارع
في الافاق محمد اسحق المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى وهو حصل
القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ الاجل مسند الوقت الشاه
عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى وهو حصل القراءة
والسماعة والاجازة عن الشيخ القرم المعظم بقية السلف وحجة
الخلف الشاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى
وباقي السند مكتوب في اوائل تحفة الاحوذي شرح الترمذي
قلت واجزته ايضا ان يروي عني جميع ما حواه اتحاف الاكابر في
اسناد الدفاتر من الكتب الحديثية وغيرها الشيخ شيوخ مشايخنا
الامام الحافظ الرباني القاضي محمد بن علي الشوكاني كما اجازني
برواية جميعه شيخنا العلامة حسين بن محسن الانصاري
الخزرجي اليماني رحمه الله تعالى وهو قد حصل الاجازة برواية
جميعه عن شيخيه العلامة الشريف محمد بن ناصر الحسني الحازمي
والقاضي العلامة احمد بن محمد بن علي الشوكاني كلاهما عن الامام
القاضي محمد بن علي الشوكاني مولف اتحاف الاكابر
وباقي السند مكتوب فيه واوصيه بتقوى الله في السر و
العلانية واشاعة السنة السنية بلا خوف
لومة لائم وان يلزم على نفسه الاتباع

والاجتناب عن الابتداع واسأل الله تعالى
ان يوفق لذلك لى وله والحمد لله رب العالمين
اولا واخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ❖
املاه المجيز الفقير الى احسان ربه الكريم محمد عبد الرحمن بن
الحافظ عبد الرحيم المباركفورى فى شهر رمضان سنة ١٣٤٩ من الهجرة النبوية

اشتغالُه بالتَّدريس

لَمَس فيه العلماء الذَّكاء المُتَوقِّد، والنَّجابة الظَّاهرة، فأدركوا أنَّه خَلَفُهم الذي يُمكن أن يُطمأنَّ إليه في مجالس العِلم، فأوصى عمُّه الشَّيخُ عبدُ اللَّه الملكَ عبدَ العزيز بابن أخيه خيراً، وذكر له ما يتمتَّع به من المزايا النَّادرة التي لا تَكاد تتوفَّر إلَّا في قليلٍ مِن الرِّجال الذين وَهَبهم اللَّه ذكاءً وفطنةً وجَلَداً وإخلاصاً.

ولمَّا توفِّي عمُّه الشَّيخ عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٣٩هـ)؛ أخذ سماحة الشَّيخ مَجلسَه وعمره ثمانيةٌ وعشرون (٢٨) عاماً؛ فبدأ بالتَّدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة.

ولمَّا توفِّي الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٥هـ)، ثمَّ الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ)؛ توسَّع سماحته في مجالس التَّدريس، واستقلَّ بأكثرها إلى جانب أعمامه وغيرهم من أفاضل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ الذين كانوا يقومون بالتَّدريس على فتراتٍ متعاقبةٍ في بعض العلوم.

فكان له النَّصيب الأوفر في كثرة المجالس وكثرة القاصدين له من طلبة العِلم، فكان يَعمُر نهاره بالتَّدريس؛ ويجلس أربع جلسات:

الأُولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

الثَّانية: بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

الثَّالثة: بعد صلاة الظُّهر.

الرَّابعة: بعد صلاة العصر.

وكلُّ هذه الجلسات كانت تُعقَد في جامع الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب في الرِّياض - في حيِّ دُخْنة شَمال الميدان - ما عدا جلسة الضُّحى؛ فقد كانت في أوَّل الأمر في هذا الجامع، ثمَّ نقَلها إلى بيته.

وكان سماحته ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد، فيقرأ عليه الوالد في بيته شروح الكتب؛ ومنها: «الرَّوض المُرْبِع»، و«سُبُل السَّلام»، و«شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك»، وما يُعِين عليها من المراجع.

الكُتُب التي يَشرَحُها

كان موسوعة في مختلف العلوم، فكان يعمر يومه بشرح العلوم المُتنوِّعة؛ ومِنَ الكتب التي كان يَشرَحُها:

أوَّلاً: بعد صلاة الفجر:

١ - ألفيَّة ابن مالك، مع شرح ابن عَقِيلٍ عليها.

٢ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٣ - بُلوغ المَرام.

وهذه الثَّلاثة يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٤ - الآجُرُّومِيَّة.

٥ - مُلْحَة الإعراب.

٦ - قَطْر النَّدى.

٧ - عُمدة الأحكام.

٨ - أصول الأحكام.

٩ - الحَمَويَّة.

١٠ - التَّدمريَّة.

١١ - نُخبة الفِكَر.

ثانياً: بعد شروق الشَّمس:

أ - في عِلم «العقائد»:

١ - كتاب التَّوحيد.

٢ - كشف الشُّبهات.

٣ - ثلاثة الأصول.

٤ - العقيدة الواسطيَّة.

ب - في عِلم «الحديث»:

٥ - الأربعون النَّوويَّة.

٦ - عمدة الأحكام.

ج - في عِلم «الفقه»:

٧ - آداب المشي إلى الصَّلاة.

وهذه الكتب يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٨ - مسائل التَّوحيد.

٩ - مسائل الجاهليَّة.

١٠- لُمْعة الاعتقاد.

١١- أصول الإيمان.

وقد يُدَرِّس غيرها؛ لكنَّه نادر.

وكانت تُقرَأ عليه بعضُ الشُّروح في أزمنةٍ مُتفرِّقةٍ، يتراوح ما يُقرَأ عليه منها في اليوم ما بين خمسة كتب إلى عشرة غالباً؛ ومِنْ تلك الشُّروح:

١ - فتح المجيد.

٢ - شرح الطَّحاويَّة.

٣ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تُقرَأ عليه المُطَوَّلات؛ ومنها:

١ - صحيح البخاريِّ.

٢ - صحيح مسلم.

٣ - السُّنن الأربعة.

٤ - مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٥ - مؤلَّفات ابن القيِّم.

٦ - مؤلَّفات ابن كثير.

وكلُّ ما جَدَّ من كُتب السَّلَف والمُحَقِّقين من العلماء.

ثالثاً: بعد صلاة الظُّهر:

١ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٢ - بُلوغ المَرام.

رابعاً: بعد صلاة العصر:

١ - كتاب التَّوحيد، وشرحه فتح المجيد.

وقد يُقرَأ عليه:

٢ - مسند الإمام أحمد.

٣ - مسند ابن أبي شيبة.

٤ - الجواب الصَّحيح لِمَنْ بدَّل دين المسيح.

وغيرها.

وكان الوالد رحمه الله هو الذي يقرأ عليه الكتب السَّابقة في الدَّرس، ويُدوِّن جميع شروحات سماحته.

وقد استمرَّ يُزاول التَّدريس اثنين وأربعين (٤٢) عاماً، بنشاطٍ لا يَفتُر، وهِمَّةٍ لا تَكِلُّ.

قال لي الشَّيخ صالح اللُّحيدان رحمه الله - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٤٣هـ): «الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم عبارة عن جامعة».

مَنهجُه في مجالس العِلْم

كان مَنهجُه في مجلس العِلْم كمجالس علماء السَّلف؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان حريصاً على نَفْعِ الطُّلَّاب، فيبذل وسعه في البحث التَّامِّ في المسألة.

٢ - كان يُعطي مجالس العِلم حقَّها مِن الاحترام والتَّقدير، والمكانة والهيبة.

٣ - لا يسمح للطَّالب أن يحضر درسه إلَّا إذا كان حافظاً للقرآن.

٤ - إذا هَمَّ بالجلوس للتَّدريس توضَّأ إن لم يكن على وضوء.

٥ - يستقبل القِبْلَة إذا كان الدَّرس في المسجد.

٦ - يَحرِص جدّاً أنْ يَحفَظ جميعُ الطُّلَّاب المنتظمين المتونَ، ولا يَرضى إلَّا بالحفظ المُتقَن.

٧ - يلتزم اللُّغة العربيَّة في مجالسه العِلْميَّة والعامَّة.

٨ - يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون، أو تعليقه على المُطَوَّلات؛ فلا تراه يلتفت، أو يشير بيدٍ، أو يعبث بشيء.

٩ - كان يتَّبع الدَّليل فيما يُقَرِّره، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «كان يعتني بالدَّليل، ويُرَجِّح به ما اختلف فيه العلماء من المسائل»[(١)].

---

(١) جوانب من سيرة الإمام ابن باز (ص٤٤٧).

١٠ - يَحرِص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطُّلَّاب، مَعنيّاً بتثبيتها؛ حتى إنَّه ليَكَاد يُغنِي بشرحه عن المُطالَعَة.

١١ - كان ينصح الطُّلَّاب، ويُذَكِّرهم بالإخلاص، ويَحُثُّهم على حفظ الوقت، ويُدَرِّبهم على البحث وإقامة الدَّليل، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان كثيراً ينصح الطَّلبة بالإخلاص للَّه في الطَّلَب، والازدياد في الاطِّلاع، وحفظ الوقت، ويسألهم عن المسائل التي تُدَرِّبهم على البَحْثِ وإقامة الدَّليل»[١].

١٢ - كان يُوَجِّه الطُّلَّاب في الدَّرس، ويرشدهم إلى أعالي الأخلاق والآداب، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا حكمة في توجيه الطَّلبة وتعليمهم، وكان يرفق بهم في مَحَلِّ الرِّفق، ويَقْوى عليهم في مَحَلِّ القوَّة، ويُوَجِّههم إلى الآداب الصَّالحة والأخلاق المرضيَّة»[٢].

١٣ - لا ينتقل الطَّالب عنده من متنٍ إلى متنٍ أطول منه إلَّا بعد حفظ الأوَّل وفَهمِه.

١٤ - يتخرَّج الطَّالب المُجِدُّ عنده في سبعِ (٧) سنوات.

١٥ - قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن منهجه في التَّعليم: «واللَّهِ لا أَعلمُ رأت عيناي قبل ذهاب البصر، ولا وَقَع في قلبي، مَنْ هو أحسن منه تعليماً، وأكثر فقهاً»[٣].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).
(٣) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

طَريقتُه في التَّدريس

كانت له طَريقةٌ فريدة في التَّعليم، لتصل الفائدة إلى الطَّالب وترسخ في ذهنه؛ وطَريقتُه في التَّدريس ما يأتي:

١ - يَطلب من بعض الطُّلَّاب أن يبدأ بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه ﷺ، والتَّرحُّم على المُؤلِّف، وأن يقرأ حفظاً موضوع الدَّرس إذا كان الكتاب مَتْناً.

٢ - يَقرأُ سماحتُه ما سَمَّعه الطُّلَّاب ممَّا سيشرحه.

٣ - يبدأُ شرحَه بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رَسولِ اللَّه ﷺ، وعلى آلِه وصَحبِه.

٤ - يَشرَع في شرح عبارات المَتْن بدقَّةٍ، جامعاً بين رَصَانَة العبارة ووُضُوحِها.

٥ - يُوَضِّح المسألة بذكرِ مثالٍ قريبٍ مِنْ ذِهنِ الطَّالب إن احتاجت المسألة لذلك، وأحياناً يُكثِر من الأمثلة؛ لزيادة التَّفهيم.

٦ - يَتَوسَّع في عَرْضِ بعض المسائل والتَّكلُّم عليها.

٧ - إذا كانت المسألة مُتشعِّبةً فمِنْ وسائل توضيحها عند سماحته طريقة التَّقْسِيم.

٨ - لا يَعرِض من الخِلَاف إلَّا ما كان ذا جدوى، ولا يذكر من الخِلَاف إلَّا الخِلَاف المشهور الذي له حظٌّ من النَّظر، ولا يُعرِّج على الأقوال الشَّاذَّة أحياناً إلَّا لإبانة خطأ.

٩ - إذا عَرَض لمسألةٍ فيها خِلَافٌ ذَكَر رأي المُؤلِّف أوَّلاً وأدلَّته، ثمَّ ذَكَر رأي المُخالِفِين كُلّاً على حِدَةٍ مع أدلَّتهم، وفي ذلك كلِّه يحترم كلَّ ذي رأيٍ من العلماء، ولا يذكره بما يسوء.

١٠ - قد يُصَحِّح أحد القَولَيْن دون سرد الأدلَّة؛ لقِصَر الوقت أو نظراً لحال الطَّالب.

١١ - يُرجِّح ما يراه؛ معتمِداً في ذلك على الدَّليل وأقوال المُحَقِّقين من أهل العِلْم، وله مع ذلك استنتاجات، وفهمٌ خاصٌّ للعبارات.

١٢ - إذا أطال في شرح مسألة يَذكُر خُلاصَتها فيقول: «المقصود»، أو «الحاصل».

١٣ - لا يخرج عن موضوع الدَّرس، وإن خرج - وهو نادر - بَيَّن السَّبب.

١٤ - لا يَجزِم بأيِّ معلومة إلَّا وهو عالم بها، وإذا لم يتبيَّن له الصَّواب في المسألة يُصرِّح بذلك؛ ومن الأمثلة:

أ - قال عن إحدى المسائل: «تَحتَ البحث».

ب - وفي بعضها قال: «البَحثُ يَحتاجُ إلى تأمُّل؛ ما سَمعتُه مِنْ أَحدٍ».

ج - وفي أخرى قال: «ولا أعرف وجه الجمع».

١٥ - فيما يتعلَّق بالعقائد: لا يحرص على ذِكْر آراء أهل البدع والإشراك، فإذا وَجَد ضرورةً لذلك، أو كان المُؤلِّف ذَكَرها؛ فإنَّه يتكلَّم عليها بتوسُّع، ويشتدُّ في الرَّدِّ عليهم دون إفراط.

١٦ - فيما يتعلَّق بقراءة الكتب المُطَوَّلات: لا يشرحها عبارةً عبارة؛ وإنَّما كان يقف عند المُهِمِّ منها، أو ما يَسأل عنه أحدُ الحاضرين.

١٧ - إذا فَرَغ من الدَّرس تلقَّى أسئلة الطُّلَّاب وأجاب عنها.

١٨ - لم يكن يَسمَح بإثارة الأسئلة التي لا فائدة منها، أو الدُّخول في مناقشات عقيمة.

١٩ - إذا سُئِل عن شيء لا يَعلَمُه يقول: «لا أدري»، دون أن يُبرِّر أو يزيد عن كلمة «لا أدري».

٢٠ - يَختَبِر الطُّلَّاب في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم فيما شَرَح لهم، وقد يُثير بعض الإشكالات العِلْميَّة؛ ليقدح أذهانَ الطُّلَّاب.

٢١ - في درس شرح متن «ألفيَّة ابن مالك» يَطلبُ منهم إعرابَ أبياتِها وشَواهدِها.

٢٢ - قال الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن طريقة سماحته في التَّدريس: «كان من أَعلمِ النَّاس في زمانه، ومن أَحسنِهم تعليماً، وتفقيهاً، وعنايةً بالطَّالب، وإلقاء الأسئلة، وحرصاً على استنباط ما عند

الطَّالب، وبيان الجواب، والتَّنبيه على الخطأ، وكان مَهِيباً رَحِمَهُ اللَّهُ، قويّاً في التَّعليم»[١].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

مسجد سماحة الشَّيخ الذي كان يدرِّس فيه





بيت سماحة الشَّيخ الذي كان يعقد فيه درسه وقت الضُّحى آخر حياته

تَلامِيذُه

تتلمذ على سماحته أفواجٌ من الطُّلَّاب، انتشروا في أنحاء المملكة العربيَّة السُّعوديَّة بين عالِمٍ، وقاضٍ، ومُدَرِّسٍ، وخطيبٍ، وواعظٍ؛ ومِنْ أشهرهم:

١ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ - المفتي العام للمملكة العَربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأرجو أَنْ أَكونَ حسنة مِنْ حسناته»[١].

٢ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيْد رَحِمَهُ ٱللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٠٢هـ).

٣ - الجَدُّ فضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن مُحمَّد ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٩٢هـ)؛ جامع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، وساعَدَه الوالد في جَمْعِها.

٤ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، مدير المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات الشَّرعيَّة - (ت ١٣٨٦هـ).

٥ - فضيلة الشَّيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المنطقة الغربيَّة - (ت ١٤٠٤هـ).

٦ - فضيلة الشَّيخ عبد العزيز بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ الأكبر، الرَّئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر - (ت ١٤٢٦هـ).

٧ - فضيلة الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ، وزير العدل، وعضو هيئة كبار العلماء - (ت ١٤٢٧هـ).

٨ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو لجنة الإفتاء - (ت ١٤٣٠هـ).

٩ - الوالد فضيلة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو ألزم طُلَّابه به، وجامعُ فتاويه ورسائله في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً - (ت ١٤٢١هـ).

١٠ - فضيلة الشَّيخ صالح بن علي ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤١٩هـ).

١١ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٣٢هـ).

١٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللَّجنة الدَّائمة للإفتاء - (ت ١٤٣١هـ).

ذَكاؤُه

كان يَمتازُ بالذَّكاء الحادِّ، والحافظة القَويَّة؛ ويتبيَّن ذلك في الآتي:

١ - كان يَعقِل أموراً وهو في الثَّالثة مِنْ عمره؛ قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «قال لي سماحة الشَّيخ: أذكر أحداثاً وعمري ثلاث سنوات».

٢ - كان يحفظ المتن من القراءة الثَّالثة، ورُبَّما الثَّانية.

٣ - استحضاره للأدلَّة وأقوال العلماء أمْرٌ عجَبٌ؛ ففي شروحه المُطَوَّلة يعزو المئات من النُّصوص وأقوالِ العُلَمَاء؛ وأثناء عملي في تحقيقها لم أره يُخطِئ في شيءٍ منها.

٤ - كان يُكرِّر شرح المُتُون، وبعضها بلغ ثمانيَ نُسَخ، وبين أوَّل شرح وآخر شرح لبعضها قرابة ثلاثين (٣٠) عاماً، ولا يَكادُ يختلف شرحه فيها؛ بل بعض الجمل منها بحروفها.

٥ - كان يَدُلُّ طلَّاب العِلم على مواضع المسائل في مظانِّها من الكتب، ذاكراً رقم الصَّفحة أحياناً.

٦ - إدراك محفوظاته العِلميَّة عن فَهْمٍ وبَصيرةٍ.

٧ - كانت تُعرَض عليه القضايا الطَّويلَة التي تبلغ ثلاث مئة (٣٠٠) صفحة تُقرَأ عليه، ثمَّ يُملِي ما يرى، مستحضراً كلَّ ما مَرَّ فيها من الجزئيَّات.

٨ - امتاز بسرعة البديهة والفهم.

٩ - كان يُدرِك حقيقةَ ما يُعرَض عليه من المُشكِلات، فيكشف ما وراءها من الدَّوافع ببَصيرَتِه الثَّاقبة، ولم يكن ينطلي عليه كيدٌ أو احتيالٌ.

١٠ - كان يُدرِك تقدير الوقت بالسَّاعة، ولا يكاد يُخطِئ في دقيقةٍ منها؛ مع العِلم بأنَّه لم يَستعمل السَّاعة في حياته.

١١ - كان يصِفُ في آخر حياته مشاهداتِه قبل أنْ يُكَفَّ بصرُه في صغره، وبينهما أكثر من ستِّين (٦٠) عاماً.

١٢ - قلتُ للشَّيخ صالح اللُّحيدان: «أنت ذكيٌّ، فمَنْ أذكى مَنْ رأيت؟ قال: في سرعة الاستنباط من الأدلَّة ما رأيتُ مثل الشَّيخ ابن باز، وفي سَعَة الاطِّلاع ما رأيتُ مثل الشَّيخ عبد اللَّه ابن حُمَيْد، قلتُ: والشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم؟ قال: ليس أحد مثله في الذَّكاء».

عِبادتُه

كان ﷺ سائراً على منهج سَلَف الأُمَّة، عاملاً بالكتاب والسُّنَّة، كثير العبادة؛ ويظهر ذلك في الآتي:

١ - حرصه على إخلاص العمل للَّه؛ فلم يكن يوماً طالبَ شهرةٍ، ولا باحثاً عن سُمعة؛ ولا يُعرَف عنه أنَّه تحدَّث عن أعماله - على جلالتِها وكثرتِها -.

٢ - كان يتحرَّى في جميع تصرُّفاته الظَّاهرة والباطنة التَّأسِّيَ بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة رضوان اللَّه عليهم.

٣ - كان مِنْ أكثر النَّاس استحضاراً لعظمة اللَّه والخشية منه.

٤ - كان يُحيي اللَّيل بالصَّلاة، ويُواظِب عليها في إقامته وسَفَره؛ قال الوالد ﷺ: «وقد صَحبتُه زمناً طويلاً وهو يَقومُ ما يقرب من ساعة ونصف آخرَ اللَّيل، لا يَترك ذلك، وقد لا يَعرفُ هذا كثيرٌ من النَّاس الذين لم يتَّصلُوا به».

٥ - عيناه تَغْرَورِق بالدُّموع حينما يكون في موقف مناجاة اللَّه، أو إذا سمع بعض ما يُحَرِّك القلوب، ويتجلَّى ذلك كثيراً فيما يُحييه من اللَّيل بالصَّلاة.

٦ - كان يُكثر من ذِكْر اللَّه والاستغفار.

أَخلاقُه

نال رَحِمَهُ اللَّهُ مكانةً كبيرةً في قلوب النَّاس بتوفيق اللَّه، ثم بما كان يَتَحلَّى به مِن أخلاقٍ سامية؛ ومن ذلك:

١ - كان من أنصح النَّاس للَّه عَزَّوَجَلَّ وللعباد والتَّلاميذ، قال سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أَعلَمَ منه، ولا أَفضلَ منه رضي اللَّه عنه، ولا أَنصحَ منه للأُمَّة والتَّلاميذ»[1].

وقال أيضاً: «فهو فيما عَلِمتُ مِنْ أَنصحِ النَّاس للَّه والعباد، واللَّهِ لا أَعلمُ أنصحَ منه في وقته، ولا أَعلمَ منه في وقته رَحِمَهُ اللَّهُ»[2].

٢ - كان حريصاً على نشر العلم النَّابع من الكتاب والسُّنَّة؛ فكان يُشير على النَّابغين أن يُظهروا علم السلف؛ ومِنْ أبرز ذلك: أنَّ الجَدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا فرغ مِنْ جَمْع كتاب «الدُّرر السَّنيَّة» في ستَّة عشر (١٦) مجلَّداً، قال له سماحته: «لعلَّك تجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، فشرع الجَدُّ في جَمْعِها وسَاعَدَه الوَالدُ، وكان سماحته يتابع جمعهما لها، ويُشرف عليها.

٣ - سلامة قلبه؛ فكان لا يَحملُ ضغينةً على مَنْ أَساءَ إليه.

٤ - لا يَنتقمُ مِنْ أحدٍ نَالَه بأذىً؛ بل كان دَيدنُه الصَّفْحَ والتَّجاوز.

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - يتنزَّه عن الغِيبَة والحديث في الآخرين بما يكرهون، ولم يَكنْ يَسمحُ لأَحدٍ أنْ يَتحدَّث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقُّصِهم؛ بل كان يقف دون ذلك، ويزجر مَنْ حاوله؛ عُرِف بذلك منذ حداثة سِنِّه حتى فارق الدُّنيا.

٦ - كراهيتُه الشَّديدةُ للمديح والثَّناء عليه؛ فما كان يرضى مِنْ أحدٍ أن يُثنيَ عليه، أو يبالغَ في مدحه؛ سواء كان ذلك مشافهةً أو كتابةً.

٧ - آتاه اللَّه هيبةً في نفوس النَّاس، ومع ذلك كان أنيساً عند مخالطته، ألوفاً لمعاشريه، لا يتَّصف بشيءٍ من الغِلظة، أو الفظاظة.

٨ - عُرِفَ بالبَذْلِ والسَّخاء؛ وبالأخصِّ ما يتعلَّق بإكرام العلماء والقُضَاة وطلَّاب العِلْم وذوي رَحِمِه، وكان لا يَتركُ مناسبةً مهمَّةً إلَّا أقام لها الوليمةَ الكبيرةَ ودعاهم إليها.

٩ - كَتَب اللَّه له المَحَبَّة والقَبول عند العامَّة والخاصَّة، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو مِنْ أَحبِّ النَّاس إِلَيَّ بعد رسول اللَّه وصحابته»[١].

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

صِفاتُه

كان يَتَحلَّى بصفاتٍ جليلة قَلَّ أنْ تَجتمعَ لأَحدٍ؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان يجتهد في تحرِّي الحَقِّ والدِّفاع عنه، ولا يأخذه في ذلك ضعفٌ، ولا يعتريه طَمَعٌ؛ قال عبد اللَّه الصَّانع رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] -: «سمعتُ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريَّ عدَّة مرَّات يدعو للشَّيخ مُحمَّدٍ بعد صلاته آخر اللَّيل، ويقول: إنَّني أَرجُو اللَّه أن يُبقِيَه لنصرة هذا الدِّين، وحِمَاية هذه الدَّعوة السَّلفيَّة، التي قام بها مُجَدِّد القرن الثَّاني عشر شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب»[(٢)].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ جالساً عند شيخنا - الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ - قبل وفاته بأحدَ عشرَ يوماً، وعلى وجه التَّحديد في السَّاعة الرَّابعة من يوم (٢٣) من المُحرَّم (١٣٧٣هـ)، وقد اشتدَّ به المرض رَحِمَهُ اللَّهُ، فتأوَّه وقال: إنَّ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ قد كادت تنمحي، ولكن نسأل اللَّه أنْ يُبقيَ لها هذا الكهفَ الظَّليل، وهو الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم لحمايتها والذَّوْد عن حِياضِها، ويَجبُ على المسلمين عامَّةً وعلمائهم خاصَّة أنْ يدعوا له بالتَّثبيت والقوَّة»[(٣)].

٢ - له حظٌّ وافرٌ مِن الشَّجاعة وقوَّة الشَّكيمة.

---

(١) من تلاميذ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

(٣) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٦).

٣ - كان قويّاً في الحَقِّ، لا يخاف في اللَّه لومة لائم، وله في ذلك مواقفُ حَفِظَها التَّاريخ، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا غَيْرة عظيمة، وهمَّة عالية رفيعة، وكان كَهفاً مَنِيعاً لأهل الحَقِّ مِنْ دُعاة الهُدَى، وكان ذا حَزْمٍ وصَبرٍ وقوَّةٍ في الحَقِّ، لا تَأخذُه في اللَّه لَوْمَة لَائمٍ»[1].

٤ - كان يُطيل التَّأمُّل والتَّعمُّق، ويُبعِد النَّظَر في عواقب الأمور، وفيما يُعرَض عليه مِن القضايا التي تَجِدُّ تِباعاً، فكان يَصِلُ بعد ذلك إلى الاستنتاج الدَّقيق الذي لا يكاد يختلف، ولا يخالفه فيه ذو إنصاف.

٥ - كان مُهتمّاً بأمر المسلمين؛ فيسأل أهل البلدان والأمصار عن أحوالهم؛ ويأتي أحدهم بالخبر يحسب أنَّه لا يَعلَمُه؛ فيخبره سماحته بأكثر منه في بلاده، أو بلدان أخرى.

٦ - كان يَكرَه المُتَمَلِّقين.

٧ - اتَّصَف بالعِفَّة والتَّورُّع عن أَخْذِ ما ليس له، أو ما يَرى فيه شبهةً؛ ومِنْ أمثلة ذلك:

أ - كان حريصاً على أنْ لا يُدْخِلَ نفسه في مَداخلَ مُشتَبِهة.

ب - لم يُعرَف أنَّه اشتغل بالبيع أو الشِّراء، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة؛ بل كان مُقتصِراً على ما يتقاضاه مقابل عمله.

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

ج - كان يشغل عدَّة أعمال ولا يتقاضى عليها شيئاً إلَّا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال.

د - كانت الدَّولة تُكَلِّف موظَّفيها للعمل في مدينة الطَّائف صيفاً، وتصرف لهم مبلغاً من المال مقابل ذلك، وسماحته لا يأخذ من ذلك شيئاً.

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أعرف عنه أنَّه طَلَبَ مِن المسؤولين شيئاً يَخُصُّه».

الأعمال التي قام بها

كان أُمَّةً في رَجلٍ، عالِماً مباركاً، جَمَع اللَّه له العِلْمَ والعبادةَ ونَفعَ الخَلْقِ، وقد تَقَلَّد أعمالاً كثيرة؛ منها:

١ - التَّدريس، وهو العمل الرَّئيس الذي استغرق أكثر أيَّام حياته.

٢ - الفتوى؛ فقد كان يُشارِك فيها حتى توفي الشَّيخ سعد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ)، ثمَّ استقلَّ بها حتى تحوَّلت بأَخَرَةٍ إلى عملٍ مُنَظَّم في دار الإفتاء؛ حين أُنشِئت عام (١٣٧٤هـ)، وظَلَّ يفتي حتى وافته المَنِيَّة.

٣ - القضاء، فلَمَّا حُوِّل القضاء - نظراً لاتِّساعه - إلى رئاسة؛ أُسنِدَت إليه رئاسته.

٤ - رئاسة المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات منذ إنشائها عام (١٣٧٠هـ)، وهو الذي أشار على الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بفتحها.

٥ - الإشراف على مدارس البنات منذ افتتاحها عام (١٣٧٩هـ).

٦ - الإشراف على تأسيس الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المُنوَّرة، وكُلِّف برئاستها عام (١٣٨١هـ).

٧ - رئاسة رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها عام (١٣٨١هـ).

٨ - رئاسة مجلس القضاء الذي شُكِّل عام (١٣٨٨هـ)؛ وعُقِد في حياته مرَّتين.

٩ - تشكيل هيئةٍ تَضُمُّ كبار العلماء.

١٠ - إمامة جامع حيِّ دُخْنة بالرِّياض، وخطابة الجامع الكبير - جامع الإمام تركي بن عبد اللَّه -.

ومثل هذه المناصب والمهامِّ لا يقوم بها كلُّ أَحدٍ، وإنْ قام بها مفردةً لم يقم بها مجتمعة، ولكن سماحة الشَّيخ آتاه اللَّه القُوَّة والجَلَد، وبَذْل الوقت والنَّفس للخلق، والصَّبر وتَحمُّل الأعباء، مع حَصَافَة العقل وسَعَة العِلْم، والمقدرة النَّادرة في معالجة قضايا النَّاس، وقضاء حوائجهم، فأُوكِلَتْ إليه هذه المناصب؛ لثقة ولاة الأمور به، وعلمهم بكفاءته وتأهيله.

آثارُه

سَخَّر رَحِمَهُ اللهُ عُمُره لنَفْعِ المسلمين؛ بالتَّدريس والإفتاء والرَّأي السَّديد والنُّصْح لهم، فخَلَّف كنوزاً كثيرةً من العلوم والمعارف، ومِنْ ذلك: ما كَتَبه الوالد رَحِمَهُ اللهُ مِنْ شروح سماحته خلال ملازمته لدروسه، وما جَمَعَه مِنْ فتاواه ورسائله؛ ومنها:

١ - شرح العقيدة الواسطيَّة.

٢ - شرح كشف الشُّبهات.

٣ - شرح ثلاثة الأصول.

٤ - شرح كتاب التَّوحيد؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

٥ - شرح الحَمَويَّة؛ في مجلَّدين.

٦ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

٧ - شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها.

٨ - شرح آداب المشي إلى الصَّلاة.

٩ - شرح الرَّوض المُرْبع؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

١٠ - فتاواه ورسائله، في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ولها فهرس تفصيليٌّ في مجلَّد، وقد جَمَعها الوالد رَحِمَهُ اللهُ، وقال عنها: «لو لم يكن له أَثرٌ سواها لكَفَى به فخراً؛ لم يَصِل إليه غيره من أهل عصره».

ومع أنَّ شروحه وفتاواه لم يُحَرِّرها بيده؛ لكونه كفيف البصر، إلَّا أنَّ اللَّه عوَّضه بالوالد، فكان بارّاً به، وفيّاً له، فأخرج علومه حتَّى أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زَاخرٍ بالعِلْم، وتَعليمِ النَّاس الدِّين، والنُّصحِ للأمَّة، نزل به مرضٌ يشتدُّ عليه يوماً بعد يوم، ومرضه لم يمنعه من ذِكر اللَّه والاستغفار، حتَّى دخل في غيبوبة تامَّة، انتهت به إلى الوفاة في الرَّابع والعشرين من شهر رمضان، عام أَلفٍ وثَلاثِ مئة وتِسعةٍ وثمانين (٢٤/ ٩/ ١٣٨٩هـ)، عن عُمُر يُناهِز ثمانية وسبعين (٧٨) عاماً.

وقد صُلِّيَ عليه في الجامع الكبير في مدينة الرِّياض، وأَمَّ النَّاسَ تلميذُه سماحةُ الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحَضَر الصَّلاةَ جمعٌ غفيرٌ مِن الأمراء والعلماء والأعيان، يتقدَّمهم الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومِنْ كثرة المُصَلِّين ضاق المَسجدُ على سَعَته، وصَلَّى كثيرٌ منهم خارج المسجد، وأُغلقت الطُّرُق بالسَّيارات والمُشاة، ولم يكن بين وفاته والصَّلاة عليه إلَّا ساعتان، وتَبِعَه المُصَلُّون إلى «مقبرة العود» حيث وُورِيَ هناك.

وقد حَزِن النَّاس لوفاته، ورَثَاه نيِّفٌ وعشرون عالِماً بما يزيد على أربع مئة (٤٠٠) بيت، وبلغت التَّراجم عنه أكثر من خمسين (٥٠) تَرْجَمَة.

قال الوالد: «تغمَّد اللَّه شيخنا برحمته، وسَدَّد خُطَا خلفائه، ونَفَعَ بعلومه، وجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ».

بُحوثٌ عِلميَّةٌ عن عِلْم سماحته

اتَّصف سماحة الشَّيخ بالعِلْم الغزير، وانتفع النَّاس به؛ فصُنِّف في «مجموع فتاواه ورسائله» التي جَمَعَها الوالد أبحاثٌ ورسائلُ عِلميَّة؛ ومنها:

١ - الاختيارات الفقهيَّة في مسائل العبادات لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

٢ - القواعد الأصوليَّة والقواعد والضوابط والفوائد الفقهيَّة؛ من فتاوى ورسائل الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - المنهج القضائيُّ لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة دكتوراة».

٤ - اختيارات الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ وآراؤه الفقهيَّة في قضايا معاصرة؛ «رسالة دكتوراة».

٥ - فقه الدَّعوة إلى اللَّه في فتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ - دراسة تحليليَّة -؛ «رسالة ماجستير».

٦ - الجهود التَّربويَّة لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة ماجستير».

٧ - منهج الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في الدَّعوة إلى اللَّه؛ «رسالة ماجستير».

٨ - تخريج الفروع على الأصول عند الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ من خلال فتاويه ورسائله - جَمْعاً ودراسة -؛ «رسالة ماجستير».

٩ - جهود سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في تقرير العقيدة؛ «رسالة ماجستير».

أسأل اللَّه أنْ يَغفرَ له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.



ترجمة الوالد العلامة

محمد ابن قاسم رحمه الله (١)

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «مختصر ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد ابن قاسم رحمه الله؛ جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله، وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمه الله».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن قاسمٍ، من آل عاصم، من قبيلة قحطان.

ولد سنة ألف وثلاث مئة وخمس وأربعين من الهجرة (١٣٤٥هـ) في بلدة «البِير» - تبعد عن الرِّياض مئة وعشرين (١٢٠) كيلومتراً شمالاً -.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأَ نشأة دينيَّة عِلميَّة؛ فوالده الشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ جامع «الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجديَّة» - ستة عشر (١٦) مجلَّداً -، ومُصنِّفُ «حاشية الرَّوض المُرْبع» - سبعة (٧) مجلَّدات -، وغير ذلك من المُؤلَّفات النَّافعة.

وكان والده حريصاً عليه؛ فوجَّهه منذ صغره لتعلُّم القراءة والكتابة، ولَمَّا أتقنهما حَضَر والده إليه - وهو في الكُتَّاب - وأخذ بيده وأخرجه منه، وقال له: «أُريدك أن تكون عالِماً، وليس كاتباً فقط».

فقَدِم والدي على سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره ستُّ (٦) سنوات؛ للالتحاق بدروسه، فسأله سماحته: «هل أنت حافظٌ للقرآن؟ فقال: لا، فقال له: لا يحضر عندي أحد في الدَّرس إلَّا وهو حافظ للقرآن»، فعَكَف على حفظ القرآن الكريم، وحفظه في ثمانية أشهر، ثمَّ التحق بدروس سماحة الشَّيخ وغيره.

شُيوخُه

طَلَبَ العِلم على كبار العلماء في عصره، ومِنْ أولئك:

١ - سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس القضاة والشُّؤون الإسلاميَّة - (ت ١٣٨٩هـ)؛ قرأ عليه في التَّفسير، والعقيدة، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والفرائض، والنَّحو والصَّرف، والعَرُوض، والتَّاريخ، وغيرها من العلوم.

٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، ومدير المعاهد العلمية والكليَّات - (ت ١٣٨٦هـ)؛ قرأ عليه الفرائض.

٣ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)؛ قرأ عليه في الحديث وعلومه: «نُخبَة الفِكَر» و«بلوغ المرام»، وفي الفقه: «زاد المستقنع».

٤ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيد رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس المجلس الأعلى للقضاء - (ت ١٤٠٢هـ)؛ قرأ عليه في النَّحو: «الآجُرُّومِيَّة».

٥ - والده العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ - صاحب المُؤلَّفات النَّافعة - (ت ١٣٩٢هـ)؛ قرأ عليه في الفقه.

وكانت حصيلته العِلميَّة واستفادته الكبرى من سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ما اختُصَّ به الوالد في دروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمهما الله

اختُصَّ الوالد رحمه الله عن أقرانه في دروس سماحة الشَّيخ رحمه الله بعدَّة أمور؛ منها:

١ - أنَّه أكثر الطُّلَّاب ملازمة لسماحة الشَّيخ؛ فقد بدأ في ملازمته وعُمُره سبع (٧) سنوات، وامتدَّت ملازمته له سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً - من عام (١٣٥٢هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ) -.

٢ - أنَّه كان يجلس مُلاصِقاً لسماحة الشَّيخ في الدَّرس.

٣ - أنَّه هو الذي يقرأ الدَّرس على سماحته.

٤ - أنَّه الوحيد من طلَّاب سماحة الشَّيخ الذي يُدَوِّن جميع شروح سماحته، ولا يُعرف في التَّاريخ أنَّ تلميذاً كرَّر تدوينَ شرحِ شيخِه لكتابٍ ثمانيَ مرَّات.

٥ - أنَّ سماحة الشَّيخ كان يُمثِّل باسمه في درسه، قال رحمه الله في شرح الرَّوض المُرْبِع: «الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام؛ هذه الدَّار وُقِفتْ على مُحمَّد ابن قاسم، وجُعِل له النَّظَر فيها».

٦ - كان سريع الكتابة جدّاً، لا يَفوتُه من شروح سماحة الشَّيخ شيءٌ.

٧ - مَكَثَ الوالد سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً يُدَوِّن ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٨ - الدُّروس الأخيرة لسماحته لم يحضرها من طلَّاب العِلم الكبار سواه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن آخرِ شرحٍ لسماحته للرَّوض المُرْبِع: «أكثر طلَّاب العِلم عليه قد تخرَّجوا ولم يُدرِكوا هذه القراءة، كما أنَّه قد استوفى كلَّ ما لديه فيها؛ لِمَا يرى من العناية بما يُقَرِّر، ولأنَّه يجزم بأنَّه ليس عنده وقت ولا طلَّاب؛ لأنَّ الأكثريَّة دخلوا المعاهد والكُلِّيَّة».

وقال أيضاً: «والَّذين درَسوا عليه قبلُ لم يُدرِكوا أكثر هذا الشَّرح والتَّفصيلِ والتَّصويرِ والتَّرجيحِ واختياراتِه، حتى الَّذين نقلوا عنه».

طَريقةُ تدوين الوالد لشروح سماحته رَحِمَهُمَا اللَّهُ

كان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصاً على نَفْعِ نفسه وغيره من عِلم سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، أميناً فيما يسمعه من سماحته، دقيقاً في تدوينه، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - أنَّه يُدَوِّن كلَّ ما سمعه من سماحة الشَّيخ بحروفه مِنْ فِيه في حِينِه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكتب لفظَه مِنْ فِيه في حِينِه؛ حِرْصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقْل»[(١)].

وقال أيضاً: «كتابتي عن سماعٍ في الحال، لا أُسقط حرفاً ولا أزيد».

٢ - إذا كان يكتب ونَفِدَ الورق كَتَبَ على ذراعه؛ لئلا يفوته شيء، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعض الأحيان أكتب الفائدة أو بَقيَّتها في ذراعي إذا نَفِد الورق».

٣ - أنَّه لا يُغَيِّر ما سمعه ولو كان في ضبط حركات الكلمة، قال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما لو كان مربوط، أو مُحَرول[(٢)]، أو مريض لا يقدر».

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقاً على هذا: «هذه الكلمات كتبتها هكذا، لأنَّه وَقَف عليها بالسُّكون»[(٣)].

---

(١) شرح كشف الشُّبهات (ص١٦٥).

(٢) أي: مُقعَد.

(٣) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص١٩٨).

٤ - أنَّه يكتب جميع شروح سماحته للكتب، حتى ولو كان سماحته قد كرَّر شرحه، فقد كَتَب شرح الواسطيَّة ثمانيَ (٨) مرَّات، وشرح كشف الشُّبهات ستَّ (٦) مرَّات، وشرح الأربعين النَّوويَّة أربع (٤) مرَّات، وشرح الرَّوض المُرْبِع ثلاث (٣) مرَّات، وشرح آداب المشي إلى الصَّلاة مرَّتين.

٥ - إذا لم يُدَوِّن شرح الدَّرس؛ يترك صفحة فارغة من الدَّفتر أو جزءاً منها في موضع شرح الدَّرس، ويُبَيِّن سبب عدم تدوينه للشَّرح في ذلك اليوم، ومن الأسباب التي ذكرها: «لم أجد سيارة توصلني للدَّرس، انتهى الحبر، طَفَى السِّراج، طَفَى الكهرب، طَفَت اللَّمبات».

وما فاته يستدركه من شروحات سماحة الشَّيخ المتكرِّرة للكتاب نفسِه.

المَشقَّة التي لاقاها الوالد في تدوين شروح سماحته رحمهما الله

لَقِي الوالد رحمه الله مشقَّةً شديدةً في التَّدوين، وبيان ذلك في الآتي:

١ - طُولُ زمن الكتابة التي امتدَّت سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً، يُدَوِّن فيها ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٢ - أنَّ درس سماحة الشَّيخ يستغرق أكثر من ثماني (٨) ساعات يوميّاً، فقد كان لسماحته أربع جلسات يُدرِّس فيها، وهي:

أ - بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

ب - بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

ج - بعد صلاة الظُّهر.

د - بعد صلاة العصر.

وكان الوالد يدوِّن جميع الشُّروح في تلك الجلسات.

٣ - استرسال سماحة الشَّيخ في الشَّرح الذي يفوق سرعة الكتابة المعتادة.

٤ - كانت كتابة الوالد في بداية صناعة الأقلام، وكانت بدائية لا تُعِين على سرعة الكتابة.

٥ - قِلَّة الأوراق زمن كتابة الوالد.

٦ - انعدام الأمور المُعِينة على الكتابة - كالطَّاولة ونحوها -.

٧ - كانت كتابته على ضَوْء السِّراج أكثر من خمسة عشر (١٥) عاماً، وكان ضَوْء السِّراج ضعيفاً[١]، ثم لَمَّا دخلت الكهرباء في الرِّياض كانت كثيرة الانقطاع.

٨ - كانت جِلسته في الدَّرس: يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، ويثني قدمه اليمنى مرفوعة جهة بطنه، ويضع الدَّفتر على فخذه الأيمن، ويكتب ما يسمعه من سماحته قرابة أربع ساعات وهو على هذه الهيئة لا يغيرها.

٩ - كانت للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ طريقةٌ في مَسْكِ القلم أثناء الكتابة؛ فقد كان يُمسك القلم بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى مع إبهامه، خلافاً لما هو معتاد مِن النَّاس مِن مَسْكِ القلم برأس أنملة السَّبَّابة مع الوسطى والإبهام؛ ومن كثرة كتابته لشروح سماحته وغيره سنين طويلة؛ رأيتُ جانب إصبعيه السَّبَّابة والوسطى محفورتين من أثر مَسْكِ القلم.

---

(١) الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عَمِيَ بصرُه من وميض السِّراج وهو يُدَوِّن كتابه: «جامع المسانيد». المصعد الأحمد (ص٢٣).

هيئة جلوس الوالد في درس سماحة الشَّيخ
وتدوينه للشَّرح السَّاعات الطِّوال



طَريقةُ مسك الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقَلَم





المَشقَّة التي لاقاها الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قراءة ما كَتَبَه

وكما كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَجِدُ مَشَقَّة في الكتابة، يَجِدُ مَشَقَّة أخرى وهي قراءة ما كَتَبَه بسرعة، وقد بيَّن ذلك في الآتي:

١ - قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم أنا أُلاقي في صعوبةِ التَّلقِّي والكتابة أوَّلاً، وصعوبة قراءة المكتوب الآن أخيراً؟!».

٢ - كان صابراً على هذه المَشَقَّة رجاء ثواب اللَّه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنا أتعب في الكتابة لاستقبال ما يقول وكتابتِه بسرعة؛ أخشى أن تفوت الفائدة، أو أن أكتبها بطريقة الشَّكِّ فيها، وكذلك في هذا النَّسخ، وأرجو اللَّه المَثوبَة».

٣ - كان يجد العون من اللَّه في قراءة ما انغلق عليه ممَّا كتبه، وقد وَصَفَ ذلك بقوله: «كلَّما اشتبه عليَّ شيء من الكتابة أجد عوناً على فهمه».

٤ - فَهمُه لدروس سماحة الشَّيخ ومعرفته بمعانيها ساعدته بعد عون اللَّه في قراءة ما كتبه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفتي بالمعاني ساعدتني على قراءة ما كتبته بهذه السُّرعة».

خطُّ الوالد أثناء كتابته لشروح سماحة الشَّيخ

عِلْمُ سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بكتابة الوالد رحمهما الله

كان سماحة الشَّيخ على عِلمٍ بتقييد الوالد لكلِّ ما يقوله، ومطمئنّاً لأمانته، ودِقَّته، وحِرْصِه في كلِّ ما يُدَوِّنه عنه في شروحه وغيرها، ويدلُّ على ذلك الآتي:

١ - قال الوالد رحمه الله: «لا يَخفَى عليه اهتمامي بالكتابة عنه».

٢ - قال الوالد رحمه الله: «كنتُ القارئ عليه، وكان ينتظر أحياناً حتى أكمل الكتابة، وهو يسمع صريخ - صوت - القلم، ويقول: انتهيتَ يا مُحمَّد؟ وأنا أيضاً أُشغِله بقول: أحسن اللَّه إليك، وكانت عادتنا بعد كلِّ جملة يشرحها إذا أنهاها أقرأ ما بعدها وهكذا».

٣ - كان سماحته يدلُّه على مواطن تحتاج إلى تلخيصِ شَرْحِها ممَّا كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول[1]: «لا بُدَّ من تلخيصٍ للكتابة».

٤ - كان سماحته يُحِيل على ما كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح شروط الصَّلاة: «تقدَّم لنا معنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه بآخِرِ كتابة».

---

(١) (ص١٣٨).

٥ - شَهِد له أقرانه بأمانته فيما نَقَلَه ودَوَّنه ممَّا سَمِعه من سماحة الشَّيخ، حدَّثني الشَّيخ صالح ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - أنَّه قال في اجتماعٍ لهيئة كبار العلماء، وبحضور سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكفينا من الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ أمانته في تدوين ما يسمعه من سماحة الشَّيخ».

أَثَرُ ملازمة الوالد وكتابته لشروح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمهما الله

قُرْب الوالد من سماحة الشَّيخ رحمه الله، وتقييد شروحه وغيرها كان له أثرٌ كبيرٌ في حِفظ ونَشْرِ عِلم سماحة الشَّيخ، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - رَزَقَ اللَّه سماحة الشَّيخ عِلماً غزيراً، وقد سَخَّر اللَّه له الوالد لحِفْظِ عِلمه، قال الوالد رحمه الله: «ولمَحَبَّتي لحِفْظِ العِلم ونَشْرِه، حرصتُ على تسجيل هذه التَّقريرات في دفاتري، وظَلَّت محفوظةً عندي كغيرها من شروحات الشَّيخ وتقريراته وفوائده، ولولا لُطْفُ اللَّه بي وبها وبشيخنا لطارت في الهواء، أو نَدَّت في الصَّحراء؛ فلم يكن أحد يحفظها حرفيّاً أو يُقَيِّدها ويمتلك زمامها»[1].

٢ - أنَّه الوحيد الذي أخرج عِلم سماحة الشَّيخ، فجميع شروح وفتاوى ورسائل سماحته لم يُخرِجها إلَّا الوالد.

٣ - اختاره الملك فيصل رحمه الله لجمع فتاوى ورسائل سماحته والإشراف على طباعتها[2]، فطُبِعت في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ووَضَع لها فهرساً تفصيليّاً في مجلَّدٍ.

(١) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص١٧١).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٤).

٤ - بفَضْلِ اللَّه ثمَّ الوالد أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

٥ - عَرَف العلماءُ للوالد قَدْرَه في حِفْظِ عِلم سماحته ونَشْرِه، وشَهِدوا له بذلك، فقال الشَّيخ صالح ابن غصون، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان - عضو هيئة كبار العلماء -، والشَّيخ عبد الرَّحمن البرَّاك - عضو هيئة التَّدريس بجامعة الإمام -، وغيرهم من العلماء، قالوا جُمْلَةً واحدةً: «إنَّ اللَّه حَفِظ بالشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ عِلم سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم».

مَكانةُ الوالد عند سماحة الشَّيخ رَحِمَهُمَا اللَّهُ

كان سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعتني بطلَّابه، ويَخُصُّ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعناية خاصَّة، ومنزلة عالية، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - حدَّثني الوالد وكتب بخَطِّ يده: «أصابني الجُدَريُّ[1] ولم يكن لي أحد في الرِّياض، فاستدعاني الشَّيخ إلى بيته، وجعلني في مكتبته، وخَصَّصَ لي مَنْ يداويني ويقوم برعايتي، وخَشِيَ الشَّيخ أن يُكَفَّ بَصَري، فقال: ضَعُوا في عينه عسلاً؛ فلم يُكَفَّ بَصَري».

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأرجو أن يكون ما كتبته عنه وفاءً له».

٢ - كان سماحة الشَّيخ يطلب من الوالد أن يقرأ عليه لتحضير درس الغد، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمَّا كنتُ أطالِع على الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كعادته كتحضيرٍ لقراءة الغد، وقلتُ: كتاب الوقف؛ قال: الوقف يوقِف قارئاً أن يَقْحما[2]».

٣ - كان سماحة الشَّيخ يتوقَّف عن الشَّرح يسيراً كي يُكمِل الوالد الكتابة.

٤ - كان الوالد في بعض الأحيان يستأذن للخروج من الدَّرس لحاجة، فإذا رجع، أعاد سماحته ما فات الوالد من الشَّرح.

---

(١) الجُدَريُّ: قروحٌ في البَدَن تَنَفَّطُ عن الجلد، مُمْتَلِئَة ماءً، وتَقَيَّحُ. لسان العرب (٤/ ١٢٠).

(٢) أي: قف في قراءة هذا اليوم إلى هنا - كتاب الوقف -.

٥ - رفع سماحة الشَّيخ للملك سعود رحمهما الله قائمة بأسماء الطُّلَّاب النَّوابغ لديه لتكريمهم، وكان من ضِمنهم الوالد، وكان أصغرَهم.

٦ - حَرَص سماحته أنْ يقوم الوالد بطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام؛ فكتب للوالد: «نُعمِّدك بسرعة السَّفَر إلى مكَّة المكرمة لتلك المُهِمَّة».

٧ - فرَّغ سماحتُه الوالدَ من التَّدريس وجميعِ أعماله لطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، فكتب له: «عَمَلُك في التَّدريس بمعهد الرِّياض محفوظٌ لك بعد عودتك من هذه المهمَّة - إن شاء اللَّه -، وتُعفَى من التَّدريس بمكَّة، أو أيِّ عمل خلاف ما انتُدِبتَ له».

٨ - كان سماحته يَثِقُ بالوالد، فكتب له بخصوص طَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «المُصَحِّحون والنُّسَّاخ على حسب اختيارك».

٩ - كان يُتابع عمل الوالد في طباعة مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ويدعو له بالتَّوفيق، فكتب له: «عليك بالمبادرة بالسَّفَر على هذه الأُسُسِ، والاجتهاد في إنجاز ما وُكِّل إليك من عمل، وإخبارنا دائماً بمراحل العمل وتطوُّراته، والتَّعقيب على المطبعة دائماً وأبداً في إنجازه، واللَّه يُوَفِّقُك».

١٠ - كان سماحته يفرح بما يُقَدِّمه الوالد من نَفْعٍ للمسلمين؛ حدَّثني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «لمَّا فرغتُ من تحقيق وتكميل كتاب (نقض تأسيس الجَهميَّة) لشيخ الإسلام، قال لي الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم: سنذهب معاً للملك فيصل لطباعته، فوافق الملك على طباعته».

١١ - سماحة الشَّيخ والجَدُّ عبد الرَّحمن ابن قاسم رحمهما الله أقرانٌ في السِّنِّ، فسماحته أسنُّ من الجَدِّ بعامٍ واحدٍ، وقد طَلَبا العِلم معاً على العلماء منذ عام (١٣١٥هـ)، وبينهما أُخوَّة وصداقة ومراسلات، وكان الجَدُّ يُلَقِّب سماحته بـ«الشَّيخ الوالد» تقديراً له، وسماحته يُجِلُّ الجَدَّ، ويقرأ مؤلَّفاته في دروسه كـ«أصول الأحكام»؛ بل كان سماحته يطلب مُسَوَّدة حاشية الجَدِّ على الرَّوض المُرْبِع لتُقرَأ عليه حين تحضيره لدرس الغد.

وزادت العلاقة متانةً بقُرْبِ الوالد من سماحته، فبلغ زمن العلاقة بينهما أربعة وسبعين (٧٤) عاماً - من عام (١٣١٥هـ) إلى حين وفاة سماحته عام (١٣٨٩هـ) -، لذا كان سماحته رحمه الله يقول مراراً: «نحن وابن قاسم شيءٌ واحدٌ».

ولا تزال العلاقة مُستمرَّة بين الأسرتين منذ مئة وثلاثين (١٣٠) عاماً إلى اليوم، محفوفةً بالمَودَّة والتَّقدير.

١٢ - بَعَثَ سماحة الشَّيخ للجَدِّ رسالةً، كتب في آخرها: «وسلِّم على ابنكم مُحمَّد كثيراً».

١٣ - لمَّا عَيَّنَ سماحةُ الشَّيخ طُلَّابَه في مناصب، قال للوالد رحمه الله: «لم نَنْسَك يا مُحمَّد، نريدُك في مكانٍ لائق»، فقال له الوالد: «أريد أن أتفرَّغ لمساعدة والدي في جمع الفتاوى، ولإخراج تقريراتكم».

مَكانةُ سماحة الشَّيخ عند الوالد رحمهما الله

نَشَأ الوالد منذ صغره في كَنَفِ سماحته رحمه الله، ولِمَا يتَّصِفُ به سماحته من أخلاق عالية وعِلميَّة فريدة؛ أحبَّه الوالد حُبّاً جَمّاً، وكانت له منزلة عالية عنده، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - سألتُ الوالد رحمه الله: «كيف كان حبُّك لسماحة الشَّيخ؟» فقال: «كُنَّا في الطَّريق من الرِّياض إلى مكَّة للحَجِّ في سيارة قبل سيارة الشَّيخ بمسافة، فتأخَّرَت سيارة الشَّيخ كثيراً، فتوقَّفنا لانتظاره، وجلستُ أبكي؛ خشِيتُ أنَّ الشَّيخ أُصيبَ بشيء، فلمَّا قَدِم الشَّيخُ فرحت فرحاً شديداً، وذهبتُ للسَّلام عليه»، فقلتُ للوالد: «هل عَرَفَ الشَّيخ أنَّك كنتَ تبكي عليه؟» قال: «نعم، عَرَفَ ذلك من صوتي».

٢ - مِنْ حبِّ الوالد لسماحته: أنَّه كتب بخطِّه وصْف لباسه وَصْفاً دقيقاً فقال: «جَيْبُ شيخنا على صدره وهو مخفيٌّ تحت الثَّوب - لا فوقه، ولا في جنب الثَّوب كما هو الآن -، فيه الخَتْم، والعُود (الطِّيب)، والمفاتيح، والمِسواك».

٣ - كنتُ إذا أَردْتُ أن يُسَرَّ الوالد، أقول له: «حدِّثني عن سماحة الشَّيخ»؛ فيدخله السُّرور سريعاً، ويسترسل في الحديث عنه.

٤ - كان الوالد يُوصِي بقراءة كتب سماحته، فكتب الوالد رحمه الله: «مَنْ فاتته القراءة على شخصه فليستمع إلى ما قرَّره».

وكتب أيضاً: «مَنْ لم يُدرِك هذا الشَّيخ ليُسمِّع عليه، ويَسمَع شرحه، فليقرأ هذا الشَّرح[١]».

٥ - كان يُسافِر أسبوعيّاً بالسَّيَّارة من الرِّياض إلى مكَّة ذهاباً وإياباً - ألفاً وثمان مئة (١٨٠٠) كيلومتر -، لطَبْعِ فتاوى سماحته، وقد استمرَّ على ذلك ثمانيَ (٨) سنوات.

٦ - أكبر برهان على مَحَبَّة الوالد لسماحة الشَّيخ؛ أنَّه أفنى جُلَّ عُمُره في حِفظ عِلم سماحته ونَشْرِه.

---

(١) أي: شرح الرَّوض المُرْبع.

ذَكاؤه

مَنَحَهُ اللَّه ذكاءً حادّاً، ونبوغاً مُبَكِّراً، ويتَّضِح ذلك فيما يأتي:

١ - كان يَعقِلُ أموراً وعُمُره أربع (٤) سنوات، فقد سألتُه يوماً: «كم مَكَثَ الجَدُّ في تأليف (حاشية الرَّوض)؟» قال: «كنتُ أراه يكتب فيها وعُمُري أربع (٤) سنوات».

٢ - ظَهَرت عليه علامات النُّبوغ منذ صغره، قال لي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان والدي يأمرني أن أطابقَ معه المطبوع من كتاب (الدُّرر السَّنيَّة) مع الأصل، فكان يتجاوزُ بعضَ الأسطر ليختبرني هل أنا متابعٌ معه أم لا؟»، وكان ذلك قبل بلوغه السَّادسة من عُمُره.

٣ - حَفِظ القرآن الكريم في ثمانية (٨) أشهر، وهو في السَّادسة من عُمُره.

٤ - كان يحفظ المتن من قراءته له مرَّة واحدة، وأحياناً مرَّتين؛ كما ذَكَر ذلك عنه الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو الإفتاء بدار الإفتاء -، وهو من أقرانه في طَلَب العِلم.

٥ - التحق بدروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٦ - كان درسُ سماحة الشَّيخ مُقَسَّماً ثلاثة صفوف؛ الصَّف الأوَّل وهو الصَّف القريب منه، وفيه كبار طلَّاب العِلم أمثال سماحة الشَّيخ

عبد العزيز ابن باز ﷺ، ويليه الصَّف الثَّاني للمتوسِّطين، ثمَّ الصَّف الثَّالث لصغار السِّنِّ وكان الوالد معهم، فلمَّا رأى سماحة الشَّيخ نبوغَه قَدَّمَه إلى الصَّف الأوَّل القريب منه.

قال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين ﷺ: «كان الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسم أبرز مَن في الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشَّيخ المتن والشَّرح، حيث كان يهتمُّ بحِفظ المتون مع أنَّ في زملائه مَن هو أكبر منه سِنّاً، وأقدم منه تعلُّماً».

وقد حدَّثني الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان بمثل ما قاله الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين ﷺ.

٧ - كان مُلِمّاً بالنَّحو، لا يَلْحَن في القراءة؛ لذا اتَّخذه سماحة الشَّيخ قارئاً له في الدَّرس وهو صغير، مع وجود كبار طلَّاب العِلم.

٨ - بدأ في تدوين شروح وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٩ - كان يفهم كلَّ ما يكتبه عن سماحة الشَّيخ من تقريراتٍ وفتاوى ويَعِي معانيَها، قال الوالد ﷺ: «كلُّ ما كتبتُه عن الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ﷺ فقد فَهِمْتُه بحمد اللَّه».

١٠ - لَمَّا لَمَحَ الجَدُّ منه الذَّكاء والعِلم، كَتَبَ في وصيَّته: «والمجلَّد الأخير من شرح أصول الأحكام، والأخير من حاشية الزَّاد[١]، يُكمِلُها مُحمَّد»، وكان الوالد آنذاك في العشرين من عُمُره.

---

(١) طبع باسم: «حاشية الرَّوض المُرْبِع».

١١ - بدأ مع والده بجَمْعِ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة وهو في العشرين من عُمُره.

١٢ - سَعَة علومه في مختلف الفنون، ويظهر ذلك في فهرسته لفتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ - قدرته على تمييز كلام شيخ الإسلام من غيره، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكلام متَّصل، ويحتمل أنَّه من كلام شيخ الإسلام، أو شرحٌ له من كلام ابن القيِّم»[(١)].

ب - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن كلام ابن تيميَّة انتهى عند قوله: (في هذه الحال)، وأنَّ البقيَّة شرحٌ من ابن القيِّم»[(٢)].

ج - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يُبَيِّن ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ متى انتهى كلام شيخه، ويحتمل أنَّه انتهى قبل قوله: (ولهذا...) إلخ»[(٣)].

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨١).
(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨٢).
(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٥٤).

د - شهادة العلماء له بذلك، قال الشَّيخ حَمَّاد الأنصاري ﵀ - عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلامية -: «لو اجتمع النَّاسُ كلُّهم فتنفَّس ابن تيميَّة، لعَرَف مُحمَّد ابن قاسم نَفَسَه مِن بينهم».

١٤ - قُدرته على تلخيص الكُتُب من غير إخلالٍ بالمعنى، فقد لَخَّص بخطِّ يده جميع كتب ابن القيِّم وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

١٥ - لنبوغه المُبَكِّر كُلِّف بالتَّدريس في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض وهو طالبٌ في كُلِّيَّة الشَّريعة، وقد سألتُ الشَّيخ داود العلواني - أحد طلَّابه في المعهد -: كيف استطاع أن يجمع بين الدِّراسة والتَّدريس؟ فقال: «هو عالِمٌ كبيرٌ، أعلى عِلمِيّاً مِن بعض مَنْ يُدَرِّسونَه في الكُلِّيَّة».

١٦ - كان يُلقي دروسه في المعهد والكُلِّيَّة والمسجد عن ظهر قلب.

١٧ - عُرِفَ عنه سرعة بديهته، واستحضاره للجواب الدَّامغ.

عِبادتُه

علماء الأُمَّة الرَّبَّانيُّون يجمعون بين العِلم والعَمَل، وهي سُنَّة توارثها العلماء قرناً بعد قرنٍ، وقد انتظم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مع أولئك الرَّكب، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - كان محافظاً على إخلاصه مع اللَّه، ويخشى ممَّا يُكَدِّره برياء أو سُمعة، فكان لا يُحِبُّ الظُّهور، أو إبراز أعماله، ولم تكن له أيُّ صورة سوى ما في أوراقه الرَّسميَّة.

٢ - بَدَا للنَّاس علاماتُ إخلاصه للَّه، قال سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشهد باللَّه أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد ابنَ قاسم مُوحِّدٌ».

٣ - كان كثير الخشية للَّه، جاعلاً ربَّه نُصْبَ عَيْنَيه.

٤ - كان حريصاً على التَّأسِّي بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة، قال عنه المُحدِّث الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيخ الفاضل».

٥ - كان كثير التِّلاوة لكتاب اللَّه تعالى في سَفَرِه وحَضَرِه.

٦ - كان يذهب إلى المسجد لأداء الصَّلاة مُبَكِّراً، فيخرج قبل الأذان بربع ساعة، ومعه مفاتيح المسجد، وهو آخر مَنْ يخرج من المسجد.

٧ - كان كثيرَ العبادة؛ يستيقظ قبل الفجر بساعتين ويُصَلِّي إلى أذان الفجر، ثمَّ يذهب للمسجد لصلاة الفجر، وبعد الصَّلاة يجلس في مُصَلَّاه يقرأ القرآن الكريم إلى ارتفاع الشَّمس، ثمَّ يُصَلِّي ركعتين.

٨ - لا يَدَع قيام اللَّيل ولو في سفَرٍ في ليلةٍ شاتية، وإذا وافقت قيادته للسَّيَّارة ليلاً صَلَّى قيام اللَّيل وهو يقود السَّيَّارة.

٩ - كان ينقطع للعبادة في المسجد الحرام كلَّ عامٍ في شهر رمضان.

١٠ - كان شديد الوَرَع، قال الشَّيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «العالِمُ الوَرِعُ، التَّقِيُّ، الخفيُّ».

١١ - كان يغضب غَضَباً شديداً إذا تَخَلَّف أحد أبنائه عن صلاة الجماعة حتَّى وهم كبار.

أَخلاقُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَّبِعاً للكتاب والسُّنَّة، سائراً في ذلك على هَدْي السَّلَف، وكان هذا ظاهراً عليه في أخلاقه، وسَمْتِه، ووَقَاره، وسلوكه، ومعاملته مع ربِّه ومع النَّاس؛ ويتبيَّن هذا بما يأتي:

١ - نُصْحُه للمسلمين في معتقدهم وأخلاقهم، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمة كتابه - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»[(١)] -: «وأنا أَودُّ أن يكون هذا الكتاب أو مثله في بيت كلِّ مُسلمٍ؛ تكميلاً لمَحبَّتنا، وتَحصيناً لذرِّيَّتِنا».

٢ - كان يُحِبُّ الصَّالحين ولو كانوا من الأبعدين، ويُبغِض العاصين ولو كانوا من الأقربين.

٣ - كان بارّاً بوالِدَيْه، لا يدع زيارتهما، ولمَّا كان في مكَّة كان يُسافِر لزيارتهما ثمَّ يعود، ولمَّا مَرِضَ والده، سافر به إلى الخارج للعلاج، ومَكَثَ معه عِدَّة أشهر.

٤ - كان والده رَحِمَهُ اللَّهُ يُحبُّه كثيراً؛ لمَّا سافر الوالد إلى مكَّة لطبع فتاوى شيخ الإسلام بَعَثَ له والده رسالةً بخَطِّه، فيها: «ونرجو بِرَّكم ودعاءكم لنا بعد الوفاة وفي الحياة، كما هو مبذول لكم».

(١) (ص٩٧).

٥ - كان واصلاً لرَحِمِه؛ ولا يتخلَّف عن مناسبة لهم.

٦ - كان كثيرَ الصَّدَقة والبَذْلِ للفقراء والمحتاجين.

٧ - كان زاهداً في الدُّنيا، مُقبِلاً على الآخرة، فلم يكن يوماً طالباً لشُهْرَة أو منصب، قال الشَّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ - عضو هيئة كبار العلماء -: «كان رَحِمَهُ اللهُ عابداً زاهداً».

٨ - صادقُ الحديث، لا يُعرَف أنَّه كَذَبَ كَذْبة قط.

٩ - عَفُّ اللِّسان؛ لا يُعرَف أنَّه اغتاب أحداً.

١٠ - لا ينشغل بما لا يعنيه؛ لمَّا ضعف سَمْعُه قليلاً آخرَ عمره، عرضت عليه الذَّهاب للمستشفى، فقال لي: «أكثر كلام النَّاس لا حاجة لي بسماعه».

١١ - شديدُ التَّواضع مع النَّاس.

١٢ - اشتُهِرَ بالأمانة.

١٣ - عُرِفَ بالوفاء وردِّ الجميل لأهله.

١٤ - حريصٌ على الكَسْبِ الحلال، بعيد عن المشتبهات فَضْلاً عن المُحَرَّمات.

١٥ - عُرِفَ بالكرم والسَّخاء.

صِفاتُه

كان يَتَحَلَّى بصفات خُلُقِيَّة حميدة، ومِنْ ذلك:

١ - حبُّه للعِلْم - طلباً، وقراءةً، وتأليفاً، ودلالة عليه -؛ لمَّا ضعُف بصره قليلاً آخرَ عمره، كان يقرأ ويكتب وعدسة تكبير الحروف بيده اليسرى.

٢ - شديدُ الصَّبر في طَلَبِ العِلم ونَشْرِهِ - جمعاً وتأليفاً -.

٣ - كان يعكف على القراءة السَّاعات الطِّوال، حدَّثني رَحِمَهُ اللَّهُ يوماً فقال: «صلَّيتُ العشاء، ثمَّ قرأت في (منهاج السُّنَّة) لشيخ الإسلام، فلم أشعر إلَّا والمؤذِّن يُؤَذِّن الفجر».

٤ - كان حريصاً على وقته في الجمع والتَّصنيف، كتب للمطبعة: «بعض الصَّفحات من هذا الكتاب كمُسَوَّدة، لم يكن عندي وقتٌ أُحسِّن فيه الخَطَّ وأتأنَّى».

٥ - تَعلُوه الهيبة والوَقَار، وعليه سَمْتُ العلماء.

٦ - كان مُتَعَفِّفاً عمَّا في أيدي النَّاس؛ أعطيته يوماً سِواكاً فقال: «لو كان مِنْ أَحدٍ غيرك ما قَبِلتُه».

٧ - دَمِثُ الخُلُق، متأثِّرٌ بأخلاق كبار العلماء.

٨ - كثيرُ الصَّمْتِ، ينتقي في حديثه أطايب القول.

٩ - جميلُ العِشْرة، حَسَن المعاملة؛ لا يُؤذي أحداً بقولٍ أو فعل.

١٠ - واسع الحِلْم؛ لا يُعرَف عنه الغضب.

١١ - كان حَيِيّاً وقوراً، لم أَرَهُ كاشفاً عن رأسه حتى في البيت، ولم أُشاهِد شعر رأسه إلَّا وهو مُحرِم بالحجِّ أو العمرة.

١٢ - كان قليلَ النَّوم، فاغتنَمَ حياته بالعبادة والعِلم.

١٣ - كان يستمع لمَن يُسدِي له نُصْحاً أو إشارةً له بخير؛ كان يصلي آخر اللَّيل مُدَّة ساعة، فقلتُ له: «ساعة قليل»، فرأيته يقوم بعدها ساعتين، وأشرتُ عليه أن يَضَع له وقفاً، فوقف عقاراً للفقراء.

وأمَّا صفاته الخَلْقِيَّة: فكان طويل القامة، متوسِّط البُنْيَة، قمحيَّ اللَّون، على وجهه أثر الجُدَريِّ، لحيته ليست بالكثيفة، شعره أسود وخَطَّ الشَّيْبُ نِصفَه.

مَواهِبُه

وَهَبَه اللَّه مواهب فريدة سَخَّرَها لخدمة الإسلام والمسلمين؛ ومِنْ مواهبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ - كان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فصيحاً في القراءة.

٢ - سرعة قراءته للكُتُب، فكان يقرأ الصَّفحاتِ الكثيرةَ في وقتٍ وَجيزٍ.

٣ - يسَّر اللَّه له قراءة المخطوطات المُتعذِّر قراءتها على أربابها المختصِّين، وهذه الموهبة سَهَّلَتْ له إخراج كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة المخطوطة رغم صعوبتها.

٤ - أثناء متابعته لطباعة فتاوى شيخ الإسلام وفتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بالآلات القديمة، كانت تُعرَض عليه الصَّفحة مقلوبةً لمراجعتها، فكان يَقرؤُها بكل سهولةٍ ويُسْرٍ.

٥ - مَنَحَه اللَّه سرعة الكتابة بشكلٍ عجيب، وقد شَهِد له بذلك أقرانه، أمثال: الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان، والشَّيخ عبد اللَّه ابن عقيل - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - وغيرهم.

وقد رأيتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عِدَّة مرَّات يكتبُ ما يتكلَّم به الشَّخص بكلامٍ سريعٍ، ولا يفوتُه منه شيءٌ.

٦ - الجَلَدُ في الكتابة، فقد كَتَبَ بنفسه المجلَّدات الكثيرة، ومن ذلك ما يأتي:

أ - كَتَبَ عن سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم في درسه أكثر من ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) ورقة، في أكثر من ألف (١,٠٠٠) دفتر.

ب - كَتَبَ بيده فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، وأخرجها في مجموع حافل، بَلَغَ ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

ج - كَتَبَ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة البالغة سبعة وثلاثين (٣٧) مجلَّداً.

د - كَتَبَ بيده «المُستدرَك على فتاوى شيخ الإسلام» البالغ خمسة (٥) مجلَّدات أكثر من مرَّة.

هـ - لَخَّصَ جميع كتب ابن القيِّم في عِدَّة مجلَّدات.

٧ - كان ذا فراسة قويَّة لا تكاد تُخطِئ، وله في ذلك مواقف كثيرة.

خطُّ شيخِ الإسلام الَّذي قرأه الوالد وطَبَعَه

حُسْنُ جَمْعِه وتَأْلِيفِه

امتاز رَحِمَهُ اللَّهُ بتحصيل الفنون المُتَعَدِّدة، ودِقَّة الجَمْعِ، وجَوْدَة التَّأليف، وحُسْنِ التَّرتيب والإعداد والإخراج في المُصَنَّفات، وقد نال ذلك بفَضْلِ اللَّه ثمَّ بما مَنَحَهُ من الذَّكاء، وسَعَة الفَهْم، ويَظهرُ ذلك في الآتي:

١ - جَمْعُه مع والده لـ«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً، وكانت مُدَّة جَمْعِها وطَبْعِها أربعين (٤٠) عاماً، ومِنْ عَملِ الوالد فيها:

أ - سافر إلى الشَّام والعراق ومصر وباريس لجمع مخطوطات فتاوى شيخ الإسلام.

ب - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّا وَجدَه هناك من مخطوطات لشيخ الإسلام: «وفيها من خَطِّ شيخ الإسلام بيده ما يزيد على ثمان مئة وخمسين صحيفة لم يَسبِق لأحدٍ العثور عليها».

ج - تصفَّح خلال سِتَّة أشهر من رحلته تسع مئة (٩٠٠) مجلَّد من اثني عشر ألف (١٢٠٠٠) مجلَّد مخطوط.

د - شاهَدَ المحدِّثُ الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الوالدَ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق وهو في العشرين مِنْ عُمُره يُفَتِّش في مئات المخطوطات والمجلَّدات؛ بحثاً عن فتاوى لشيخ الإسلام، فعَجِب مِنْ صنيع الوالد،

فدَوَّن شهادة بخَطِّه، هذا نَصُّها:

«فبياناً لِمَا رأيتُ بنفسي، أشهد بما يأتي: لقد رأيتُ الشَّيخ الفاضل مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسمٍ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق سنة (١٣٧٢هـ)، وهو مُهتمٌّ اهتماماً بالغاً بدراسة مئات المخطوطات - من رسائلَ ومجلَّدات - المحفوظة في المكتبة؛ لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه اللَّه تعالى...».

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ واصفاً مَشَقَّة قراءة مخطوطات شيخ الإسلام، وأمانته في نَسْخِها وإخراجها للنَّاس: «ومَنْ عَثر على بعضها لا يستطيع قراءتها؛ لصعوبة الخَطِّ، أو عدم حفظ المعاني التي يبحثها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فمن ثمان مئة سنة لم يقرأها، ولم يتحمَّل نَسْخها ومسؤوليتها إلَّا أنا».

٢ - «فهرس مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

وهو فهرسٌ لا نظير له في المُصَنَّفات، يُوحِي بقوَّة عِلمه، وذكائه، وفَهْمِه، ورسوخِه في مختلف العلوم، فلا توجد مسألة أو بحث مقصود أو مستطرد إلَّا ذكره في الفهرس، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما لم يكن موجوداً في هذين المجلَّدين فليس موجوداً في الخمسة والثَّلاثين».

ومثل هذا العمل يَتعسَّر على مجاميع عِلميَّة أن يعملوا مثلَه، وقد تَتَبَّعتُ فهرسته مراراً مُستعيناً بالتقنية الحديثة، فلم أجده فاته منها شيءٌ.

٣ - «المُستدرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

جَمَع فيه جميع أقوال شيخ الإسلام مِنْ كتب طلَّابه وغيرهم، كما أضاف إليه مخطوطات لشيخ الإسلام ليست في «مجموع الفتاوى»، وقد مَكَثَ في جمعه ثلاثة عشر (١٣) عاماً، وقرأ الوالد لجمع هذا الكتاب أكثر من مئة (١٠٠) مجلَّد.

٤ - تصحيح وتكميل وتعليق على كتاب «بيان تلبيس الجهميَّة» لشيخ الإسلام الذي قال عنه ابنُ عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتابٌ جليلُ القَدْرِ معدومُ النَّظير، كَشَفَ فيه الشَّيخ أسرار الجهميَّة، وهَتَكَ أستارَهم، ولو رَحَلَ طالبُ العِلم لأجل تحصيله إلى الصِّين ما ضاعت رحلتُه»[(١)].

وهو قطعة مخطوطة حَقَّقَها، وأكمل ما نقص منها من كُتُب شيخ الإسلام المخطوطة والمطبوعة.

٥ - تَبَحُّره في كُتُب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقدرته على اختيار العِلم الدَّقيق منها، ويظهر ذلك في الآتي:

أ - كتابه: «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، وقد انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، ومَنْ طَالَعه رأى فيه العجب.

ب - كتابه: «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، والذي انتقاه أيضاً من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»،

(١) العقود الدُّرِّيَّة (ص٤٤).

قال في مُقَدِّمتِه[١]: «مُفَرَّقٌ في ثنايا (المِنْهَاجِ)، لا يُحْصَلُ عليه كاملاً إلَّا بمُطالعةِ الكتاب كلِّه، وفي ذلك مَشَقَّةٌ، ويحتاج إلى وقتٍ».

٦ - إلمامه بمؤلَّفات ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد استخرج مِنْ كتبه كتابَ خُطَبٍ سمَّاه: «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ».

٧ - مِنْ حُسْنِ سَبْكِه، وعجيب تصنيفه للكُتُب الثَّلاثة «آل رسول اللَّه ﷺ، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وموضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»: أنَّ كلَّ جملة فيها انتقاها من موضع، حتى إنَّ القارئ يَظُنُّ أنَّ شيخ الإسلام وابنَ القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ صَنَّفا هذه الكتب مُفْرَدَة في هذا الموضوع؛ ولا أظنُّ أنَّ أحداً في هذا العصر يصنع مثل ذلك.

٨ - جَمْعُه لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ» في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً من تسع جهات مُتَفَرِّقة[٢]، وقد مَكَثَ في جمعها ثلاثة عشر (١٣) عاماً.

٩ - فهرسته لـ«فتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم» فهرسة تفصيليَّة بديعة.

---

(١) (ص٩٨).

(٢) وهي: الشُّروح التي كان يُدَوِّنها من دروس سماحة الشَّيخ من عام (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٨١هـ)، ودار الإفتاء، ورئاسة القضاة سابقاً (وزارة العدل حاليّاً)، والمكتب الخاص لسماحة المفتي، والدِّيوان الملكي، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومكتبة سماحته، ومن الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة، وممَّا جمعه من أيدي بعض طلَّاب العِلم. فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٥).

شهادة الألبانيِّ للوالد رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين.

أما بعد، فبيانًا لما رأيت يتعين أن أسجل ما يأتي:

لقد رأيت الشيخ الفاضل محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في المكتبة الظاهرية منذ سنة (١٣٧٢) وهو مهتم اهتمامًا بالغًا بدراسة مئات المخطوطات من رسائل ومجلدات المحفوظة في المكتبة، لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولقد رأيته في ذلك موفقًا إلى الغاية في الجمع، وقريب منه ما كان لتيسير عرضه لأيدي العلماء والطلاب من فتاوى الشيخ رحمه الله وعلمه، فجزاه الله خيرًا.

ولقد كان من ثمرة طبع تلك الفتاوى تحت عنوان «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» في خمس وثلاثين مجلدًا، وفي آخرها مجلدات فيها فهارس تيسر على المراجع استخراج ما يهمه من الأحاديث والعقائد والأحكام والآثار وغيرها من أبواب الشريعة، وذلك مما هو ضروري. أقول: ولقد كان من ثمرة طبعها توثيق نشر هذه الكتب والرسائل التي كانت طبعت من قبل مثل كتاب: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» وغيرها مما هو مذكور في مقدمة الشيخ لـ«المجموع» (ص م ون)، أثابه الله، وزاده توفيقًا في خدمة العلم.

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

عمان الأردن ٢ ذي القعدة سنة ١٤١٠هـ

تَلامِيذُه

سَخَّر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حياته في طلب العِلم والتَّدريس والجمع والتَّأليف، وقد كانت مسيرته في ذلك ما يأتي:

١ - كان يُدَرِّس في معهد إمام الدَّعوة العِلمي بالرِّياض، فدَرَس عليه كبار طلَّاب العِلم، ومِنْ أبرز طلَّابه فيه: سماحة مفتي عام المملكة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - دَرَس عليه كثيرٌ من طلبة العِلم في كُلِّيَّة أصول الدِّين في جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٣ - كان له طلَّاب في درسه في جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمَلَز بالرِّياض، وكنتُ مِنْ ضِمْنِهم، وقد دَرَسْنا عليه كتاب التَّوحيد والواسطيَّة وغيرهما.

مَكانَتُه العِلميَّة

لِمَا امتاز به الوالد ﵀ مِنْ عِلمٍ رَاسخٍ، ومُصَنَّفات فريدة، وأَعمالٍ جليلةٍ نَفَعَت المسلمين، تبوَّأ مكانةً عِلميَّة؛ ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - كان سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ﵀ يُكَلِّفه بالإفتاء في دار الإفتاء بالرِّياض، إضافة إلى ما كَلَّفَه به الملك فيصل ﵀ من جمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٢ - كان سماحة الشَّيخ ابن باز يسأله عن كلامٍ لشيخ الإسلام في الفتاوى.

٣ - طَلَبَ منه الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ صورةً من مخطوط كتاب «الضُّعفاء» للذَّهبيِّ.

٤ - كان العلماء يراسلونه عمَّا يُشكِل عليهم من مسائل عِلميَّة، فوجدتُ رسائل من مشايخ بخَطِّهم؛ أمثال الشَّيخ بكر أبو زيد، والشَّيخ حَمَّاد الأنصاريِّ، والشَّيخ إسماعيل الأنصاريِّ - الباحث في دار الإفتاء - ﵏.

٥ - قال الشَّيخ ابن جبرين ﵀: «مُحمَّد ابن قاسم خَيرٌ مِنِّي وأَعلمُ».

٦ - كانت عِلميَّته تفوق الشَّهادات العالميَّة العَالِيَة، فكان يُكَلَّف بمناقشة الرَّسائل العِلميَّة العَالِيَة في الجامعات.

٧ - كان المشايخ يُجِلُّونه ويُوَقِّرونه، فكان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم يزوره في بيته، وكذا بقيَّة المشايخ؛ أمثال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رحمهم الله.

علاقتي بالوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كنتُ مِنْ أقرب النَّاس للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأحبِّهم إليه، وكان يأنسُ بي كثيراً، ويثق بي؛ ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

١ - كان يُوكِل إليَّ تدبير أمور البيت الماليَّة وأنا في سنِّ العاشرة.

٢ - كان يُكَلِّفني بالذَّهاب إلى المشايخ وغيرهم في كثيرٍ من شؤونه.

٣ - كنتُ الوحيد من أقاربه الذي تتلمذ عليه في المسجد.

٤ - كان فرحاً بالتحاقي بدروس المشايخ، وكان إذا خرج من المسجد بعد شروق الشَّمس لا يصعد إلى مكتبته حتَّى أعود من درس الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ويسألني: «ماذا قال الشَّيخ من فوائد؟» وأُخبِرُه بها.

٥ - كان يأنسُ بي كثيراً، وعندما صَدَرَ قرار تعييني قاضياً في «البَدْع» - محافظة في منطقة تبوك - وسافرتُ إليها؛ بَكَى بكاءً شديداً.

٦ - كان ناصحاً مُرشِداً لي، ومِنْ نصائحه لي:

أ - كان يأمرني بقيام اللَّيل وعُمُري اثنا عشر (١٢) عاماً، وكان يَقولُ لي: «بعض أهل العِلم يرى وجوب قيام اللَّيل لحافظ القرآن».

ب - لَمَّا عُيِّنت إماماً وخطيباً للمسجد النَّبويِّ، وعند وداعي له للذَّهاب إلى «المدينة المنوَّرة» قال لي: «إذا صَلَّيتَ بالنَّاس راقب مَنْ هو فوقك - يعني: الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ -، واتَّبع الذي على يسارك - يعني: النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ قَبرَه يسار محراب المسجد النَّبويِّ -»؛ ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ: حَثُّه لي على الإخلاص للَّه، واتِّباع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧ - كنتُ إذا وَدَّعتُه وهو في البيت كي أسافر إلى «البَدْع» أو «المدينة المنوَّرة» يُشَيِّعني إلى باب البيت، وإذا غِبْتُ عنه مُدَّةً يفاجئني بقدومه إليَّ، ويقول: «أنا أحسب لك إذا غِبْتَ عنِّي ثلاثة أشهر أزورك».

٨ - أقامني ناظراً ووصيّاً على جميع ما يَخُصُّه منذ أن كان عمري ثمانية عشر (١٨) عاماً، وقد أكَّد ذلك ووَثَّقَه تحريريّاً تسعَ مرَّات، وبيان ذلك:

أ - أقامني ناظراً على جميع أوقافه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على هذا الوقف بعد الوصي: ابنه عبد المُحسِن، ثمَّ الصَّالح من الذُّرِّيَّة الذي يُعَيِّنه هو».

وفي صَكٍّ آخرَ نصُّه: «وجَعَل النّظارة على هذا الوقف بعده لابنه عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه: «والنَّاظر على هذا الوقف وذاك: ابني الشَّيخ عبد المُحسِن».

ب - أقامني وصيّاً على جميع وصاياه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على تنفيذ هذه الوصيَّة: ابني عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه آمراً بذلك: «والوكيلُ على الوصايا: ابني عبد المُحسِن؛ مقرّاً به آمراً».

وكَتَبَ بخَطِّه أيضاً: «والوكيل على تنفيذ هذه الوصيَّة ابني عبد المُحسِن».

٩ - آخر حَجَّة حَجَّها طَلَبَ منِّي أن أحجَّ معه، ولمَّا كنَّا في الطَّريق قال: «أريدك أن تَحُجَّ معي كلَّ سنة».

١٠ - قبل موته بعشرة أيام قال لي: «منذ أن مات والدي وأنا أعتمرُ عنه كلَّ عام في رمضان»؛ إشارةً منه لي أن أفعل له مثل ذلك بعد موته؛ فأصبحت أعتمر عنه كلَّ شهر.

١١ - قبل وفاته بثلاثة أيَّام قال: «عبد المُحسِن سواد عيوني، وما ضَيَّقَ صدري في شيء من يوم طَلَعَ على الدُّنيا».

١٢ - قبل وفاته بيومين قال لي: «إذا متُّ فزُرْنِي».

١٣ - آخر صلاةٍ صَلَّاها صلاة الفجر، وكنتُ إماماً له؛ فقد كنتُ بجانبه قبل الإقامة، ثمَّ قَدَّمني للصَّلاة نيابةً عنه، فقرأتُ فيها سورة الواقعة، ثمَّ توفِّي بعدها بساعات.

وَصيَّة الوالد لي بإخراج كُتُبِه

كما أوصاني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بجميع ما يَخُصُّه بعد وفاته مشافهة وكتابة، أوصاني أيضاً بإخراج كُتُبِه، وبيان ذلك ما يأتي:

١ - كان يُخبِرني بتفصيل ما يعمله من كُتُبِه، ومراحل عمله فيها.

٢ - أوصاني شفويّاً وتحريريّاً مراراً بتحقيق كُتُبِه وطبعها، وبيان ذلك:

أ - بَيَّنَ في وصيَّتِه لي بخَطِّه مواضعَ كُتُبِه التي شَرَعَ فيها فقال: «شرح التَّوحيد والواسطيَّة في شَنْطة في الدُّكَّان - مستودع كُتُبِه -، وشرح الرَّوض بقيَّته في الصُّندوق الأخضر».

ب - حين زيارتي له في الرِّياض، وبعد خروجي من المسجد بعد صلاة العشاء قال لي: «سأقول لك كلاماً ضَعْهُ في سِرِّك، أخشى أنِّي أموت قريباً، وقد وضعتُ لك مُسَوَّدة كتاب (المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيميَّة)، وهو في خمسة مجلَّدات، في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، لو متُّ اطبعه».

ج - أوصاني بإخراج كتابه «المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة»، وكَتَبَ بخَطِّه: «الابنُ عبد المُحسِن حفظه الله:

(المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة) في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، إنْ قُدِّر عَلَيَّ بشيءٍ قبل تبييضه، بَيِّضْهُ واطبَعْهُ على حسابي، وحقوقه له - لعبد المُحسِن -، أثابك اللَّه».

د - أوصاني وأَمَرَنِي في الوصيَّة بتحقيق وطَبْع جميع كُتُبِه بعد وفاته، فكتب بخَطِّه: «إن أراد عبد المُحسِن يُحَقِّقها فبعد - أي: بعد وفاته -؛ مُقِرّاً به آمِراً».

٣ - قبل وفاته بخمسة أيَّام، وَضَعَ في يدي مُسَوَّدة «شرح الرَّوض المُرْبع»، وفتَح على آخرِ صفحةٍ عَمِلَ عليها، وقال: «وصلتُ في العمل إلى هذه الصَّفحة».

٤ - قال الوالد ﷺ: «دعوتُ اللَّه عند المُلْتَزَم أنْ يرزقني ولداً بارّاً بي ينفعني»؛ ولعلَّ اللَّهَ استجاب دعوته بما أوصاني به من تحقيقِ وطبع كُتُبِه، وبما جعلني ناظراً لأوقافه، ووصيّاً على وصاياه.

٥ - رأيتُ فيه رؤىً كثيرة جدّاً، كلُّها تَدُلُّ على سروره بالعمل على تحقيق كُتُبِه وإخراجها.

وَصايَاه لي، وإقامتي ناظراً على أوقافه



بسم الله الرحمن الرحيم
المملكة العربية السعودية
رئاسة القضاة
الصكوك الصادرة من كتاب العدل

ثم الناظر على هذا الوقف بعد الموصي
ابنه عبد المحسن ثم الصالح من الذرية الذي يعينه هو

وكتبه ... ٢٥/١١/١٤١١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة العدل

الصكوك الصادرة من المحاكم

وجعل النظارة على هذا

الوقف بعده لأبنه عبد المحسن ثم الصالح من الذرية الذي يعينه هو

القاضي بالمحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأني كاتب هذه الأحرف محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

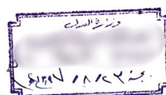
[illegible]

والناظر على هذا الوقف فذاك ابني الشيخ عبد المحسن

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم





وصية

والناظر على تنفيذ هذه الوصية ابني عبد المحسن



بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

ص تابعة لملحق الوصية

والوكيل على الوصايا ابني عبد المحسن

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

وأشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

الرقم ....

التاريخ اثنا عشر ربيع الثاني

التوابع عام سبعة عشر وأربعمائة وألف

وهذا ما أوصى به كاتب هذه الأسطر محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم

والوكيل على تنفيذ هذه الوصية ابني عبد المحسن

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم
تابع للوصايا

الرقم ....
التاريخ ١٥/٦/١٤٢١هـ
التوابع ....

الكتب شرح التوحيد والواسطية في شنطة في الدكان وشرح الروض بقيته في الصندق الأخضر

أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
١٥/٦/١٤٢١هـ كتبه/ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

١٠
الأخ عبد المحسن حفظه الله
المستدرك على فتاوى
ابن تيمية في النسخة
في الدالوب الثاني
على اليسار
إن قدر علي شيء قبل
تبييضه بيضه واطبعه
على حسابي وحقوقه له [illegible]
رعاك الله

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم
التاريخ ١٥/١٢/١٤١٠هـ
التوابع

إن أراد عبدالمحسن يحققها فبعد

مقر به أمامه

الأعمال الَّتي قام بها

لِمَا امتاز به الوالد ﵀ من العِلم والنُّبوغ؛ قام بعدَّة أعمال، منها:

١ - في عام (١٣٧٤هـ) عُيِّن مُعلِّماً في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض، وهو طالب في كُلِّيَّة الشَّريعَة.

٢ - في عام (١٣٨٦هـ) كُلِّف بالعمل في مكَّة المكرَّمة لطبع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة» في مطابع الحكومة بمكَّة، بالإضافة إلى التَّدريس في معهد مكَّة العِلميِّ.

٣ - في عام (١٣٩٠هـ) صَدَر أمر الملك فيصل ﵀ بأَنْ يُفرَّغ الوالد لجمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٤ - في عام (١٤٠٣هـ) درَّس في كُلِّيَّة أصول الدِّين بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٥ - في عام (١٤٠٥هـ) اعتذر عن التَّدريس في الجامعة؛ ليتفرَّغ لإخراج شروحات سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ ﵀.

٦ - في عام (١٤٠٥هـ) أقام دروساً في العقيدة والفقه وغيرهما، في المسجد المُجاوِر لمنزله بالمَلَز بالرِّياض - جامع أبي بكر الصِّدِّيق ﵁ -.

٧ - كان خطيباً للجمعة تسعة وعشرين (٢٩) عاماً، خَلَفاً لوالده من عام (١٣٩٢هـ) إلى وفاته عام (١٤٢١هـ)، في جامع أبي الكِباش في طريق العمارية شمال الرِّياض.

٨ - لحِرْصِه على التَّفرُّغ للعِلم، وزهده في المناصب اعتذر عن أعمالٍ كثيرةٍ؛ منها:

أ - عضويَّة هيئة كبار العلماء.

ب - القَضَاء.

ج - إدارة الدَّعوة في الخارج التَّابعة لدار الإفتاء سابقاً.

آثارُه ومُصنَّفاتُه

كان رَحِمَهُ اللهُ مُحِبّاً للعلماء، شديد الحُبِّ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم، وسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمُ اللهُ، بارّاً بهم، وَفِيّاً لهم، فقَضَى عُمُره في إخراج عِلْمِهم للمسلمين، ويظهر ذلك فيما يأتي:

١ - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، جَمَعَها مع والده في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً.

٢ - «فهرس مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

٣ - «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

٤ - «بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بِدَعِهم الكلاميَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ تصحيح وتكميل وتعليق في مجلَّدين.

٥ - «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٦ - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٧ - «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»، منتقاة من كتب ابن القيِّم.

٨ - «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ»؛ في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

٩ - فهرس تفصيلي لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ».

١٠ - «شرح العقيدة الواسطيَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١١ - «شرح كشف الشُّبهات» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٢ - «شرح ثلاثة الأصول» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٣ - «شرح كتاب التَّوحيد» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

١٤ - «شرح الحمويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في مجلَّدين.

١٥ - «شرح الأربعين النَّوويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٦ - «شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٧ - «شرح آداب المشي إلى الصَّلاة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٨ - «شرح الرَّوض المُرْبِع» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

وغيرها من شروح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زاخرٍ بالعِلم وخدمة الدِّين، رأى الوالد ﵀ ثلاث رؤى تُشير بقُرْبِ أَجَلِه، وفي السَّاعة الثَّامنة صباحاً من يوم الاثنين في السَّابع والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة لعام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٧/ ٦/ ١٤٢١هـ) كان الوالد ﵀ يَسِيرُ على قدميه في مدينة الرِّياض، فصدمته سيَّارةٌ مُسْرِعة، وأُصيبَ بإصاباتٍ بَالغةٍ في رأسه وجسده، ثمَّ نُقِل إلى مدينة الملك سعود الطِّبِّيَّة بالرِّياض - المعروفة قديماً بـ«مستشفى الشميسي» - وتوفِّي فيها؛ وهو المستشفى نفسه الذي توفِّي فيه والده ﵏.

ومنذ وقوع الحادث إلى أنْ فارق الحياة وهو يتلفَّظ بالشَّهادة، مع أنَّه فاقدٌ وَعْيَه، وقد فارق الحياة عن ستَّةٍ وسبعين (٧٦) عاماً.

وصُلِّي عليه عصر الثُّلاثاء في الجامع الكبير بالرِّياض، في الثَّامن والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة، عام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٨/ ٦/ ١٤٢١هـ)، وقد أَمَّ المصلِّين سماحة مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة الشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ ﵀، وحَضَرَ الصَّلاة عليه الأمير سلطان بن عبد العزيز ﵀ - وَلِيُّ العهد -، وسماحة الشَّيخ صالح بن مُحمَّد اللُّحيدان ﵀ - رئيس مجلس القضاء الأعلى -، وجَمْع من العلماء والأعيان، وعامَّة النَّاس، وقد حزن الجميع لوفاته؛ لِمَا قَدَّم من خِدمة عظيمة للدِّين.

وقد قال لي الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّه شَهيدٌ بإذن اللَّه؛ لأنَّ الصَّدْمَ بالسَّيَّارة كالهَدْمِ، والنَّبيُّ ﷺ قال: (وَصَاحِبُ الهَدَمِ شَهِيدٌ)(١)».

أسأل اللَّه أنْ يغفر له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.



(١) رواه النَّسائي، كتاب الجنائز، النَّهي عن البكاء على الميت، رقم (١٨٤٦)، من حديث جابر بن عَتِيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَهَمِّيَّةُ كِتَابِ ٱلتَّوْحِيدِ

من المتون المُهمَّة المُؤَلَّفة في العقيدة متن «**كتاب التَّوحيد**»، وتظهر أهمِّيَّتُه في الآتي:

١ - إمامة مُصَنِّفه ومعرفته بالواقع، فقد «أَلَّفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الدَّاء كالدَّواء النَّافع»[(١)].

٢ - أنَّه من أحسن وأعظم وأنفع الكتب المفيدة في العقيدة[(٢)]؛ بل عَدَّه الشَّيخ مُحمَّد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ من أوَّل الكتب المختارة لطالب العلم[(٣)].

٣ - أنَّه أوَّل مُؤَلَّف أُفرِد في موضوعه، قال الشَّيخ سليمان بن عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو كتاب فَرْدٌ في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق»[(٤)].

٤ - أنَّه كتاب لا مثيل له، قال الشَّيخ عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس له نظيرٌ في الوجود، قد وَضَّح فيه التَّوحيد الذي أوجبه اللَّه على عباده وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله وأنزل كتبه، وذَكَر ما يُنافيه من الشِّرك الأكبر، أو يُنافي كماله الواجب من الشِّرك الأصغر والبِدَع،

---

(١) الدُّرُّ النَّضيد (ص١٢).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٧/ ٧٢).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٦/ ٣٤١)، فتاوى اللَّجنة الدَّائمة (٢/ ٢٥٧).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٢).

وما يُقَرِّب من ذلك أو يُوصِل إليه، فصار بديعاً في معناه، لم يُسبَق إليه، عَلَماً للمُوَحِّدين، وحُجَّة على الملحدين»[١].

٥ - اشتماله على أصول العقيدة الصَّحيحة التي تنفع العبد وتُنَجِّيه إنْ لَقِيَ بها رَبَّه، قال الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَمَع على اختصاره خيراً كثيراً، وضَمَّنه من أدلَّة التَّوحيد ما يكفي مَنْ وَفَّقه اللَّه، وبَيَّن فيه الأدلَّة في بيان الشِّرك الذي لا يغفره اللَّه»[٢].

٦ - تميُّزه بجودة التَّبويب، ودِقَّة التَّرتيب، وقوَّة الاستدلال، فجاء كأنَّه قطعة من صحيح البخاريِّ، قال ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما وضع المصنِّفون في فنِّه أحسن منه، فإنَّه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد»[٣].

٧ - كلُّ باب فيه قاعدة عظيمة في الدِّين، قال الشَّيخ سليمان بن حمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتاب بديع الوضع، عظيم النَّفع، لم أر مَن سبقه إلى مثاله، أو نَسَج في تأليفه على مِنواله، فكلُّ باب منه قاعدة من القواعد، ينبني عليها كثير من الفوائد»[٤].

٨ - كلُّ ما فيه أدلَّة من الكتاب والسُّنَّة، ولم يذكر مُؤَلِّفه فيه قولاً من عند نفسه، قال الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(كتاب التَّوحيد)** - على اختصاره - كثيراً من الأدلَّة

---

(١) حاشية كتاب التَّوحيد (ص٧).
(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٤/ ٣٣٩).
(٣) عنوان المجد (١/ ٩٢).
(٤) الدُّرُّ النَّضيد (ص١٢).

المُعَرِّفة بأصل الدِّين، كذلك كتاب كشف الشُّبهات، وأربع القواعد، ومعنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، فأوصيك بالاشتغال والمطالعة في كتبه، وتأمُّل ما فيها من الأدلَّة»[١].

٩ - عظيم نفعه في الأُمَّة، قال الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ **(كتاب التَّوحيد)**... قد جاء بديعاً في معناه؛ من بيان التَّوحيد ببراهينه، وجَمَع جُملاً من أدلَّته لإيضاحه وتبيينه، فصار عَلَماً للمُوَحِّدين وحُجَّة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجمع الغفير»[٢].

١٠ - تَلَقَّاه أهل العلم بالقَبول، قال الشَّيخ عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «واشتهر أيَّ اشتهار، وعَكَف عليه الطَّلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعَمَّ النَّفع به، وتَصَدَّى لشَرْحِه والتَّعليق عليه جماعة من الجهابذة النُّبلاء»[٣].

١١ - لا يزال أئمَّة أهل العلم - أمثال سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[٤] - يوصون بحِفْظِه والاعتناء به.

١٢ - أنَّ أئمَّة أهل العلم يَحُثُّون ولاة الأمر على إلزام مَنْ يُعلِّم النَّاس إيَّاه، قال الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيلزم الأمير أنْ يأمر على جميع المُدَرِّسين وأئمَّة المساجد بالحضور عند مَنْ يُعَلِّمهم دينهم، ويُلْزِمهم القراءة فيما جمعه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في **(كتاب التَّوحيد)** من

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التَّوحيد (ص٢٩٠).

(٢) فتح المجيد (ص٣).

(٣) حاشية كتاب التَّوحيد (ص٧).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٥/ ٢٩٦، ٤٠٤)، (٨/ ٢٣٣).

أدلَّة الكتاب والسُّنَّة التي فيها الفُرقان بين الحَقِّ والباطل، فقد جَمَع على اختصاره خيراً كثيراً، وضَمَّنه من أدلَّة التَّوحيد ما يكفي مَن وَفَّقه اللَّه، وبَيَّن فيه الأدلَّة في بيان الشِّرك الذي لا يغفره اللَّه، ويُلْزِمهم سؤال العامَّة عن أصول الدِّين الثَّلاثة بأدلَّتها، وأربع القواعد»[(١)].

١٣ - أنَّ أئمَّة أهل العلم يَحُثُّون القضاة على تعليم النَّاس «**كتاب التَّوحيد**» في أماكنهم العامَّة، فهذا سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يُوَجِّه أحد القضاة بقوله: «وعليك بصفتك مسؤولاً عمَّا ولَّاك اللَّهُ عليه أن تُعَيِّن وقتاً من أوقاتك؛ تجلس فيه في السُّوق يُقْرَأ عليك في **(كتاب التَّوحيد)**، وتتكلَّم عليه بما تَيَسَّر»[(٢)].

١٤ - اعتناء أهل العلم بشرح «**كتاب التوحيد**»، فقد كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يُدَرِّسه صباحاً ومساءً باستمرار[(٣)].

١٥ - لعُمُوم نفعه وما امتاز به؛ حقَّقتُه، وجَعلتُه ضمن سلسلة «**متون طالب العلم**».

١٦ - لأهمِّيَّة هذا المتن يرويه العلماء بأسانيدهم إلى المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأنا أروي هذا المتن وجميع كتب إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ من طُرُق مُتَعدِّدة، أعلاها: ما أخبرني به مُحمَّد بن عبد الرحمن آل الشَّيخ، عن حمد بن فارس ابن رميح، عن عبد الرحمن بن حسن آل الشَّيخ، عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٣٣٨/٤)، وانظر: (٣١٧/٩).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (٢٠٥/١٣).

(٣) مقدِّمة فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١٢/١، ١٣).

مَزَايَا ٱلشَّرْحِ

امتاز شرح سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدَّة مزايا، منها:

١ - أنَّه شرحُ عالِمٍ راسخٍ، وإمامٍ من أئمَّة الدَّعوة، وهو شيخ كِبار مشايخ عصرنا؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - أنَّه أوَّل شرح استوعب مسائل «**كتاب التوحيد**» بالشَّرح منذ زمن المُصَنِّف الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فلا يُعرَف قبله شرح لها.

٣ - أنَّه النُّسخة الوحيدة لشرح سماحته.

٤ - أنَّه مجموع شرح سماحته لـ«**كتاب التَّوحيد**» ستَّ مرَّات.

٥ - أنَّه مستمدٌّ من كتاب اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأقوال سَلَف الأُمَّة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

٦ - كثرة النَّقل عن أهل العلم المُحَقِّقين؛ كشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وابن القيِّم، وابن كثير، وأئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

٧ - عناية الشَّارح بتقرير العقيدة الصَّحيحة وترسيخها أصالةً؛ مع الحِرْصِ على الرَّدِّ على المخالِفين.

٨ - أنَّه يشرح كلَّ جملة من جمل المتن شرحاً وافياً، يقف على كلِّ لفظٍ فيه، من غير تطويلٍ مُمِلٍّ، ولا تقصيرٍ مُخِلٍّ.

٩ - أنَّه من أدقِّ الشُّروح وأجودها لـ«**كتاب التوحيد**»؛ بل لعله لا مثيل له في بابه.

١٠ - عناية الشَّارح رَحِمَهُ اللَّهُ بألفاظ المتن ومقاصده، وعدم الاستطراد فيما لم يذكره المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ - فيه من التَّعريف والتَّقسيم والتَّعليل ما يُعين على تقريب العلم وتيسيره.

١٢ - جزالة ألفاظه ودِقَّة عباراته، مع أنَّه تقرير لا تحرير، وفي دروسٍ لصغار السِّنِّ من طلبة العلم.

١٣ - وضوح العبارة وسهولة فهمها؛ ممَّا يجعل المتعلِّم والعامِّيَّ ينتفع به.

١٤ - تأكيد المسائل بأساليب مختلفة؛ لتَرْسَخ في ذهن وقلب المُتَلَقِّي.

١٥ - العناية بشرح تراجم الأبواب، وبيان وجه مناسبتها للكتاب.

١٦ - يعتني الشَّارح بذكر المناسبة بين الأبواب، والفَرْق بين ما تشابه منها.

١٧ - الاعتناء بشرح الأدلَّة، وبيان وجه مطابقتها للباب، والشَّاهد منها، ووجه الدَّلالة.

١٨ - الاعتناء بالتَّعريفات اللُّغوية والاصطلاحيَّة.

١٩ - التَّفصيل فيما يحتاج إلى تفصيل، وذكر الخلاف في المسائل المهمَّة إن احتاج الأمر إلى ذلك.

٢٠ - إخراج كثير من مسائل العلم بصورة سؤال، ثم الإجابة عنه.

٢١ - العناية بذكر الفوائد.

٢٢ - الاهتمام بذكر حاصل الباب وخُلاصته.

٢٣ - أنَّه جاء وافياً؛ بعيداً عن التَّطويل المُمِلِّ، والتَّقصير المُخِلِّ.

٢٤ - أنَّ الشَّرح حَوَى نفائسَ وتحقيقات عِلميَّة لا يجدها الطَّالب في غيره.

٢٥ - فيه إظهار حُسْنِ التَّوحيد وعظمتِه، وقُبْحِ الشرك وشَنَاعته.

٢٦ - يتجلَّى في هذا الشرح نَصَاعة الحَقِّ وقوَّة حُجَّة أهله، واضمحلال الباطل وضعف شُبَه أتباعه.

٢٧ - أنَّه شرحٌ يُحَقِّق - بإذن اللَّه - إصلاح النَّفس وتزكيتها؛ عِلْماً وعملاً.

٢٨ - أنَّ هذا الشَّرح - وأمثاله من شروح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ - أخرج أئمَّةً في العلم والدِّين؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَنهَجِي فِي ٱلتَّحقِيق

سِرتُ في تحقيق الشَّرح وَفْق الآتي:

١ - بيَّض الوالد ﷺ بعض النُّسَخ التي كتبها مع سماحة الشَّيخ ﷺ، ثمَّ اخترمته المَنيَّة قبل فراغه من تبييض جميع النُّسَخ، وتكميل بعضها ببعض، فأعدتُ قراءة جميع النُّسَخ التي كتبها الوالد أثناء شرح سماحته ونَسَختُها، وأضفتُ ما حَصَّلتُه من نُسَخ ممَّا لم يُسْعِف الوالد إضافتها.

وقد أخذ ذلك جهداً كبيراً وزمناً طويلاً؛ لكتابة الوالد شرحَ سماحته بخَطٍّ سريعٍ جدّاً، يَصِلُ فيها الحروفَ بعضها ببعضٍ، فتتعسَّر قراءتها جدّاً، وبعض نُسَخِها كتبها الوالد ﷺ وعمره سبع سنوات.

٢ - كَمَّلْتُ النُّسَخ بعضها ببعض، مع مراعاة المعاني فيها، سائراً في ذلك على منهج الوالد ﷺ في شرح سماحته لـ«كشف الشُّبُهات»، و«آداب المشي إلى الصَّلاة»، وراجعتُ ذلك مرَّات عديدة، فخرج شَرْحاً وافياً كأنَّما حَرَّره سماحته بيده.

٣ - ضبطتُ بالشَّكْل جميعَ الأحاديث والآثار الواردة، وكذا أبيات الشِّعر.

٤ - ضبطتُ بالشَّكْل ما يحتاج إلى ضبط.

٥ - كلُّ جُملةٍ لها معنىً مستقلٌّ جعلتُها مرتبطةً بنَسَقٍ واحدٍ، وإذا تجدَّد المعنى في الشَّرح جعلتُه في فقرةٍ جديدةٍ.

٦ - وَضعتُ علامات التَّرقيم بدِقَّة؛ ليَسْهُلَ فَهْمُ الكِتاب.

٧ - وضعتُ عناوين جانب الشَّرح؛ ليَسْهُلَ فَهْمُه وضبطُه، وقد بَلَغَتْ ستَّ مئة وثمانيةً وأربعين (٦٤٨) عنواناً.

٨ - أثبتُّ تعليقات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في الهامش، وصَدَّرتُها بلفظ: «قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ»، وعزوتُ ما يحتاج منها إلى عزو.

٩ - علَّقتُ في الهامش على ما يحتاج إلى بيان وإيضاح.

١٠ - خرَّجتُ الأحاديث الواردة في المتن والشَّرح من مصادرها؛ فإن كان الحديث في الصَّحيحَيْن أو أحدهما اكتفيتُ بذلك، وإن كان في غيرهما ذكرتُ مَنْ رواه من كتب السُّنَّة.

وقد أنقل نصَّ الحديث في الحاشية عند الحاجة لذلك، وإذا تكرَّر الحديث أُشير إلى موضع تخريجه السَّابق.

١١ - وَثَّقتُ الآثار والأقوال والأبيات الشِّعريَّة من مصادرها عند أوَّل ورودها.

١٢ - بيَّنتُ معاني الكلمات الغريبة الوارد ذِكْرها في الشَّرح، معتمداً على معاجم اللُّغة وكتب الشُّروح، وإن تكرَّرت الكلمة الغريبة في غير الباب أعدتُ بيان معناها.

١٣ - تَرْجَمْتُ الأعلام الوارد ذِكْرُهم عند أوَّل ورودها، وإذا تكرَّر ذكره في غير الجزء أعيد ترجمته، ولم أترجم للصَّحابة.

١٤ - عرَّفتُ بالطَّوائف والفِرَق الوارد ذكرها عند أوَّل ورودها، وإذا تكرَّر ذِكْرها في غير الجزء أعيد ترجمتها.

١٥ - بيَّنتُ مواضع البلدان والأمكنة عند أوَّل ورودها، وربطتُها بمَعْلَمٍ معروف، وإذا تكرَّر ذِكْرها في غير الجزء فأعيد بيانها.

١٦ - كلُّ موضعٍ سابق أحال إليه سماحة الشَّيخ، أو أشار إليه في موضع لاحق؛ بَيَّنتُ موضعه.

١٧ - اعتمدتُ المتن الذي أثبته الوالد ﷺ بقراءته على سماحة الشَّيخ ﷺ، وصَحَّحتُ منه ما يحتاج إلى تصحيح من متن «**كتاب التوحيد**» بتحقيقنا ضمن «متون طالب العلم».

١٨ - ضبطتُ بالشَّكل نَصَّ المتن، ملتزماً بذلك القواعد النَّحْوية والصَّرْفيَّة.

١٩ - وضعتُ متن «**كتاب التوحيد**» في أعلى الصَّفحة مفصولاً عن الشَّرح، ثم جعلتُه مُدمَجاً مع الشرح ومَيَّزتُه بلونٍ أحمر، وإذا تكرَّر شرحه - ولو في المسائل - مَيَّزتُه بلونٍ أسودَ ثقيل، وغَيَّرتُ علاماتِ إعرابه بما يتوافق مع الشَّرح.

٢٠ - وضعتُ فهرساً تفصيليّاً للكتاب.



نماذج من المخطوطات

شرح

كتاب التوحيد

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩ هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لشرح سماحته

كتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١ هـ)

حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مشروعيَّة الابتداء بالبَسْمَلَة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ابتدأ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بالبسملة:

- اقتداءً بالكتاب العزيز.

- وتأسِّياً بالنَّبيِّ ﷺ في مُكاتَبَاته ومُرَاسَلَاته[1].

- وعملاً بحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ - أَيْ: حالٍ وشَأْنٍ يُهتَمُّ به شَرعاً - لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ»[2]، وفي رواية: «أَجْذَمُ»[3]، وفي رواية: «أَبْتَرُ»[4]، والمعنى: ناقص البركة[5]، والباء للاستعانة.

(١) من ذلك: كتاب رسول اللَّه ﷺ إلى هِرَقْل، كما في حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ...» رواه البخاريُّ، رقم (٦٢٦٠)، ومسلم، رقم (١٧٧٣).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الجامع (٢/ ٦٩)، رقم (١٢١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواها أبو داود، كتاب الأدب، باب الهَدْي في الكلام، رقم (٤٨٤٠)، ولفظه: «كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَهُوَ أَجْذَمُ».

(٤) رواها أحمد في المسند، رقم (٨٧١٢)، ولفظه: «كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -».

(٥) الأذكار للنَّوويِّ (ص١١٢)، فتح القريب المُجيب للفيوميِّ (١/ ١٢٦).

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

موضوع الكتاب: توحيد العبادة

(كِتَابُ) خبر مبتدأ محذوف، تقديره: «هذا».

(التَّوْحِيدِ) ومراده بالتَّوحيد: توحيد العبادة.

أي: هذا كتابٌ في:

- بيان ما بَعَثَ اللَّهُ به رسولَه مُحمَّداً ﷺ من توحيد العبادة خاصَّة؛ بأدلَّتِه من الكتاب والسُّنَّة.

- وبيان ما ينافيه بالكلِّيَّة من الشِّرك الأكبر، أو ينافي كَمَالَه الواجب من الشِّرك الأصغر.

- وبيان الوسائل والذَّرائع المُوصِلَة إلى الشِّرك والمُقَرِّبة منه.

- وبيان جمل من البِدَع القوليَّة والفعليَّة القادحة في التَّوحيد.

- وبيان المعاصي المُنْقِصة لثواب أهل التَّوحيد، فإنَّ المعاصيَ إمَّا عن شُبْهَة أو شَهْوَة، وقد تَشتدُّ الشَّهْوَة حتَّى تصير شبهة، فيبقى يُجادِل عنها ويُنافِح؛ فهو يذكر الأمور التي تَمسُّ العقيدة وتُضْعِفها.

. . . .

أقسام التَّوحيد

والتَّوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وتوحيد الأُلوهيَّة.

وإن شِئْتَ قُلتَ: التَّوحيد نوعان:

- توحيد في المعرفة والإثبات، وهو: توحيد الرُّبوبيَّة، والأسماء والصِّفات.

- وتوحيد في الطَّلب والقَصْد، وهو: توحيد الأُلوهيَّة والعبادة، ويقال: توحيد اللَّه بأفعال العباد.

القسم الأوَّل: توحيد الرُّبوبيَّة

الأوَّل: توحيد الرُّبوبيَّة، وهو: العلم والإقرار بأن اللَّه هو الخالق الرَّازق، ربُّ كلِّ شيء ومَلِيكُه، المُدَبِّرُ وحده لأمور خَلْقِهِ جميعِهم.

المشركون مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة

وهذا القسم أَقرَّ به المشركون، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، وغيرِها من الآيات.

القسم الثَّاني: توحيد الأسماء والصِّفات

الثَّاني: توحيد الأسماء والصِّفات، وقول أهل السُّنَّة الشَّامل فيه: أنَّهم يصفون اللَّه بما وَصَف به نفسه في كتابه، وبما وَصَفه

. . . .

به رسوله ﷺ في السُّنَّة؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهو إثبات ما جاء في الكتاب والسُّنَّة؛ إثباتاً بريئاً من التَّمثيل، ونَفْيُ ما نُفِي في الكتاب والسُّنَّة؛ نَفْياً بريئاً من التَّعطيل.

المشركون مقرُّون بأسماء اللَّه وصفاته

وهذا النَّوع أيضاً قد أَقرَّ به المشركون كالذي قبله؛ فإنَّهم ما جَحَدُوه؛ فهو داخل في توحيد الرُّبوبيَّة في عدم إنكارهم له، ولم يُدخِلهم في الإسلام؛ بل قاتلهم رسول اللَّه ﷺ.

القسم الثالث: توحيد الأُلوهيَّة

الثَّالث: توحيد الأُلوهيَّة والعبادة، وهو: عبادة اللَّه وحده، وتَرْكُ عبادة ما سواه، وهو مدلول «لا إله إلَّا اللَّه» مُطابَقة[1]، فإنَّ معناها: لا معبود بحَقٍّ إلَّا اللَّه؛ ففيه: نَفْيُ الأُلوهيَّة التي بحَقٍّ عن غير اللَّه، وإثباتها بجميع أنواعها للَّه وحده.

الشِّركُ وَقَع في الأُلوهيَّة

وهذا القسم هو الذي أشركوا فيه، وصاروا كُفَّاراً مشركين؛ ما نفعهم إقرارهم بالقِسْمَيْن الآخَرَيْن.

اعتنى المُصَنِّفُ في هذا الكتاب بتوحيد العبادة لأمرَيْن

ومقصود المُؤَلِّف: توحيد العبادة خاصَّة - وإن كان قد ضَمَّنه النَّوعَيْن الآخَرَيْن -، وإنَّما صَرَف المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنايته بالتَّأليف

(١) دلالة المُطابَقة هي: دلالة اللَّفظ على كامل معناه، كدلالة لفظ «البيت» على معنى البيت كاملاً بجميع مشتملاته. المستصفى (١/ ٧٤)، روضة النَّاظر (١/ ٦٨).

. . . .

في هذا النَّوع دون غيره لأمرين:

أحدهما: عموم البلوى في زمانه بالشِّرك فيه دون غيره؛ بعبادة الأشجار والأحجار وغير ذلك، ولأنَّ الخصومة فيه.

والثَّاني: لأنَّه مفتاحُ دعوة الرُّسُل وأوَّلُها، فصار بذلك أهمَّ من غيره، كما قال تعالى عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام؛ إنَّ أوَّلَ شيءٍ بدؤوا به قومهم أنْ قالوا: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، وكما قال آخرهم ﷺ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا»[1]، ولَمَّا بَعَثَ ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الحديث[2]، وفي روايةٍ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ»[3]؛ فصار بذلك أهمَّ من غيره، والنَّوعان الآخران مذكوران في الكتاب.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٩٠٠٤)، من حديث ربيعة بن عِبَادٍ الدِّيلي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب المغازي، باب بَعْثِ أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حَجَّة الوداع، رقم (٤٣٤٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) رواها البخاريُّ، كتاب الزَّكاة، باب لا تُؤْخَذ كرائم أموال النَّاس في الصَّدقة، رقم (١٤٥٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

. . . .

العلاقة بين أقسام التَّوحيد

وكلُّ هذه الثَّلاثة الأقسام متلازمة، مَنْ جَحَد واحداً منها فكأنَّما جَحَد الجميع؛ فتوحيد الرُّبوبيَّة يستلزم توحيد الأُلوهيَّة، وتوحيد الأُلوهيَّة يَتضمَّن توحيد الرُّبوبيَّة؛ فإنَّه لا يوجد شخص مُوَحِّد في الأُلوهيَّة ولا يُقِرُّ بتوحيد الرُّبوبيَّة.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى) يعني: هذا كتاب التَّوحيد، وهذا قولُ اللَّه تعالى: (﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾).

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

مراده بإيراده هذه الآية: بيان أنَّ التَّوحيدَ هو الحكمة في إيجاد الثَّقلَيْن، فبيَّنت وعيَّنت تلك الحكمة أنَّها عبادة اللَّه، وأنَّ اللَّه لم يخلقهم إلَّا لعبادته وحده لا شريك له.

تعريف العبادة لغةً وشرعاً

والعبادة لغةً: التَّذلُّل، والخضوع، والانقياد[١]، قال طَرَفة بن العبد[٢] يَصِفُ ناقته[٣]:

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[٤]

وشرعاً: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحِبُّه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة[٥].

---

(١) لسان العرب (٣/ ٢٧٣)، المصباح المنير (٢/ ٣٨٩).

(٢) هو: أبو عمرو طَرَفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي، شاعرٌ جاهليٌّ، من الطَّبقَة الأُولى، ولد في بادية البحرين، قُتِل وعمره (٢٠) عاماً أو (٢٦) عاماً. معجم الشُّعراء للمَرْزُباني (١/ ٢٠١)، الأعلام للزِّرِكلي (٣/ ٢٢٥).

(٣) ديوان طَرَفة بن العبد البكري (ص٢٠).

(٤) تُبارِي: تُغالِب وتُسارِع، والعِتَاق: النُّوق الكِرام، والنَّاجيات: المُسْرِعَات في السَّيْر، والوَظِيف: عَظْم السَّاق والذِّرَاع، والمَوْر: الطَّريق، والمُعبَّد: المُذلَّل.
ومعنى البيت: تُسابِقُ إبلاً كراماً مُسْرِعاتٍ في السَّيْر، وتُتْبِع وَظِيفَ رِجْلِها وَظيفَ يَدِها، فوق طريقٍ مذَلَّلٍ بالسُّلُوك والوَطءِ بالأقدام والحوافر والمناسم. شرح المُعلَّقات السَّبع للزَّوْزَني (ص٩٤).

(٥) العبوديَّة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ص٤٤).

. . . .

سُمِّيت وظائف الشَّرع عبادة لأنَّهم يفعلونها خَاضِعِين للَّه

وسُمِّيت وظائف الشَّرع على المُؤهَّلِين لها عبادات؛ لأنَّهم يفعلونها خاضعين للَّه، فيكونون من أهل رضاه ودار كرامته.

العبادة إذا وردت في القرآن فمعناها التَّوحيد

والعبادة إذا وردت في القرآن فمعناها: لِيُوَحِّدونِ بجميع أنواع العبادة، قال ابن عبَّاس ﵄: «كُلُّ مَوْضِعٍ فِي القُرْآنِ ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ فَمَعْنَاهُ: وَحِّدُوا اللَّهَ»[(١)].

العبادة هي الحكمة الشَّرعيَّة الدِّينيَّة من خَلْقِ العباد

﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾؛ اللَّام للتَّعليل، فهذا هو الحكمة في خَلْقِهم، وهي الحكمة الشَّرعيَّة الدِّينيَّة؛ فإنَّ الحكمة حكمتان - والإرادة أيضاً -:

- كونيَّة قَدَريَّة.

- وشرعيَّة دِينيَّة.

والمراد: الشَّرعيَّة الدِّينيَّة، ويقال لها: الحكمة - كما تقدَّم -.

العبادة فِعْل العباد اختياراً

ولم يَقُلْ تعالى: إنَّه فعل بهم الأوَّل - وهو خَلْقُهم - لِيَفْعل بهم الثَّاني - وهو إِجْبَارُهُم على عبادته -؛ بل فعل الأوَّل ليفعلوا هم الثَّاني - وهو عبادته وحده -؛ فإنَّ العباد منهم مَنْ تسبق عليه

---

(١) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١/ ٣٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٠)، رقم (٢١٦).

. . . .

السَّعادة فيطيع، ومنهم مَنْ تسبق عليه الشَّقاوة فيعصي، كما أنَّ اللَّه أرسل الرُّسُل فمنهم مَنْ يُطاع، ومنهم مَنْ يُعصَى.

فعَرَفْنَا بيان عِظَم شأن التَّوحيد: أنَّه الحكمة في إيجاد الثَّقلَيْن، إذا كان الخَلْقُ كلُّهم لم يُخْلَقُوا إلَّا له، فإنَّهم لم يُخْلَقُوا سُدىً[1] ولا عَبَثاً - تعالى اللَّه وتَقدَّس -، وبَيَّن تعالى في الآية: أنَّه لم يُرِدْ منهم رزقاً، ولا أن يُطعِمُوه.

(١) أي: هَمَلاً. الصِّحاح (٦/ ٢٣٧٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

الحكمة من بعثة الرُّسُل

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾) في كلِّ قرنٍ وجيلٍ من النَّاس (﴿رَّسُولًا﴾) إقامةً منه تعالى للحُجَّة على عباده، وإيضاحاً للمَحجَّة.

التَّوحيد شرطٌ لصِحَّة العبادة

(﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) يعني: وَحْدَه؛ وذلك أنَّ العبادة التي ليست على التَّوحيد ليست عبادة؛ فإنَّ الذي عبادته ليست كلُّها للَّه ليس بعابد للَّه؛ بل هو مُشركٌ كافرٌ عابد للشَّيطان، وهي مُنتفيَة عن اللَّه؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾، وهم يَعبُدُون اللَّه أحياناً وأحياناً، ويُوَحِّدونَه في الشِّدَّة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية، وهم مع ذلك لم يكونوا عابدين.

«اجْتَنِبُوا» أبلغ من «اتْرُكُوا»

(﴿وَٱجْتَنِبُوا۟﴾) أبلغ من «اتْرُكُوا»؛ فإنَّ «اتْرُكُوا» لعدم الفعل، و«اجْتَنِبُوا» تقتضي ذلك وتقتضي المُباعَدَة والمُجانَبَة.

تعريف الطَّاغُوتِ لغةً وشرعاً

و(﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾): مُشتقٌّ من الطُّغيان، وهو: مجاوزة الحَدِّ[١]؛ فكلُّ مَنْ تَعَدَّى حَدَّه بأيِّ نوع من الطُّغيان فهو طاغوت؛

---

(١) الصِّحاح (٦/ ٢٤١٢).

. . . .

كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾.

وللسَّلَف فيه تفاسير[١]، ولا مُنافَاة بينها، وهي ترجع إلى شيءٍ واحدٍ، وقد ذكره ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] في قوله: «الطَّاغوت: ما تَجاوَزَ به العبدُ حَدَّه؛ من معبودٍ، أو مَتْبُوعٍ، أو مُطاعٍ»[٣]؛ فكلُّ مَنْ تَعَدَّى حَدَّه صار بذلك طاغوتاً.

عادة أهل التَّفسير أنَّهم يريدون جنس المعنى

وأهل التَّفسير لهم عادة في ذلك: أنَّهم لا يريدون إلَّا جنس المعنى، وأنَّه اختلاف تَنوُّع لا اختلاف تَضَادٍّ[٤]؛ بل جاء نفس ذلك في الأحاديث - كاختلاف ألفاظ التَّشهُّد، والاستفتاحات، وغيرها -.

التَّوحيد له ركنان: نفيٌ وإثباتٌ

فالتَّوحيد الذي بُعِثَتْ به الرُّسُل له ركنان: نفي، وإثبات، فالنَّفي المَحْضُ ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النَّفي، فلا يكون التَّوحيد إلَّا مُتحصَّلاً من مجموع الأمرين: من النَّفي،

---

(١) منها: تفسير الطَّاغوت بالشَّيطان، والسَّاحر، والكاهن. تفسير الطَّبريِّ (٤/ ٥٥٥).

(٢) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب الزُّرعيُّ الأصل، ثمَّ الدِّمشقيُّ، الحَنبليُّ، ابنُ قيِّم الجوزيَّة، ولد سنة (٦٩١هـ)، تفقَّه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وأخذ عنه، له في كلِّ فنٍّ من الفنون اليد الطُّولَى، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٥١هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠)، المقصد الأرشد (٢/ ٣٨٤).

(٣) إعلام الموقِّعين (٢/ ٩٢).

(٤) مقدِّمة في أصول التَّفسير (ص١١).

. . . .

والإثبات، وهذا هو حقيقة ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾؛ فإنَّه (﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾).

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ففي هذه الآية: بيان عِظَم شأن التَّوحيد؛ لكونه الحكمة في إرسال الرُّسُل، والحكمة في إنزال الكتب، فالرُّسُل لم يُرْسَلُوا إلَّا ليُعبَد اللَّه وحده؛ والخَلْقُ لم يُخْلَقُوا إلَّا ليعبدوا اللَّه وحده، كما في الآية الأُولى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾.

معنى ﴿وَقَضَىٰ﴾

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾) أي: أَمَر ووَصَّى وأَوْجَبَ على أَلْسُنِ رُسُله.

القَضَاءُ ينقسم إلى قسمين

وهذا قضاءٌ شرعيٌّ دينيٌّ؛ فإنَّ القضاءَ ينقسم إلى قسمين:

- قضاءٍ كونيٍّ قَدَريٍّ.

- وقضاءٍ شرعيٍّ دينيٍّ.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ هي: «لا إله إلَّا اللَّه»

(﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾) يعني: وحده؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ الآية، وهذه الكلمة هي: «لا إله إلَّا اللَّه».

عِظَم حَقِّ الوَالدَيْن

(﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾) أي: وقَضَى أن تُحْسِنُوا بالوالدين إحساناً؛ حَثّاً على برِّهما، وتحريماً لعقوقهما، فَقَرْنُ حَقِّهما بحَقِّه مفيدٌ عِظَمَ حَقِّهما، وأنَّه آكد الحقوق بعد حَقِّ اللَّه؛ لأنَّهما سببٌ لإخراجك من العدم، وكذلك حَقُّ الرَّسولِ ﷺ فإنَّه تَبعٌ لحَقِّ اللَّه، مقدَّمٌ على حَقِّ الوالدين.

﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ ولَمَّا نهى عن القول السَّيِّئ والفعل السَّيِّئ أمر بالقول

. . . .

الحسن والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ يعني: ليِّناً، بأدبٍ وتوقيرٍ، وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾.

فهذا أَمْره تعالى لعباده، وهذه وصيَّته لعباده.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

وهذه الآيات - (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾) إلى قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ - اشتملت على جُملةٍ من الشَّرائع، وابتُدِئَتْ بالأمر بالتَّوحيد، واختُتِمَت بالنَّهي عن الشِّرك، فدَلَّ على عظم شأن التَّوحيد، وأنَّه أوجب الواجبات؛ إذ العرب لا تبتدئ إلَّا بالأهمِّ فالأهمِّ، وأنَّ ضدَّه - وهو: الشِّرك - أعظم المُحرَّمات.

فائدة من الآية

وفي هذه الآية: تفسير «لا إله إلَّا اللَّه».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَةَ.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَةَ) هذه الآية يُقال لها: آية الحقوق العشرة؛ وذلك لأنَّها تَضمَّنت عشرة حقوق، وابتدأت بالأمر بالتَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك؛ فدَلَّ على أنَّ التَّوحيدَ هو أوجب الواجبات، وأنَّ الشِّركَ أعظم المُحرَّمات؛ هذه مطابقتها.

الشرك يحبط العبادة

ولمَّا أَمَر تعالى بعبادته نَهَى عن الشِّرك؛ لأنَّ الشِّركَ يُحبِطُها.

فائدة من الآية

وفيها: تفسير التَّوحيد، وأنَّه عبادة اللَّه، وتَرْكُ الشِّرك به.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيَاتِ.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾) إلى آخر **(الآيَاتِ)**.

تفسير مفردات الآية

(﴿قُلْ﴾) يا مُحمَّد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير اللَّه.

(﴿تَعَالَوْا﴾) هَلُمُّوا وأَقْبِلوا.

(﴿أَتْلُ﴾)، أي: أَقصُّ (﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾)، يعني: لا ظَنّاً ولا تخرُّصاً[(١)]؛ بل وَحْياً منه، وأمراً من عنده؛ (﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾) إلى آخر الآيات الثَّلاث.

هذه الآيات من المُحْكَمات

وهذه الآيات قيل: إنَّها المُحكَمَات المذكورة في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أو من المُحْكَمَات[(٢)].

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ذكر تعالى في هذه الآيات جملة من المُحَرَّمات، وابتدأها بالنَّهي عن الشِّرك؛ فدَلَّ على أنَّه أعظم المُحَرَّمات، والنَّهي عن الشِّرك يستدعي التَّوحيد بالاقتضاء؛ فدَلَّ على أنَّ التَّوحيدَ أوجب

(١) أي: كذباً. العين (٤/ ١٨٣).
(٢) تفسير الطَّبريِّ (٥/ ١٩٣)، (٩/ ٦٦٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢).

. . . .

الواجبات، وأنَّ الشِّركَ أعظم المُحَرَّمات، وهذا وجه مطابقتها للتَّوحيد.

﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ إشارةً إلى هذه المُحَرَّمات؛ التي أَوَّلُها وأَعظمُها النَّهي عن الشِّرك.

﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ﴾ وبوَصيَّة اللَّه تعالى التي وصَّاكم بها فأَوْفُوا وانْقَادُوا؛ بأَنْ تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ أي: طريقي ومَسْلَكي، والمراد بالصِّراط: الشَّريعة.

﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾ المستقيم: الذي لا اعْوِجَاجَ فيه.

خصائص الصِّراط المستقيم

وهو يجمع ثلاثة أمور: السُّهولة، والسَّعة، والقرب؛ فهو أَقربُ الطُّرق إلى اللَّه، وأَوسعُهَا، وأَسهلُهَا؛ بل الطُّرق كلُّها مسدودة على الخَلْقِ إلَّا طَرِيقه الذي نصبه لعباده، وقُرْبُه من حيث سهولته، وكذلك لو لم يتَّسع لَلَحِقَ السَّالِكَ منه مَضرَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾، وقال ﷺ: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[(١)]؛ ومن المعلوم: أن الطَّريق الذي طَرَقَه لعباده لو اجتمع أهل الأرض وأَضعافُ أَضعافِهِم لَوَسِعَهُم؛ فإنَّه

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٢٢٩١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ

الطَّريق المُحْكَم في أوامره ونواهيه، ولو اجتمعت الأمم ومثلها معها - كلُّهم - ليطرقوا طريقاً لعجزوا.

السُّبُل: البِدَع والشُّبُهَات

﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قال مجاهد رحمه الله[1]: «هي البِدَع والشُّبُهات»[2] ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطّاً مُسْتَقِيماً، فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ، وَعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ الآيَةَ»[3].

وذكر أوَّلاً: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾، ثمَّ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ثمَّ: ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنَّهم إذا عقلوا تذكَّروا، فإذا تذكَّروا خافوا.

معنى الوصيَّة

(قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ

---

(١) هو: أبو الحجَّاج مُجاهِد بن جبر المَكِّيُّ الأسود، ولد سنة (٢١هـ)، روى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعنه أخذ القرآن، والتَّفسير، والفقه، توفِّي رحمه الله سنة (١٠٤هـ). الطَّبقات الكبرى (٥/ ٤٦٦)، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٢) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٢)، رقم (٨١٠٤).

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (٤١٤٢).

مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآيَةَ».

مُحَمَّدٍ ﷺ) الوصيَّة: الأمر المُؤَكَّد المُقرُّ، وسُمِّيت وصيَّة الميِّت وصيَّة؛ لأنَّه يَعْهَدُها لِمَنْ بعده؛ ليتمسَّكوا بها.

(الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ) وهذا تشبيه بالوصيَّة التي كُتِبَت ورُسِمَت فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل، ولم يُزَدْ فيها ولم يُنْقَص.

(فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآيَةَ»[1]).

وصيَّة اللَّهِ ورسولِه ﷺ

وكلامه يدلُّ على أنَّه لا حاجة أن يُوصِيَ ﷺ؛ فإنَّ اللَّهَ قد وَصَّى بما في هذه الآيات؛ وذلك أنَّ اللَّهَ تعالى ذَكَر في آخر كلِّ آية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، فالرَّسولُ ﷺ لو وَصَّى لم يُوصِ إلَّا بما وَصَّى به اللَّه تعالى؛ فصارت هذه وَصيَّةَ اللَّه، ووَصيَّةَ رسولِه ﷺ بالمعنى.

البَيْعَة على الآيات الثَّلاث

وفي الحديث: «أَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ الآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ؟ ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، حَتَّى خَتَمَ الآيَاتِ الثَّلَاثَ، فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب تفسير القرآن، بابٌ ومن سورة الأنعام، رقم (٣٠٧٠).

. . . .

عَلَى اللَّهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئاً أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أُخِّرَ إِلَى الآخِرَةِ كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[(١)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٤٨)، رقم (٣٢٤٠)، من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه.
وبنحوه رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾، رقم (٤٨٩٤)، ومسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفَّارات لأَهلِها، رقم (١٧٠٩).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، . . . .

(وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ).

حَقُّ اللَّه على العباد

(قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) فيه: تفسير حَقِّ اللَّه الواجب على عباده، ففي هذا بيان أمرَيْن:

الأوَّل: تفسير التَّوحيد.

والثَّاني: بيان أنَّ هذا التَّوحيد - الذي هذا تفسيره - هو حَقُّ الرَّبِّ الذي أوجب وافترض على العباد، لا يُقبَل منهم سواه.

حَقُّ العباد على اللَّه

(وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ) وهو الذي كَتَبَ على نفسه الرَّحْمَة، وأوجب على نفسه الحَقَّ، لم يُوجِبْه عليه مخلوق؛ (أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[١]).

فوائد من الحديث

هذا الحديث فيه عدَّة فوائد:

منها: فَضِيلَة معاذ رضي الله عنه، وذلك من وجهين[٢].

الثَّانية: بيان تفسير التَّوحيد، وأنَّه: عبادة اللَّه، وتَرْك الشِّرك به.

الثَّالثة: بيان أنَّ مِنْ فضل التَّوحيد: أنَّ الرَّبَّ أحَقَّ على نفسه أن لا يُعذِّب مَنْ لا يُشرِكُ به شيئاً، وأنَّ هذا حَقُّ العباد على اللَّه إذا لَقَوه سالمين من الشِّرك.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

ومنها - وهو الشَّاهد -: بيان عِظَم شأن التَّوحيد، وأنَّه حَقُّ الرَّبِّ على العباد؛ الذي أَحَقَّ وافترض على عباده، ولا يَقْبَل منهم سواه.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب اسم الفَرَس والحمار، رقم (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لقي اللَّه بالإيمان وهو غير شاكٍّ فيه دخل الجَنَّة وحرم على النَّار، رقم (٣٠).

(٢) وهما: إرداف النَّبيِّ ﷺ له، وتَخْصِيصُه على غيره بهذا العلم، كما سيأتي في شرح المسألة «الثَّالثة والعشرين» من مسائل هذا الباب (ص٢١٣).

. . . .

ومنها: معرفة الفَرْقِ بين الحَقَّيْن: وأنَّ حَقَّ اللَّه على العباد حَقُّ فرضٍ وإيجابٍ، وحَقَّ العباد على اللَّه حَقُّ تفضُّل وإحسان، وأنَّ النَّاس فيه على ثلاثة مسالك:

مسالك النَّاس في معنى حَقِّ العباد على اللَّه

- منهم مَنْ قال: إنَّه يجب على اللَّه، وهو قول القَدَريَّة النَّافية[١] - ومنهم المُعْتَزِلَة[٢] -؛ قاسُوا الخالق بالمخلوق، وأنَّه يُستحقُّ بالأعمال؛ لأنَّ العباد أطاعوه دون أن يجعلهم مُطِيعِين له؛ بناء على نفي القَدَر.

- والثَّانية: قابلتهم؛ وهم الجَبْرِيَّة[٣] القَدَريَّة أَتْبَاع جَهْم[٤]،

---

(١) هم: فِرْقَة أَنْكَرَت القَدَر، وغلاتهم زَعَمُوا أنَّ الأَمْر أُنُف - أي: أنَّ اللَّهَ لا يَعْلَم بالأمر إلَّا إذا وَقَعَ -، وجمهورهم يُنكِرون عموم خَلْقِه ومشيئته وقدرته، وأوَّلُ مَنْ تَكلَّم بالقَدَر: مَعْبَد الجهني، ظَهَر في زمن المُتأخِّرين من الصَّحابة وتَبَرَّؤُوا منه. الفَرْق بين الفِرَق (ص١٤)، دَرْء تعارض العقل والنَّقل (٨/ ٤٢١).

(٢) هم: فِرْقَة كلاميَّة ظَهَرَت في أوَّل القرن الثَّاني الهجري، سُمُّوا بذلك؛ لاعتزال إمامِهم واصلِ بن عطاء مَجْلسَ الحسن البصري بعد قول واصلٍ قولَه المُبتدَع في مُرْتَكِب الكبيرة، وقيل: لاعتزالهم المسلمين ومخالفتهم لهم في ذلك، مِنْ بِدَعِهم: نفي الصِّفَات والقَدَر، والقول بخَلْقِ القرآن، وتقديم العقل على النَّقل. الفَرْق بين الفِرَق (ص٧٨)، المِلَل والنِّحَل (١/ ٤٣).

(٣) هم: فِرْقَة تَنْفِي الفعل حقيقة عن العبد وتُضيفُه إلى الرَّبِّ تعالى، وتقول: إنَّ الإنسانَ مُجْبَر ومُسَيَّر وليس بمُخَيَّر. المِلَل والنِّحَل (١/ ٨٥).

(٤) هو: أبو محرز الجَهْم بن صفوان السَّمرقندي، رأس الجَهمِيَّة، قُتِل سنة (١٢٨هـ). ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦)، لسان الميزان (٢/ ٥٠٠).

. . . .

وقالت: ليس بحَقٍّ حقيقةً، إنَّما هو اسم ووَعْد، وهو لا يُخْلِفُ المِيعَاد.

- والثَّالثة: وهم أهل السُّنَّة والجماعة، قالوا: إنَّه حَقٌّ، واللَّه الذي أوجبه على نفسه من غير أن يُوجِبه عليه مخلوق، وهو حَقُّ تفضُّلٍ وإحسانٍ.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ   كَلَّا، وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا   فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ[1]

حاصل ما تقدَّم

فتَحَصَّل عدَّة فوائد:

الأُولى: مقصود المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصنيف الكتاب.

الثَّانية: أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

الثَّالثة: توحيد الرُّبوبيَّة ما هو؟

الرَّابعة: أنَّ المشركين مُقِرُّون به، كما في قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾.

الخامسة: أنَّه لم يدخلهم في الإسلام؛ بل قاتلهم رسول اللَّه ﷺ، وبدليلِ آخرِ الآية، وهو قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ به في عبادته؟!

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٢).

. . . .

السَّادسة: قول أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الأسماء والصِّفات.

السَّابعة: معرفة النَّوع الثَّالث، وهو توحيد الأُلوهيَّة والعبادة، وأنَّ معناه: إفراد ربِّ العالمين بالعبادة، وهو معنى: «لا إله إلَّا اللَّه»، وهو أوَّل دعوة الرُّسُل.

الثَّامنة: أنَّ النَّوعَيْن الآخرَيْن مذكوران في الكتاب، وأنَّ مَنْ جَحَدَ واحداً منها فكأنَّما جَحَد الجميع.

التَّاسعة: أنَّ صَرْف المُصَنِّف عنايته للنَّوع الثَّالث لأمرَيْن:

الأوَّل: لأنَّه أوَّل دعوة الرُّسُل.

الثَّاني: عموم البلوى في زمانه بعبادة الأشجار والأحجار ونحوهما.

العاشرة: أنَّ التَّوحيدَ هو الحكمة في إيجاد الثَّقلَيْن، كما في الآية الأُولى.

الحادية عشرة: أنَّ التَّوحيدَ هو الحكمة في إرسال الرُّسُل، كما في الآية الثَّانية.

الثَّانية عشرة: أنَّ التَّوحيدَ أوجب الواجبات، كما في الآية الثَّالثة والرَّابعة والخامسة.

. . . .

الثَّالثة عشرة: أنَّ ضدَّ التَّوحيد هو الشِّرك أعظم المُحَرَّمات، كما في الآية الخامسة.

الرَّابعة عشرة: أنَّ التَّوحيدَ هو حَقُّ الرَّبِّ على العباد، ولا يَقْبَل منهم سواه، كما في حديث معاذ ﵁.

الخامسة عشرة: أنَّ حقيقةَ التَّوحيد وتفسيرَه: عبادة اللَّه وحده لا شريك له، كما في الآية الرَّابعة وحديث معاذ ﵁.

السَّادسة عشرة: أنَّ مِنْ فضل التَّوحيد: أَحَقَّ الرَّبُّ على نفسه أن لا يُعَذِّب مَنْ لا يُشرِكُ به شيئاً.

السَّابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يَسُرُّه، وأنَّه لا ينبغي إخباره بما يَسوؤُه.

الثَّامنة عشرة: أنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصَّحابة.

التَّاسعة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

العشرون: أنَّه يُخافُ على أهل التَّوحيد الاتِّكالُ على سَعَة رحمة اللَّه.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ.

(فِيهِ مَسَائِلُ) يعني: في هذا الباب فوائد من أوَّلِه إلى آخرِه - مسائل في النُّصوص من الأحاديث والآيات -:

الحكمة من خلق الجِنِّ والإنس

(الأُولَى): معرفة (الحِكْمَةِ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ) يعني: أنَّ آية الذَّاريات دلَّتنا على الحكمة في خلق الثَّقلين، وأنَّها العبادة، والمراد بها: التَّوحيد.

فيه: عظم شأنه، وأنَّه هو الحكمة، وأنَّ اللَّه لم يوجدهما إلَّا لأجله.

العبادة هي التَّوحيد والخصومة إنَّما تكون فيه

(الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ) ليس مُجَرَّد وقوع عبادة له؛ بل المراد: أن تكون عبادتهم كلُّها له.

(لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ) يعني: بدليل أنَّ الخصومةَ في التَّوحيد، ليست الخصومة أن يُوجَد مُجَرَّدُ عباداتٍ للَّه، ليست هذه هي الدَّعوة التي كان فيها الخصام، وليس هذا مطلوب الرُّسُل من الأمم؛ بل الذي أرادوا وطالبوهم به: أن يعبدوه وحده، كما قال تعالى عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام؛ أنَّهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ فدَلَّ على أنَّ المرادَ بالعبادة: التَّوحيد، لا غيره.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ؛ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

الرَّابِعَةُ: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

مَنْ عَبَد مع اللَّه غيرَه فليس عابداً للَّه

(الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ) بالتَّوحيد (لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ) فإنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وعَبَدَ غيرَه ما أتى بالعبادة التي خُلِقَ لها.

(فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾) يعني: إذا كان يَعبُدُ اللَّه ويَعبُدُ غيره؛ لا يكون عابداً للَّه أبداً، كما قال تعالى: (﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾)، ومن المعلوم أنَّ الذين عُنوا بـ(﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾) يَعبُدُون اللَّه في بعض الأحيان مع غيره، وتارة وحده، لكن لَمَّا لم تكن في كلِّ الأحيان نُفِيت عنهم؛ فتبيَّن أَنَّ مَنْ لم يأت به لم يعبد اللَّه.

الحكمة من إرسال الرُّسُل وإنزال الكُتُب

(الرَّابِعَةُ: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ) هي دعوتهم أُمَمَهم إلى هذا التَّوحيد.

ففي آية النَّحل: بيان الحكمة في إرسال الرُّسُل، وأنَّه هو التَّوحيد - أن يُعبَد اللَّه وحده -؛ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾، هذا حقيقة التَّوحيد، وهذا تفسير التَّوحيد؛ فإنَّ «لا إله إلَّا اللَّه» لها ركنان: النَّفي، والإثبات.

كما أنَّ في آية الذَّاريات: بيانَ الحكمة في خلق الثَّقلَيْن، وأنَّها العبادة.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.
السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.

ونعرف أنَّه الحكمة في إنزال الكتب، هذا بلا نزاع، فإذا كان هذا في القرآن فإنَّه في سائر الكتب أيضاً.

لا حُجَّة لأحدٍ بعد الرُّسُل

(الخَامِسَةُ) من فوائد هذا الباب: **(أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ)** إزالةً للحُجَّة، وإزاحةً للعِلَّة، وقطعاً للمَعْذِرَة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

التَّوحيد دين الأنبياء

(السَّادِسَةُ) من فوائد هذا الباب التي ذُكِرت فيه: **(أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ)** لا يختلف؛ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ دينُ جميع المرسلين هو هذا، وهو أن تكون العبادة بجميع أنواعها للَّه ربِّ العالمين، هذا هو الذي بُعِثَت به الرُّسُل، تدلُّ عليه هذه الآية، وعموم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ فإنَّه شَمِلَ آدمَ وذرِّيَّته، فهو دالٌّ على أنَّه ما تغيَّر ولا يتغيَّر؛ بل هو واحد، إنَّما التَّغيُّر والتَّنوُّع في الشَّرائع، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، وفي الحديث: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»[1]،

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».

السَّابِعَةُ - المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ -: أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ؛ . . . .

فالمرسلون - من أوَّلِهم إلى آخِرِهم وخاتمتهم مُحمَّد عليهم الصلاة والسلام - دينهم واحد؛ كون المعبود هو ربُّ العالمين، لا يُفعَل شيء من القُرَب - فِعلاً ولا تَرْكاً - إلَّا للَّه.

التَّنوُّع في الشَّرائع خاصَّة

أمَّا بعض الشَّرائع ففيها تنوُّع؛ فتحليلٌ في الشَّريعة الأُولى، وتحريمٌ في شريعة الثَّاني؛ لكمال عِلمِه وحكمتِه، الذي يَضَع الأشياء مواضعها، وفي الموضع اللَّائق بها، وكلُّه تَعبُّدٌ لربِّ العالمين، كلُّها تُفعل ابتغاء وجه اللَّه، هو المعبود وحده، فالتَّنوُّع في صور الشَّرائع، أمَّا المقصود بها فهو واحد، وهو وجه اللَّه، وإلَّا فأصل الدِّين واحد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ﴾ الآية.

عبادة اللَّه لا تَحصُل إلَّا بالكفر بالطَّاغوت

(السَّابِعَةُ - المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ -: أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُلُ) ولا تُتَصوَّرُ لأحدٍ، ولا يَنالُها من الخَلْقِ أحدٌ (إِلَّا بِالكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ) إلَّا إذا كَفَر بالطَّاغوت؛ والمُصَنِّف أخذها من ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾؛ فإنَّ الآيةَ دلَّت على شيئين: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، فدَلَّ على أمرين؛ الأوَّل مَقرونٌ بالثَّاني.

. . . .

تَفَطُّنُك للسِّرِّ في ذلك وهو: أنَّ كثيراً من النَّاس يَحْسَبون أنَّ الاعترافَ وحده أو العَملَ وحده يكفي، والنُّصوص بخلاف ذلك، فإنَّ الآيةَ(١) في الكلام الآخَر، وهو اعتقادُ وشهادةُ أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر والضَّلال؛ فمتى توقَّف ولو على وجه التَّورُّع لم يُعصَم دمه وماله؛ ولهذا يأتيك قوله: (﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾).

مِنْ لوازم الكفر بالطَّاغوت: تكفير المشركين

ويلزم من ذلك: تكفير المشركين؛ إذ لو كان كافراً بما يُعبَد من دون اللَّه لَأَعْمَلَ ذلك، وكَفَّر مَنْ يوجد منه هذا العمل - وهو الشِّرك -، فإنَّ مِنْ لَازِم الكفر بالطَّاغوت: تَكفيرَ مَنْ عَبَد غيرَ اللَّه، فإذا لم يكفِّرهم عَرَفْنَا أنَّه ما عَبَدَ اللَّه وحده.

وكثيرٌ من النَّاس إذا سمع بالتَّوحيد أَعْجَبَه، وسَرَّه أنَّه هو التَّوحيد، واعتقده، لكن إذا كان عند مسألةِ: أنَّ ضدَّه الكفر، أو يُكفِّر مَنْ عَبَدَ غير اللَّه؛ صار عنده(٢) لأجل ما يوجد من الشُّبَه - هؤلاء يَتَصدَّقون، هؤلاء، هؤلاء... إلخ -، فيَستعظِم مِنْ جَهلِه أن يَحْكُم عليهم بالكفر، ولذلك يُعَظِّم المُصَنِّف هذه المسألة، فهي المسألة العظيمة، وفيها الفَرْق.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
(٢) استعظام لذلك.

فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

المُسْتَمْسِك بالعُرْوَة الوُثْقَى: مَنْ جمع أمرين

(فَفِيهِ مَعْنَى) الآية الأخرى (قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾) فإنَّها دَلَّت على أنَّ المُسْتَمْسِك بالعُرْوَة الوُثْقَى هو الجامع للأمرين: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾).

و«العُرْوَةُ الوُثْقَى» هي: «لا إله إلَّا اللَّه».

ومعنى (﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾): القويَّة[1]، فلا تخونه أبداً.

ومعنى (﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾): أخذ بها حقيقةً بقوَّة[2].

معنى «لا إله إلَّا اللَّه»: الكفر بالطَّاغوت والإيمان باللَّه

وبهذا يتبيَّن لك معنى: «لا إله إلَّا اللَّه»، وأنَّ معنى «لا إله إلَّا اللَّه» هو: الكفر بالطَّاغوت.

فصار الدِّين المبعوث به المرسلون مُتحصَّلاً من أمرين: من الكفر بالطَّاغوت، والإيمان باللَّه.

الطَّاغوت عامٌّ في كلِّ ما عُبد من دون اللَّه

(الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعني:

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٧).

. . . .

لا يُتصوَّر أنَّه شيءٌ مُعَيَّنٌ مَخصوصٌ؛ بل المراد الجنس، وذلك أنَّ اشتقاقَه من الطُّغيان، وهو: مُجاوَزةُ الحدِّ، فهو عامٌّ، كما قاله مالك رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هو: كلُّ ما عُبِدَ مِنْ دون اللَّه»(٢)، وقد حَدَّه ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ بحدٍّ يجمع التَّفاسير جميعاً، فقال: «الطَّاغوت: ما تَجاوَزَ به العبدُ حدَّه؛ من مَعبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مُطاعٍ»(٣).

فقول المُصَنِّف: **(أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)** يعني: في قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ عامٌّ، سواء كان من الأنبياء أو الأولياء أو الصَّالحين.

ومن المعلوم أنَّ مَنْ عَبَدَ مخلوقاً فلا تفصيل فيه، ومَنْ عُبِد وهو راضٍ فهو طاغوت، لكنَّ الأنبياء والصَّالحين لا يرضون بهذا، فليسوا طواغيتَ؛ فإنَّ الطَّاغوت: الشَّيطان؛ فهو ما دعا إلَّا الشَّيطان، فإنَّ الشَّياطين هي التي زيَّنَتْه، فهو عابدٌ للشَّيطان، هو الذي دعاه، وإن صَحَّ أن يقال: إنَّه عَبَدَ فلاناً، فهو إنَّما يَعبُدُ الشَّيطان.

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مالك بن أنس بن مالك الأَصبحي، ولد سنة (٩٣هـ)، إمام دار الهجرة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، كان عالم المدينة في زمانه، وقَصَدَهُ طلبة العِلم من الآفاق، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٧٩هـ). حلية الأولياء (٦/ ٣١٦)، سير أعلام النُّبلاء (٨/ ٤٨).

(٢) تفسير القرآن لابن وهب (٢/ ١٣٥).

(٣) إعلام الموقِّعين (٢/ ٩٢).

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ المُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنْعَام عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ؛ أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.

العَاشِرَةُ: الآيَاتُ المُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِيَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً؛ بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ

فالطَّاغوت عامٌّ، فالذي عَبَدَ مع اللَّه غيره ما كفر بالطَّاغوت، ولا أتى بالدِّين، ولا امتثل مَا خُلِق له.

(التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ المُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ؛ أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ).

بَدْءُ المحرَّمات بالنَّهي عن الشِّرك يدلُّ على أنَّه أعظمها

كون أوَّلِها النَّهي عن الشِّرك يدلُّ على أنَّه أعظمها، فإنَّ العرب لا يبدؤون إلَّا بالأهمِّ، قال سِيبَوَيْه رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّ العَربَ إنَّما يُقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى»[2].

(العَاشِرَةُ: الآيَاتُ المُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِيَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً؛ بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ

---

(١) هو: أبو بِشْر سِيبَوَيْه عَمْرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسي، إمام النَّحو، طَلَب الفقه والحديث مُدَّة، ثمَّ أقبل على العربيَّة، فبَرع وساد أهل العصر، وألَّف فيها كتابه الكبير، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٨٠هـ). طبقات النَّحويين واللُّغويين (ص٦٦)، سير أعلام النُّبلاء (٨/ ٣٥١).

(٢) الكتاب (١/ ٣٤).

ﭐللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾، **وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:** ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾، **وَنَبَّهَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِقَوْلِهِ:** ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾.

ﭐللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾[1]، **وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:** ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾.

وَنَبَّهَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾).

النَّهي عن الشِّرك يَستدعي الأمر بالتَّوحيد

والنَّهي عن الشِّرك يَستدعي الأمر بالتَّوحيد؛ فدَلَّت على عِظَم شأن التَّوحيد، وكونه أوجب الواجبات، وعِظَم الشِّرك وقُبْحه، وأنَّه أكبر الكبائر والمُحرَّمات.

أوجه عظم شأن التَّوحيد وقبح الشِّرك من الآيات المُحْكَمات

فيصير فيها الأمر بالتَّوحيد مرَّتَيْن، والنَّهي عن الشِّرك مرَّتَيْن، كأنَّ الثَّاني تأكيد للأوَّل، فهو يُفيدُ: الأمر بالتَّوحيد، وغِلَظ الشِّرك؛ البداءة ثمَّ الخاتمة.

ففيه من تأكيد التَّوحيد: الابتداء، والختم كذلك.

يعني: أنَّ في الآيات عِظَم شأنِه وفَضْلِه وأَجْرِه، وعِظَم قبح

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه لم تُذْكَر في المتن، لكن بما أنَّ آية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ تتوسط النَّهي عن الشِّرك في موضعين - وقد أوردها هنا - فهذا وجه إيراد ما ذكر».

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى: «آيَةَ الحُقُوقِ العَشَرَةِ»؛ بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

الشِّرك؛ بوجوه:

أحدها: البَداءة به.

الثَّاني: الخَتْم به.

الثَّالث: التَّأكيد؛ بكونه ذُكِر مرَّتَيْن.

فاسْتَفَدْنا: أنَّ التَّوحيدَ أوجب الواجبات، وضدَّه أعظم المُحَرَّمات.

آية الحقوق العشرة بدأها اللَّه بالتَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى: «آيَةَ الحُقُوقِ العَشَرَةِ») سُمِّيت بذلك؛ لِتَضَمُّنِها عشرة حقوق، (بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾) تُفيدُ كون التَّوحيد أوجب الواجبات، وأنَّ الشِّركَ أَعظمُ المُحرَّمات.

الآية تُفيدُ تفسير التَّوحيد

وتُفيدُك تفسير التَّوحيد، لو قيل لك: ما هو التَّوحيد؟

قل: هو في قوله: (﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾).

فهذا هو تفسير التَّوحيد: عِبادةُ اللَّه وحده، وتَركُ الشِّرك.

(الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ)

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْنَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

يعني: لو وَصَّى لم يُوصِ إلَّا بالثَّلاث[1]، أو ما دَلَّت عليه.

التَّوحيد حَقُّ اللَّه على العباد

(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْنَا) يعني: معرفة أنَّ التَّوحيدَ هو حَقُّ اللَّه علينا؛ نَعْرِفُ من الحديث: أنَّه هو حَقُّ اللَّه على العباد.

فتبيَّن: عِظَم شأنه، كما عَرَفْنَا أنَّه هو الحكمة في إيجاد الثَّقلَيْن، وأنَّه هو الحكمة في إرسال الرُّسُل وإنزال الكتب، إلى آخر ما تضمَّنته الآيتان[2].

حَقُّ العباد على اللَّه إذا أدَّوا حَقَّه أن لا يعذِّبهم

(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ) هو أن لا يعذِّبهم.

عِظَم شأن التَّوحيد من الحديث من جهتين

فدَلَّ على عِظَم شأن التَّوحيد من جهتين:

- كونه حَقَّه، لا حَقَّ له سواه؛ غير هذا الحَقِّ.

- والثَّانية: عِظَم شأن جزائه، وأنَّه لا يعذِّبهم إذا لقوه به.

---

(١) أي: ثلاث الآيات من سورة الأنعام التي سبق ذكرها (ص١٨٨).

(٢) يعني: الآية الأُولى والثَّانية من أدلَّة الباب، وهما: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.

الفَرْقُ بين حَقِّ الرَّبِّ وحَقِّ العَبْد

والكلام على الفَرْق وهو: حَقُّ الرَّبِّ على العباد حَقُّ فرضٍ وإيجابٍ، وحَقُّ العباد على اللَّه تفضُّلٌ وإحسانٌ.

أقسام النَّاس في معنى حَقِّ العباد

والنَّاس في هذا الحَقِّ أقسام:

- منهم مَنْ قال: هو وَعْد، وهو لا يُخلف، يعني: أنَّه وَعْدٌ مُؤَكَّد.

- وقابلهم طائفة أخرى، وقالوا: هو حَقٌّ مثل حَقِّ العباد بعضهِم على بعض، فهؤلاء قَاسُوا الخالق على المخلوق.

وكلٌّ مُخطئٌ.

- والحَقُّ: أنَّه حَقٌّ، وليس واجباً بالاستحقاق؛ بل هو واجب بالإيجاب، لا بالاستحقاق، كما قيل:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا، وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ

(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ) دليل ذلك: **(أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟)**.

جواز كتمان العِلم لمصلحة راجحة

(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ) يعني:

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.
الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ.
التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ المَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: «اللَّهُ

الرَّاجحة في الدِّين، لا بحسب رأي كلِّ أحد - يعني: المصلحة التي هي من مقصود الشَّارع، لا الشَّهوانيَّة -، فالكتمان: الذي فيه مصلحة راجحة على مصلحة الإخبار؛ وإلَّا فالكتمان فيه الوعيد، والأحاديث فيه معروفة[1].

وكأنَّ معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعارض عنده شيئان: إثم الكتمان، وهو أعظم من خوف الاتِّكال على سَعَة رحمة اللَّه.

استحباب بشارة المسلم بما يسرُّه

(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ) التي تَسُرُّهم، ويدلُّ دلالة العكس؛ بأنَّه لا ينبغي بما يغُمُّه.

الخوف من الاتِّكال على سَعَة رحمة اللَّه

(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ) في قوله: (فَيَتَّكِلُوا)، فيجرُّهم ذلك إلى التَّكاسُل، أو الوقوع في شيء من الحرمات؛ فيُخاف على أهل التَّوحيد.

رَدُّ العِلم إلى عالِمِه

(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ المَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: «اللَّهُ

---

(١) منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ؛ أَلْجَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه أحمد في المسند، رقم (٨٥٣٣).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

العِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ.

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» أن يَرُدَّ العلم إلى عالمه، من قوله في هذا الحديث: (**اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**).

فأفاد: حُسْنَ الأدب لِمَنْ سُئِل عمَّا لا يعلم.

جواز تخصيص بعض النَّاس بالعِلم

(العِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ) تخصيص معاذ رضي الله عنه دليلٌ على جواز ذلك؛ فإنَّ النَّاس ليسوا سواءً؛ كلُّ واحدٍ يُخبَر بما يُخبَر به غيرُه؟! بل لا يُخبَر إلَّا من عنده أهليَّةٌ لذلك.

تواضع النَّبيِّ ﷺ من جهتين

(الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ) تواضع أن يركب، وأردف معاذاً رضي الله عنه، وأهل الكِبْر يأنفون من ركوب الحُمُر والإرداف، والنَّبيُّ ﷺ فَعَل الأمرَيْن، وهو ﷺ سيِّدُ المتواضعين، وأَكرمُ الخَلْقِ أجمعين.

جواز الإرداف على الدَّابَّة

(الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ) إذا كانت

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ.

تُطِيق، فهو دَليلٌ على جواز ذلك، أمَّا إذا كان يُعجِز[1] فلا؛ لأنَّه ظُلم، والحمار الذي رَكِبَه ﷺ كان يُطِيق.

فَضْلُ معاذٍ رضي الله عنه

(الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه) من وجوه: من إردافه، وتخصيصه على غيره بهذا العلم؛ وفضائلُه شهيرة، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ: «إِنَّ مُعَاذاً كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً، وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ»[2]، وقال ﷺ: «إِنَّ مُعَاذاً يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ[3]»[4].

عِظَم شأن حَقِّ الله على العباد

(الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ) يُفيدُك عِظَم شأنها؛ كونها حَقَّ اللَّه على العباد الذي أحَقَّه عليهم، ولا يَقبَلُ

---

(١) أي: إذا كان الإرداف يُعجِز الدَّابَّة.

(٢) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١٤/ ٣٩٤)، وتمامه: «قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ - يُقَالُ لَهُ: فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ -: نَسِيَ، إِنَّمَا ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ نَسِيَ؟! إِنَّمَا كُنَّا نُشَبِّهُهُ بِإِبْرَاهِيمَ، قَالَ: وَسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنِ الأُمَّةِ، فَقَالَ: مُعَلِّمُ الخَيْرِ، وَالقَانِتُ: المُطِيعُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».

(٣) الرَّتْوَة: الرَّمْيَة بسَهْمٍ، وقيل: بحَجَرٍ. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٩٥)، العدَّة في شرح العمدة لابن العطَّار (١/ ٥٧٧).
أي: يكونُ مُعاذٌ رضي الله عنه يومَ القيامة أمامَ العُلَماء بمِقْدَار مَسَافَة الرَّمْيَة بالسَّهْم أو الحَجَر.

(٤) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الصَّغير (١/ ٣٣٥)، رقم (٥٥٦)، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.

. . . .

منهم سواه، وكونُ اللَّه أوجب لأهلها حَقّاً على نفسه، وأنَّها أوجب الواجبات، وضدُّها الشِّرك أعظم المُحرَّمات.



بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

مناسبة الباب لِمَا قبلَه

لمَّا ذكر التَّوحيد وكانت الأنفس لها تَشَوُّقٌ وتَشَوُّفٌ إلى معرفة المعالي والفضائل ونيلها وتحصيلها؛ ذَكَر هذا الباب.

شرح التَّرجمة

(بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ) يعني: باب بيان عظيم فضل التَّوحيد، وبيان عظيم تكفيره للذُّنُوب، فالتَّوحيد هو أفضلُ الأعمال على الإطلاق، وهو أعظمُها تكفيراً للذُّنُوب؛ كما أنَّه لا عَمَلَ مثله؛ فلا مثل له في تكفيره للذُّنوب.

و**(التَّوْحِيدُ)** المراد به هنا: توحيد الأُلوهيَّة والعبادة.

الرَّاجح أنَّ «مَا» مَصدريَّة

(وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ) **(مَا)** هنا: يحتمل أن تكون موصولة، ويحتمل أن تكون مصدريَّة؛ وأرجح القولين: ما رَجَّحَه الشَّارح[(١)]؛ من كونها مَصدريَّة؛ أي: وتكفيره الذُّنُوب[(٢)].

---

(١) الشَّارح هو: سليمان بن عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب التَّميمي النَّجدي، ولد سنة (١٢٠٠هـ)، مُحَدِّث، فقيه، صنَّفَ ودرَّسَ، وأفتى، كان في معرفة رجال الحديث يُسامي أكابر الحُفَّاظ، وكان حَسَنَ الخَطِّ ليس في زمانه مَنْ يكتبُ بالقلم مثله، توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٢٣٣هـ). الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٨٤)، تسهيل السَّابلة (٣/ ١٦٦٢).

ولُقِّب بـ«الشَّارح»؛ لأنَّه أوَّل مَنْ شَرَحَ كتاب التَّوحيد شَرْحاً مُدَوَّناً.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤٩).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

(**وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أخلَصوا، ووَحَّدُوا.

(﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾) اللَّبْس: الخَلْط[1]؛ لم يَخْلِطُوا (﴿إِيمَٰنَهُم﴾) تَوْحيدَهم، (﴿بِظُلْمٍ﴾) بشركٍ.

(﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾) يعني: في الدُّنيا والآخرة.

(﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾) إلى الصِّراط المستقيم.

وهذه الآيةُ فَصْلُ القضاء من اللَّه بين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، فإنَّ قَبْلَها قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

الظُّلم في الآية: الشِّرك

والظُّلم المراد به في هذه الآية: الشِّرك، والدَّليل أنَّه الشِّرك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ولذلك «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[2] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا

---

(١) الصِّحاح (٣/ ٩٧٣).

(٢) أي: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

. . . .

رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»(١)، فبيَّن لهم ﷺ أنَّ الظُّلمَ المراد هو: الشِّرك.

المراد بالشِّرك في الحديث

وقوله: «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ» إن أراد الأكبر؛ فمَقصودُه: أنَّ مَنْ لم يكن من أَهلِه فهو آمِنٌ ممَّا وُعِد به المشركون من عذاب الدُّنيا والآخرة.

وإن كان مراده جنس الشِّرك - يُقال: ظُلْمُ العبدِ نفسه؛ كبُخله لحُبِّ المال ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحُبِّه ما يبغضه اللَّه تعالى حتَّى يُقَدِّم هواه على مَحَبَّة اللَّه شرك أصغر، ونحو ذلك -؛ فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السَّلَف يُدخِلُون الذُّنُوب في هذا الشِّرك بهذا الاعتبار، لا مطلقاً؛ باعتبار أنَّه قدَّم مَحبُوبَه على محبوب اللَّه، وطاعة هواه على طاعة مولاه.

تعريف الظُّلم لُغةً وشرعاً

والظُّلم أَصلُه في لغة العرب: وضع الشَّيء في غير

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ﴾، رقم (٣٤٢٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم (١٢٤)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

. . . .

مَوْضِعِه(١)، كما قال النَّابغة(٢):

. . . .

وَالنُّؤْيُ(٣) كَالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ(٤)

مراده: أنَّك حفرت في غير مَحفَر، فإنَّ المَظلومَة هي: الوَعْر.

وفي النُّصوص يُطلَق على الشِّرك، ويُطلَق على المعاصي(٥)، ولكن عند الإطلاق فالمراد به: الشِّرك.

سبب تسمية المشرك والعاصي ظالماً

وإنَّما سُمِّي المشرك: ظالماً؛ لأنَّه وَضَع العبادة في غير مَوْضِعِها، وصَرَفَها لغير مستحقِّها.

---

(١) تهذيب اللُّغة (١٤/ ٢٧٤).

(٢) هو: أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب ابن ذبيان، أحد شعراء الجاهليَّة المشهورين، ومن أعيان فحولهم المذكورين، كانت تضرب له قُبَّة من جلد أحمر، فيأتيه الشُّعراء فيَعرِضُون عليه أَشْعَارَهُم، توفِّي قبل الهجرة بثماني عشرة سنة. تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٢٢١)، الأعلام للزِّركلي (٣/ ٥٤).

(٣) النُّؤْيُ: الحاجز حول البيت من تراب. تهذيب اللُّغة (١٦/ ٢٧٥).

(٤) الجَلَد: ما صَلُبَ من الأرض واستوى مَتْنُه. العين (٦/ ٨١).
والبيت للنَّابغة الذبياني في ديوانه (ص٤٧)، وصدره:
إِلَّا الأَوَارِيَّ لَأْيـاً مَـا أُبَـيِّـنُـهَـا . . . .

(٥) كقوله تعالى حكاية عن آدم وزوجه عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

. . . .

وسُمِّي العاصي: ظالماً؛ لأنَّه تَجَاوَز حَدَّه، فإنَّ حَدَّه أن يكون مُطِيعاً؛ فهو ظَلَم نَفْسَه بالمعاصي، وتعدَّى فيها حَدَّها، ووَضَعَها في مَوْضِعٍ غير مُستحقٍّ لها، فإنَّ اللَّائقَ بها إطاعتها لخالقها.

أنواع الظُّلم

والظُّلم ثلاثة أنواع:

- ظلم الشِّرك.

- وظلم العباد؛ بالتَّعدِّي عليهم في نفسٍ، أو مالٍ، أو عِرضٍ.

- وظلم النَّفس؛ بالذُّنُوب والسَّيِّئات، بما دون الشِّرك.

ثواب السَّالم من الظُّلم

فمَنْ سَلِم من أنواع الظُّلم الثَّلاثة؛ فله الأمن التَّامُّ، والاهتداء التَّامُّ، ومَنْ سَلِمَ من الأكبر - وهو ظُلم الشِّرك - ولَمْ يَسْلَم مِنْ ظُلْمِه لنفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقاً - مُطلَق الأمن -، بمعنى: أنَّه آمِنٌ ممَّا وُعِد به المشركون من عذاب الدُّنيا والآخرة، وأنَّه لا بُدَّ له من دخول الجَنَّة، كما وُعِد بذلك في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ومعه أصل الاهتداء إلى الصِّراط المستقيم، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وهذا لا ينفي أن يُؤاخَذ

. . . .

نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نَقَص من الإيمان

أَحدُهم بظلمه لنفسه إذا لم يَتُبْ، أو يُجزَى بسيِّئاته في الدُّنيا بالمصائب، فإنَّ أهلَ الكبائر مُعرَّضُون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التَّامُّ ولا الاهتداء التَّامُّ الذي يكونون به مهتدين إلى الصِّراط المستقيم؛ لهم مِنْ نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانهم بظلمهم لأنفسهم.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ومطابقة الآية للتَّرجمة: أنَّ مَنْ مات سالماً مِنْ لَبْس إيمانه بشركٍ فله الأمن؛ فلا بُدَّ أن يدخل الجَنَّة كما وُعِد بذلك؛ فتبيَّن بذلك: أفضليَّة التَّوحيد، وأنَّه السَّبب إلى النَّجاة من النَّار؛ فإنَّ الأعمال كلَّها محتاجة إلى التَّوحيد في السَّلامة من الخلود في النَّار، بخلاف مَنْ أتى بجميع الأعمال المشروعة ولكنْ مفقودٌ منه التَّوحيد؛ فإنَّه لا يكون من أهل النَّجاة والاهتداء بحال.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . . .

شهادة أن لا إله إلَّا اللّه علم وعمل

(عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها؛ باطناً وظاهراً.

مقتضيات شهادة أن لا إله إلَّا اللّه

الشَّهادة تقتضي: العلم بالمشهود به؛ فلو كان عن جهلٍ لم تكن شهادة.

وتقتضي: اليقين؛ فلو كانت عن شكٍّ لم تكن شهادة.

وتقتضي: الصِّدق؛ ولهذا الأعمال من العاملين تختلف اختلافاً عظيماً بحسب ما في القلب، فمَنْ كانت أعماله أنقص فذلك على حسب نقص تصديقه.

وتقتضي: العمل بذلك؛ فالذي لا يعمل ما شَهِد، يعني: ما يُتصوَّر في قلبه، فتَخلُّفه عن العمل شاهدٌ بأنَّه ما شَهِد بقلبه، فلو شَهِد حقيقةً ما تخلَّف أبداً ضرورة.

القبوريُّون علموا ولم يعملوا

فالمشركون يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه»، وألسنتهم وفِعالهم تقول: فلان الإله، فهم عَمَدوا إلى روح الدِّين وأساسه فنقضوه، وقالوا: نحن نُصَلِّي، ونَصُوم، ونشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وكذا، وكذا، وخالفوا أصل الدِّين؛ فمَنْ أقرَّ بها لفظاً وجَحَدَها معنىً - بأن كان مخالفاً لها - فهو مُرتدٌّ، وهو أعظم من الكافرِ

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، . . . . . .

الأصليِّ؛ فالقُبوريُّون في هذه الأزمان كفَّار مُرتدُّون؛ لكونهم عرفوا، وجحدوا مدلولها.

فتبيَّن بهذا: أنَّه لا بُدَّ من العلم بها، والعمل، والصِّدق.

فبالعلم ينجو من طريقة النَّصارى - وهي الضَّلال -، وبالعمل ينجو من طريقة اليهود، وبالصِّدق ينجو من طريقة المنافقين.

معنى شهادة لا إله إلَّا اللَّه

و **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** معناها: لا معبود حَقٌّ إلَّا اللَّه.

ففيها: نفي الأُلوهيَّة التي بحَقٍّ عمَّا سوى اللَّه، وإثباتها بجميع أنواعها للَّه وحده.

تأكيد الإثبات والنَّفي

(وَحْدَهُ) تأكيد للإثبات، **(لَا شَرِيكَ لَهُ)** تأكيد للنَّفي، قال الحافظ[(١)]: «تأكيدٌ بعد تأكيدٍ؛ اهتماماً بمَقَام التَّوحيد»[(٢)].

شهادة أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبدُه ورسولُه رَدٌّ على أهل الإفراط والتَّفريط

(وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) الجمع له ﷺ بين العُبوديَّة والرِّسالة فيه ردٌّ:

(١) هو: أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحمَّد الكنانيُّ العسقلانيُّ، ثمَّ المصريُّ، الشَّافعيُّ، الشَّهير بـ«ابن حجر»، ولد سنة (٧٧٣هـ)، إمام الحُفَّاظ في زمانه، برع في الحديث وتقدَّم في جميع فنونه، توفِّي رحمه الله سنة (٨٥٢هـ). المنهل الصَّافي (٢/ ١٧)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطيِّ (ص٥٥٢).

(٢) نقله عن الحافظ ابن حجر صاحبُ مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٦١).

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ . . .

- على أهل الإفراط الذين غَلَوْا فيه حتَّى جوَّزوا الاستغاثة به في كلِّ ما يُستغاث باللَّه فيه، فهؤلاء في الحقيقة ما جعلوه عبداً؛ بل اتَّخذوه معبوداً؛ رفعوه فوق منزلته.

- وعلى أهل التَّفريط؛ بتَرْك متابعتِه، والرِّضا عن سنَّتِه بالأوضاع والقوانين الباطلة، فهم ما شهدوا في الحقيقة أنَّه رسولُ اللَّه؛ بل شهادتهم ناقصة على حسب ما كان معهم من تلك الأمور.

شهادة أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدُ اللَّه ورسولُه رَدٌّ على أهل الإفراط والتَّفريط

(وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) هذا فيه: رَدٌّ على أهل الإفراط، وأهل التَّفريط؛ أهل الإفراط الغالين فيه وهم النَّصارى، وأهل التَّفريط في حَقِّه وهم اليهود، الذين قالوا: إنَّه وَلَدُ بَغِيٍّ.

فلا يَصِحُّ توحيد عبدٍ عَلِم بمقالتهما فيه حتَّى يتبرَّأ منهما ومن مقالتهما، وإلَّا كان مُكَذِّباً للَّه ورسوله.

عيسى مَخلوقٌ بكلمة اللَّه

(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) أي: الكلمة التي أُرسل بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مريم العَذْرَاء البَتُول، فكان بقول اللَّه له: «كُنْ»، وليس هو نفس «كُنْ»، فـ«كُنْ» من اللَّه قولٌ، وليس «كُنْ» مخلوقاً.

وَرُوحٌ مِنْهُ، . . . .

طائفتان غلطتا في «كلمة اللَّه»

وقد غَلِط في هذه الكلمة طائفتان، وهم: النَّصارى، والجَهْمِيَّة[1].

فالنَّصارى: جعلوا ما كان بها معبوداً.

والجَهْمِيَّة: جعلوا كلام اللَّه مخلوقاً.

(وَرُوحٌ مِنْهُ) وفي لفظٍ: «وَرُوحُ اللَّهِ»[2]، فهو من الأرواح التي استنطقها وأخذ عليها الميثاق.

أقسام الإضافة إلى اللَّه

والإضافة إلى اللَّه تنقسم إلى قسمين:

- قسم: معنى من المعاني، لا يقوم بنفسه؛ كالعلم والقدرة والحياة ونحو ذلك، فهذا إضافته إلى اللَّه إضافة صفة إلى موصوفها، فالعلم لا يقوم إلَّا بالعالم، والقدرة لا تقوم إلَّا بالقادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- والقسم الثَّاني: جسمٌ قائمٌ بنفسه، فهذا ينقسم إلى قسمين:

---

(١) هم: أتباع جَهْم بن صفوان، مِنْ معتقداتهم: إنكار أسماء اللَّه وصفاته، وأنَّ الإيمانَ هو المعرفة باللَّه تعالى فقط، فمَنْ جَحَدَ بلسانه لا يَكفُر، وأنَّ الإيمانَ لا يَتبعَّض، ولا يَتفاضَل أهلُه فيه، فإيمانُ الأنبياء وإيمانُ الأمَّة كلِّها سواء، وقد اتَّفقت الأمَّة على تكفيرهم. الفَرْق بين الفِرَق (ص١٩٩)، المِلَل والنِّحَل (١/ ٨٦-٨٧).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، رقم (٧٤٤٠)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». . . . .

- قسم يُضاف إلى اللَّه لخَصِيصةٍ خصَّه بها؛ كالكعبة بيت اللَّه، ناقة اللَّه، عيسى روح اللَّه، إبراهيم خليل اللَّه، فإضافتُه إلى اللَّه إضافةُ تشريفٍ وتكريمٍ، وعيسى من هذا القِسْم.

- وقسم إضافتُه إليه لأنَّه خَلَقه، وهذه لا تقتضي تشريفاً ولا تكريماً، كأرض اللَّه، سماء اللَّه، ونحو ذلك.

الجَنَّة والنَّار مخلوقتان وموجودتان الآن

(وَالجَنَّةَ حَقٌّ) يعني: خلقها اللَّه، وهي موجودة الآن، أَعَدَّها لِمَنْ أَطاعَه واتَّقَاه.

(وَالنَّارَ حَقٌّ) موجودة، أَعَدَّها لِمَنْ كذَّبه وعَصَاه.

جزاء مَنْ مات على تلك الخصال التي أساسُها التَّوحيد

فله جواب الشَّرْط، وهو: **(أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ)** هذا جواب: (مَنْ شَهِدَ...) إلَخ، أي: مَنْ مات على تلك الخصال - التي أَساسُها وأَعظمُها التَّوحيد - أدخله اللَّه الجَنَّة.

(عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ») أي: من صلاح وفساد.

وقيل: إنَّه يدخل الجَنَّة على قَدْرِ عَمَله، كما في قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۖ﴾[1].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٥)، مرقاة المفاتيح (١/ ١٠١).

أَخْرَجَاهُ.

مَنْ مات على التَّوحيد يدخل الجَنَّة على أحد تقادير ثلاثة

فالحاصل: أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد فلا بُدَّ أن يدخل الجَنَّة، ودخوله الجَنَّة على أحد تقادير ثلاثة:

أحدها: أن لا يموت مُصِرّاً على ذنبٍ أصلاً - أن يلقى اللَّه سالماً من جميع الذُّنُوب -؛ فهذا يدخل الجَنَّة في أوَّل وَهْلَة.

والثَّاني[١]: أن يموت مُصِرّاً على ذنبٍ أو كبيرةٍ؛ فهذا بين أمرَيْن:

- إمَّا أن يُجازيَه بجُرْمِه، فيُدخله النَّار، ويُطهِّر من أوضار[٢] الذُّنُوب وأَرْجَاس المعاصي، ثمَّ يُدخلَه الجَنَّة بعد ذلك.

- وإمَّا أن يعفوَ الرَّبُّ ويتجاوزَ عنه تفضُّلاً وإحساناً، فيُدخله الجَنَّة.

فصار مَصيره إلى الجَنَّة بكلِّ حال، إمَّا آخراً وغاية، وإمَّا ابتداء.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فأفاد: فَضْل التَّوحيد؛ وذلك أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد فمَصيرُه إلى الجَنَّة، بخلاف غيره.

(أَخْرَجَاهُ[٣]).

---

(١) ويندرج فيه الثَّالث.

(٢) أي: أوساخ. تهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٢).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، رقم (٣٤٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لقي اللَّه بالإيمان وهو غير شاكٍّ فيه دخل الجَنَّة وحرم على النَّار، رقم (٢٨).

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

(وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هذا الحديث من أدلَّة فَضْلِ التَّوحيد، وذلك أنَّ اللَّهَ حَرَّم على النَّار مَنْ أتى بكلمة التَّوحيد.

شروط كلمة التَّوحيد

ثمَّ قَيَّد تحريم النَّار بقوله: (يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[1]) والمراد به: الإخلاص.

فـ«لا إله إلَّا اللَّه» لا تنفع قائلها ولا تَصِحُّ إلَّا باجتماع سبعة شروط، وهذه السَّبعة مُجمع عليها، وأَدِلَّتُها معروفة[2]، وقد جمعها بعضُهم في بيتٍ فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالقَبُولِ لَهَا[3]

فلا يحصل ما رُتِّب على قولها إلَّا لِمَنْ أتى بهذه الشُّروط.

ركنا كلمة التَّوحيد

وهي لها ركنان: النَّفي، والإثبات.

فعَرَفْتَ أنَّها: قولٌ، واعتقادٌ، وعملٌ، وسلامةٌ من المنافي.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الصَّلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤٢٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب الرُّخصة في التَّخلُّف عن الجماعة بعذر، رقم (٣٣).

(٢) ذَكَرَ أدلَّتها الشَّيخ عبد الرَّحمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في قُرَّة عيون الموحِّدين (ص١٨).

(٣) لم أقف على قائلٍ لهذا البيت قبل سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعاً: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، . . . .

(وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعاً: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ) علِّمْنِي شيئاً يجتمع لي فيه الأمران: أُثْنِي عليك به، وأَدْعُوك به.

كلمة التَّوحيد مُشتَمِلَة على أفضل الثَّناء والدُّعاء

(قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإذا قُلتَها فقد دَعَوْتَنِي وأَثْنَيْتَ علَيَّ؛ فإنَّ «لا إله إلَّا اللَّه» دعاء وثناء، فهي اشتملت على ذلك - واشتملت على أنَّها أفضله -؛ فيها ثناء بأنَّه الإلهُ الحَقُّ، وفيها دعاء مسألةٍ، فإذا قال الإنسان: «لا إله إلَّا اللَّه»، «سبحان اللَّه»، ونحو ذلك؛ فإنَّه ما قالها إلَّا طالباً شيئاً.

أنواع الدُّعاء

فإنَّ الدُّعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة

فدعاء العبادة نحو: «لا إله إلَّا اللَّه»، «سبحان اللَّه»، و«الحمد للَّه»، وهو مُستَلْزِمٌ لدعاء المسألة.

دعاء المسألة مُتضمِّن لدعاء العبادة

ودعاء المسألة مُتضمِّن لدعاء العبادة، وذلك من جهة:

- أنَّه مأمورٌ بهذا، فإذا فعله فهو فاعلٌ عبادة؛ فدَلَّ على أنَّ الدُّعاء والطَّلب عبادة.

- ولأنَّ السَّائل أَخلَص سؤاله للَّه، يعني: ما سأل إلَّا اللَّه.

قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

- وأيضاً في ضِمْنِه وصف الرَّبِّ بالمغفرة، وأشباه هذا.

فدعاء العبادة فيه ضمناً.

فالأوَّل يستلزم الثَّاني، والثَّاني يَتضمَّن الأوَّل.

فـ«لا إله إلَّا اللَّه» اشتملت على الأمرين.

سؤال موسى عليه السلام ربَّه اختصاصه بذكر ودعاء

(قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا) كأنَّ موسى عليه السلام قال: وإنَّما أُريدُ شيئاً تَخصُّني به من بين عبادك.

وفي رواية: «قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أي: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ الإِلَهُ الحَقُّ -، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ»(١).

التَّنبيه على فضل كلمة التَّوحيد

فلمَّا ابتغى موسى عليه السلام شيئاً أفضل من هذه الكلمة نبَّهه اللَّه تعالى على فَضْلِها؛ (قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي) استثنى تعالى نفسه؛ لكونه فوق سمواته على عرشه، فدَلَّ على عُلُوِّه، (وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

(١) رواها النَّسائيُّ في السُّنَن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللَّيلة، باب أفضل الذِّكر وأفضل الدُّعاء، رقم (١٠٦٠٢).

رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ[(١)]، وَالحَاكِمُ[(٢)] وَصَحَّحَهُ.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فأفاد: عِظَم شأن التَّوحيد وفَضْلَه؛ وذلك أنَّه دَلَّ على أنَّ كلمته لو وُضِعَت في كِفَّة، والسَّموات السَّبع وعامرهنَّ - غير اللَّه - والأرضين السَّبع في كِفَّة؛ مَالَتْ بهنَّ لَا إله إلَّا اللَّهُ.

ودَلَّ على عِظَم شأن هذه الكلمة، وفَضْلِها.

ثِقَل «لا إله إلَّا اللَّه» بحسب العِلم بمعناها والعَمَل بمقتضاها

ودَلَّ على أنَّ ثِقلَها على حسب العِلْم بها والعَمَل، فكلُّ مَنْ كان بمعنى «لا إله إلَّا اللَّه» أعلم، وبمقتضاها أقوم؛ كانت في ميزانه أثقل حتَّى منتهاها؛ وكلُّ مَنْ كان بمعناها أجهل، وبمقتضاها أكسل؛ كانت في ميزانه أخفَّ، فإنَّ اليهودَ أكثر مَنْ يقولها.

كُفر مَنْ يقول كلمة التَّوحيد ولا يعمل بمقتضاها أعظم ممَّنْ يجحدها أصلاً

والذي يقولها ولا يعمل بمقتضاها أعظم كفراً من الذي يجحدها أصلاً؛ فإنَّ الكافرَ الأصليَّ أهون كفراً من المُرتدِّ.

(١) في صحيحه، كتاب التَّاريخ، باب ذكر سؤال كليم اللَّه ربَّه أن يُعَلِّمه شيئاً يذكره، رقم (٦٢١٨).

(٢) في المستدرك (١/ ٧١٠)، رقم (١٩٣٦).

وَلِلتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَّنَهُ -: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

(وَلِلتِّرْمِذِيِّ[1] - وَحَسَّنَهُ -: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً) يعني: مُخلِصاً مُوَحِّداً، سالماً من الشِّرك؛ **(لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»).**

السَّلامة من الشِّرك تعني التَّوحيد

وفي هذا قَيْد، وهو: أنَّه إذا قالها وهو سَالِمٌ من الشِّرك، فإنَّ المنافقين يقولونها وهم في الدَّرك الأسفل، واليهود كذلك يقولونها ولم تنفعهم.

فهذا يُفيدُ: أنَّ مغفرةَ الذُّنُوب مَشروطةٌ بالسَّلامة من الشِّرك قليلِه وكثيرِه؛ فإنَّ (**شَيْئاً**) نكرة في سياق النَّفي؛ فشمِلت قليله وكثيره.

أثر الشِّرك على كلمة التَّوحيد

ويُفيدُ: أنَّ مَنْ أتى وهو مُشركٌ لا ترجح حسناته بسيِّئاتِه، ولا يحرم على النَّار، ولا تَصِحُّ منه أصلاً؛ فإنَّ الذي لا يَسْلَم من الأكبر لا تنفعُه أصلاً، والذي مات ومعه الشِّرك الأصغر تَضْعُفُ

---

(١) أبواب الدَّعوات، باب في فضل التَّوبة والاستغفار وما ذُكِر من رحمة اللَّه بعباده، رقم (٣٥٤٠).

. . . .

معه «لا إله إلَّا اللَّه»، ولا تكون مقتضية مع وجود الشِّرك الأصغر، فلا يقوى قولُ: «لا إله إلَّا اللَّه» على تكفير السَّيِّئات.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فهذا الحديث دَلَّ على فَضْلِ التَّوحيد، وأنَّ مَنْ أتى به سالماً من الشِّرك أنَّها تُغفَر ذنوبُه وإن كانت مِلْءَ الأرض.

الأحاديث المُطلَقة والمُقيَّدَة لها في هذا الباب

والمُصَنِّف ذكر أربعة أحاديث، بعضها مُطلَق، وبعضها مُقَيَّد بقيود؛ وهي العِلْم والعَمَل والسَّلامة من المنافي.

- فحديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُطلَق، وقيَّده حديث عِتْبَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومثله حديث البِطَاقَة[(١)]، مُطلَقَان، وقيَّدهنَّ حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه الشَّرط الثَّقيل لحصولِ المغفرة، وهو السَّلامة من الشِّرك قليلِه وكثيرِه.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٦٩٩٤)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ اليَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

. . . .

ولهذا أَرْدفَ حديث أبي سعيد بحديث أنسٍ رضي الله عنهما، كما أَرْدفَ حديث عبادة بحديث عِتْبَان رضي الله عنهما.

فالحاصل من الآية: أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد فله الأمن؛ بخلاف غيره من الأعمال مع عدمه. **حاصل ما تقدَّم**

ومن حديث عبادة رضي الله عنه: أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد فمَصيرُه إلى الجَنَّة، بخلاف غيره.

ومن حديث عِتْبَان رضي الله عنه: فضل التَّوحيد، **(فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)**.

ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه: عِظَم شأن التَّوحيد وفضله.

ومن حديث أنس رضي الله عنه: فضل التَّوحيد.

فالكلُّ فيه فضل التَّوحيد.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ.

(فِيهِ مَسَائِلُ):

رَحْمَة اللَّه واسعة ومع سَعَتها لا تنال الكُفَّار

(الأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللَّهِ) ما ذكر في الآية والأحاديث ظاهرٌ في سَعَة فضل اللَّه ورحمته، وسَعتُها لأهل التَّوحيد؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية، وهي مع سَعتِها ما تَنال الكُفَّار؛ وذلك لأنَّه ما وَسِعَهم الحَقُّ والدِّين، خالفوا الدِّينَ ووسِعَهم غيرُه؛ فإنَّ دِينه الذي خلق له الخلق ما وَسِعهم، فلا وَسِعَتْهم الرَّحمة.

التَّوحيد أكثر الأعمال ثواباً

(الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ) ما في النُّصوص دَلَّ على كثرة ثواب التَّوحيد - أكثرُ ثواب الأعمال -.

التَّوحيد أكثر الأعمال تكفيراً للذُّنوب

(الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ) ما في النُّصوص واضح في كونه أكثر الأعمال تكفيراً وفَضْلاً.

(الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ): (﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) وحَّدوا، (﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم﴾) تَوحِيدَهم، (﴿بِظُلْمٍ﴾)

الخَامِسَةُ: تَأَمَّلِ الخَمْسَ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ ﵁.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ: تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، . . . .

بشِركٍ، (﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾) في الدُّنيا والآخرة، (﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾)؛ هذا تفسيرها.

أصل الخمس اللاتي في حديث عبادة شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه

(**الخَامِسَةُ: تَأَمَّلِ الخَمْسَ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ ﵁**) يعني: يتعيَّن عليك أنْ تتأمَّلها جيِّداً، وأَصلَها وأَساسَها - أيضاً - جيِّداً، وهو شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه؛ وهذه الخمس مَنْ أتى بها دخل الجَنَّة، وأساسها التَّوحيد.

(**السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ**) بين حديث عبادة ﵁ (**وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ**) ﵁ وهو قول النَّبيِّ ﷺ: (**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**)، (**وَمَا بَعْدَهُ**) يعني: حديث أبي سعيد، وحديث أنس ﵄ بعده، وقُيِّد ذلك بقوله: (**لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً**).

النُّطق وحده بكلمة التَّوحيد لا يكفي

إذا تَأمَّلتَ هذه الأحاديث الأربعة (**تَبَيَّنَ لَكَ**) بذلك (**مَعْنَى قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»**) في الأحاديث المُطلَقة، وأنَّه ليس المراد: القول المُطلَق فقط؛ بل المعرفة والاعتقاد والقول والعمل، وأنَّ مَنْ قالها نطقاً فقط أنَّه لا يكون مسلماً.

وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغْرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

المغرورون يَظنُّون أنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» فهو مسلم

(وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغْرُورِينَ) وخَطؤُهم: أنَّهم يَظنُّون أنَّ كلَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» فهو مسلم، وأنَّه ينجو بقولها وإن لم يعتقد ويعمل؛ فبيِّنٌ خطأٌ وخلطٌ منهم؛ فإنَّه يوجد كثير ينتسبون إلى الإسلام يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه» وينقضونها.

أجمع العلماء على انتقاض كلمة التَّوحيد بالمُكَفِّرات

وكذلك إذا تَأمَّلتَ أحاديث غيرها تدخل في هذا الباب؛ بل الإجماع مُنعَقِد أنَّ النُّطقَ لا يكفي[1]، وأنَّ الإتيانَ بمُكفِّر يُخْرِج من المِلَّة[2]، ولا يَنفَعُه قوله: «لا إله إلَّا اللَّه»، ولا حَجُّه ولا صَومُه ولا زَكاتُه وغَيرُ ذلك، وأنَّ الرِّدَّة ردَّتان:

الرِّدَّة رِدَّتان

- مُطلَقة؛ عدمُ الانتساب إلى الدِّين.
- والقسم الآخر: الذي يتسمَّى به، ويمتدح به، ولكن وُجِد به ما يكون مُنْسَلِخاً منه بالجملة.

وبهذا تعرف أنَّ هؤلاء أجهلُ الخَلْقِ وأَبعدُهم عمَّا جاء به الرَّسول ﷺ.

التنبُّه للشَّرط في حديث عتبان رضي الله عنه

(السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ) رضي الله عنه،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٢/ ٥١).
(٢) مراتب الإجماع (ص١٢٧)، الدُّرُّ المختار (٤/ ٢٢٢)، الشَّرح الكبير للدَّردير (٤/ ٣٠١)، تحفة المحتاج (٩/ ٧٩)، كشَّاف القناع (٦/ ١٦٧).

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

يعني: ينبغي لك أن تتنبَّه، يعني: يكون منك على بالٍ التَّقييدُ به، وأنت تعرف أنَّها جُملةٌ حاليَّة، وهذا لا يخفى أنَّه قيدٌ في الجملة، لا يَتِمُّ ما ذُكِر وما رُتِّب على «لا إله إلَّا اللَّه» إلَّا بوجوده، فهو من الشُّروط، كما لو قال لك زيد: «إذا قَدِمَ عمرو ماشياً فأَعْطِه الدِّرهم»، فجاء راكباً؛ فلا تُعْطيه الدِّرهم.

ثمَّ نعرف أنَّ ابتغاءَ وجه اللَّه في قوله: (يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) هو الإخلاص؛ لأنَّ الإخلاص حُبُّ اللَّه وإرادة وجهه، أمَّا مَنْ يقولُها بدون إخلاص فلا ينجو من النَّار.

الأنبياء يحتاجون للتَّنبيه على فضل كلمة التَّوحيد

(الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») وهم أعلم الخَلْقِ وأقوم النَّاس بحَقِّها، لكن هذا تَنبيهٌ على مزيد فضلِها؛ يعني: أنَّ فيه ما يُفيدُ عِظَم شأنِها، وهو مثل قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فأَعْلَمُ الخَلْقِ بمعناها هو مُحمَّدٌ ﷺ، فهو يعلم معناها قبل نزول هذه الآية؛ لكنَّه يُفيدُ مزيد عظيم شأن هذه الكلمة.

فالأنبياء - الذين هم أعلم الخَلْقِ بها؛ لا سِيَّما أُولِي العَزْمِ - يحتاجون للتَّنبيه على فَضْلِها بهذه التَّنبيهات.

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

شروط رجحان كلمة التَّوحيد بجميع المخلوقات

(التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ) يعني: ينبغي لك أن تَتَنَبَّه وتتفطَّن لمعنى رجحانها في حديث أبي سعيد ﷺ، في قوله: **(مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**، هل هو من غير شرط، أو الأمر غير ذلك؟

يعني: أنَّ الأمر ليس كذلك؛ بل هو قولٌ، ومعرفةٌ بمعنى ذلك القول، وعملٌ، وسلامةٌ من المنافي، هذا هو الذي تدلُّ عليه الأحاديث إذا ضَمَمْنَا بعضها إلى بعض.

حال مَنْ يأتي بـ«لا إله إلَّا اللَّه» ناقصة ومَنْ يأتي بها تامَّة

فكثيرٌ ممَّنْ يقولها وهو في الدَّرك الأسفل من النَّار، وكثيرٌ ممَّنْ يقولُها يدخل النَّار، ومن جملة ذلك: حديث: «إِنَّ النَّارَ لَا تَأْكُلُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَوْضِعَ السُّجُودِ»[(١)]، فهو دليلٌ على أنَّهم يدخلون النَّار؛ هذا ممَّا يدلُّ على أنَّهم يأتون بها ناقصة، وإلَّا فمَنْ أتى بها تامَّة فإنَّها هي الإِكْسِير الكِيمَاوِيُّ[(٢)]، الذي يُوضع على جبال الذُّنُوب فيُذيبُها.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأذان، باب فضل السُّجود، رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرُّؤْيَة، رقم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال ابن القيِّم ﷺ: «والغَافلُ في غَفْلَةٍ من هذا الإِكْسِيرِ الكِيمَاوِيِّ، الذي إذا وُضِعَ منه مِثقالُ ذَرَّةٍ على قَنَاطِيرَ من نُحَاسِ الأعمالِ قَلَبَهَا ذَهَباً» مدارج السَّالكين (١/ ٣٤١).

العَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّاراً.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافاً لِلْأَشْعَرِيَّةِ.

فالذي ترجُح: هو الذي يقولُها عن اعتقادها، والنُّطق بها، والعمل.

والذي يدخل النَّار: هو الذي قَالَها على وجهٍ يُضعِف قوَّتها، ولم تخرج منه على وجهِ كمالٍ يَخرج بها[١].

الأرضون سبع كالسَّموات

(العَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَضِينَ) عددهنَّ **(سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ)** لقوله ﷺ: (وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ).

للسَّموات عُمَّارٌ ولهم أعمال

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّاراً) سُكَّاناً للسَّموات - سُكَّاناً من الملائكة - عمروها بطاعة اللَّه؛ منهم مَنْ هو في تقديسه وأَمْرِ خلقه، ومنهم مَنْ هم في عبادته.

إثبات صفة العُلُوِّ

(الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ) استثنى تعالى نفسه؛ فدَلَّ على أنَّه في السَّموات، يعني: على السَّموات؛ ففيه: إثبات صفة العُلُوِّ، **(خِلَافاً لِلْأَشْعَرِيَّةِ)** الذين ينفون العُلُوَّ.

---

(١) أي: من الوعيد بدخول النَّار.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ؛ عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛ أَنَّهُ تَرْكُ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ.

الجمع بين حديث أنس وحديث عتبان

(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ؛ عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛ أَنَّهُ تَرْكُ الشِّرْكِ) بدليل اشتراط السَّلامة من الشِّرك في حديث أنسٍ رضي الله عنه: **(ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً)**، **(لَيْسَ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ)** إذ لا يمكن أن يجتمع النَّصَّان إلَّا بهذا.

حاصل النُّصوص في هذا الباب

نصوص رسول اللَّه ﷺ لا تتناقض، ولا تختلف، فيَتَحصَّل ما ذُكِر:

يكون المشرك ناقضاً لـ«لا إله إلَّا اللَّه»؛ عملُه يُثبِت إلهاً مع اللَّه.

وأنَّ التَّوحيدَ هو: الاعتقاد، والقول، والعمل، والسَّلامة من المنافي.

أمَّا يقولها وهو مُقيمٌ على الشِّرك فهذا غير مُحَرَّم على النَّار؛ لوجود ما يناقضها، فإنَّها صدرت منه صورةً بلا حقيقة، فاليهود والمشركون يقولونها وهم من أكفر الخَلْقِ؛ بل يكون أَوْلَى

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمَّلِ الجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ عَبْدَيِ اللَّهِ وَرَسُولَيْهِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ «كَلِمَةَ اللَّهِ».

بدخول النَّار؛ فإنَّ المُرتدَّ أغلظ كفراً من الأصليِّ؛ فإنَّه أَقرَّ أنَّه دينه وناقَضَه.

(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمَّلِ الجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ عَبْدَيِ اللَّهِ وَرَسُولَيْهِ) الجمع بين العُبوديَّة والرِّسالة، كلٌّ منهما عبدٌ ورسولٌ، ومعرفة أنَّ العُبوديَّةَ: العُبوديَّةُ الخاصَّة - عُبوديَّة التَّشريف والتَّكريم -.

الجمع بين العُبوديَّة والرِّسالة لرفع الإفراط والتَّفريط

والجمع هو لرفع الإفراط والتَّفريط؛ فمَنْ أفرط فإنَّه ما شهد أنَّه عبد اللَّه، ومَنْ فرَّط فما شهد أنَّه رسول اللَّه.

«عَبْدُ اللَّهِ»: ردٌّ على أهل الغُلوِّ.

أنَّه «رَسُولُ اللَّهِ»: ردٌّ على أهل التَّفريط، الذين ارتضوا بالسِّياسات والأوضاع والقوانين الباطلة.

وجه اختصاص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونه «كَلِمَةَ اللَّهِ»

(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ «كَلِمَةَ اللَّهِ») دون مُحمَّد ﷺ.

انفرد عيسى بكونه «كَلِمَةَ اللَّهِ»؛ لكونه خُلِق من أنثى بلا ذكر؛ كان بكلمة اللَّه «كُنْ».

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ «رُوحاً مِنْهُ».

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيمَانِ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

وجه اختصاص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونه «رُوحاً مِنْهُ»

(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ «رُوحاً مِنْهُ»)؛ رُوحٌ من الأرواح التي أوجدها وخلقها؛ وإضافتها إلى اللَّه إضافة تشريف وتكريم.

الإيمان بالجَنَّة والنَّار من الخمس التي من أتى بها دخل الجَنَّة

(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيمَانِ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ) كون الإيمان بهما من الخَمْس التي مَنْ أتى بها ومات عليها أدخله اللَّه الجَنَّة، دالٌّ على فَضِيلَة الإيمان بهما، وأنَّه[1] من الأصول، فدَلَّ على عِظَمِهِما، وأنَّهما من الدِّين بمكان.

وحديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَلَّ على أنَّهما مخلوقتان الآن.

معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»

(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ») يعني: قيل في معناها: إنَّ درجتَه في الجَنَّة تكون على حسب عمله.

وقيل: من صلاحٍ وفساد؛ وهو المشهور[2].

مع العلم أنَّه ليس المراد التَّسهيل في المعاصي والرُّخصة فيها؛ بل المراد: بيان فضل التَّوحيد، وأنَّ مِنْ فَضلِه أنَّهم إذا ماتوا عصاة فمَصيرُهم إلى الجَنَّة بكلِّ حالٍ؛ إمَّا أَنْ يدخلوا الجَنَّة

---

(١) أي: الإيمان بهما.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٥)، مرقاة المفاتيح (١/ ١٠١).

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ المِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

العِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ.

بفضل اللَّه، أو بعد التَّطهير؛ فمسألة أعمالهم السُّوء - كونهم يُعاقَبون، أو يعفو عنهم - شيءٌ آخر.

حكم المُوَحِّد في الآخرة

فإنَّ المُوحِّدَ: إمَّا أَنْ يموت لا سيِّئة له أصلاً؛ فهذا يدخل الجَنَّة في أوَّل وَهْلَة[1].

والمُوحِّدَ الميِّت على شيءٍ من الكبائر - مُصرّاً عليها لم يَتُبْ -؛ بين أحد أمور:

- إمَّا أَنْ يعفوَ عنه، فيدخل الجَنَّة من أوَّل وَهْلَة؛ بعفو الرَّبِّ ورحمتِه.
- أو يُعَذِّب، ويُمَحَّص في النَّار.
- أو تكون له حسناتٌ؛ فتُكفِّر تلك السَّيِّئات.

فاتَّضح لك دخوله الجَنَّة على ما كان من صلاحٍ وفسادٍ.

الميزان له كفَّتان

(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ المِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ) ففيه: الإيمان بالميزان، والإيمان بأنَّ له كِفَّتين، والكِفَّتان تُوزَن بهما أعمال العباد.

المراد بقوله: «يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»: الإخلاص

(العِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ) قوله: (يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)

(١) أي: أوَّل شيء. الصِّحاح (١٨٤٦/٥).

. . . .

ومعناه: الإخلاص.

إثبات صفة الوجه

وأيضاً فيه: إثبات صفة الوجه.

الفِرَق في الصِّفات

والنَّاس في الصِّفات ثلاث فِرَق:

- فِرْقَة أثبتت وزادت في الإثبات، فصاروا كفَّاراً.

- وطائفة نزَّهَت وزادت، فصاروا كفَّاراً، وكُفْرهم أعظم من كفر المُمثِّلين.

- وقول أهل السُّنَّة والجماعة الشَّامل لباب الصِّفات: أنَّهم يصفون اللَّه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ في السُّنَّة؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل يصفونه بما جاء في النُّصوص على حدِّ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، قال بعض أهل السُّنَّة: «مَنْ شبَّه اللَّه بخلقه فقد كفر، ومَنْ نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله تشبيه»[(١)]، ويقول بعضهم: «المُعطِّل يعبد عدماً، والمُشبِّه يعبد صنماً، والمُوحِّد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً»[(٢)].

---

(١) رواه اللَّالكائيُّ في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٣/ ٥٨٧)، والذَّهبيُّ في كتاب العُلُو للعليِّ الغفَّار (ص١٧٢)، عن نُعَيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) دَرْء تعارض العقل والنَّقل (٦/ ٣٤٨).

. . . .

فعَرَفْنَا الفِرَق:

- فِرْقَة التَّعطيل.

- وفِرْقَة التَّمثيل.

- وفِرْقَة أهل سواء السَّبيل، وهم الذين أثبتوا للَّه ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ؛ إثباتاً بريئاً من التَّشبيه، كما أنَّهم يُنَزِّهون الرَّبَّ عمَّا لا يليق بجلاله وعظمته؛ تنزيهاً بريئاً من التَّعطيل.



بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

شرح التَّرجمة

(بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يعني: ولا عذابٍ؛ لِمَا يأتيك من الحديث[1].

مناسبة الباب لِمَا قَبلَه

لَمَّا ذَكَرَ التَّوحيد وفَضْلَه؛ ذَكَرَ تحقيقَه؛ تنبيهاً على أنَّه لا يحصل كمال فَضْلِه إلَّا بكمال تحقيقِه، وتحقيقُه قدرٌ زائدٌ على ماهيَّة التَّوحيد.

تحقيق التَّوحيد قسمان: واجب ومندوب

وتَحقيقُه على قسمين: تحقيق واجب، وتحقيق مندوب.

- فالتَّحقيق الواجب: تَخليصُه وتَصفيتُه من شوائب الشِّرك والبِدَع والمعاصي.

فالشِّرك الأكبر يُنافيه بالكلِّيَّة، والأصغر يُنافي كَمالَه الواجب، والبِدَع تقدح فيه، والمعاصي تَنقُص ثواب أهل التَّوحيد.

فلا يكون العبد مُحَقِّقاً للتَّوحيد حتَّى يَسْلَمَ من الشِّرك بنَوعَيْه، ويَسْلَمَ من البِدَع والمعاصي.

وهذا هو مقام الأبرار المقتصدين أصحاب اليمين؛ وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المُحرَّمات.

---

(١) (ص٢٥٦).

. . . .

- والتَّحقيق المندوب هو: أن يَضُمَّ إلى ذلك ويُضيف إليه تَرْكَ المكروهات وبعض المباحات.

وهذا مقام السَّابقين المُقَرَّبين.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

أثنى اللَّه على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفاتٍ هي الكمال في تحقيق التَّوحيد

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) أثنى اللَّه سبحانه على خليله إبراهيم بهذه الصِّفات والخصال التي هي الغاية في الكمال في تحقيق التَّوحيد.

الصِّفة الأولى: أنَّه أُمَّة

منها: أنَّه (﴿كَانَ أُمَّةً﴾)، هذه لها تفسيران[1]:

أحدهما: أنَّه كان أُمَّة على الحنِيفيَّة والحَقِّ وحده، والنَّاسُ كلُّهم على الشِّرك، فهو أُمَّة على الدِّين وحده، والنَّاس أُمَّة أخرى، فما بَالَى بالمخالف وهم مِلْءُ الأرض.

والثَّاني: أنَّه إمامٌ لجميع الحُنَفَاء يقتدون به في ذلك، ولا يُقتدَى بشخصٍ في شيء إلَّا لكونه في ذروته، وممتازاً في ذلك، ورأساً فيه، وبالغاً فيه الغاية.

والظَّاهر: أنَّه لا مُنافَاة بين القولَيْن، فكان أُمَّةً على الحنِيفيَّة والحَقِّ وحده، وكان إماماً لجميع الحنفاء يقتدون به في ذلك، وما ذلك إلَّا لتكميله المقامَيْن العظيمين اللَّذَيْن تُنال بهما الإمامة في الدِّين؛ وهما الصَّبر واليقين، وهما المذكوران في الآية[2].

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٦١١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

. . . .

الصِّفة الثَّانية: أنَّه قانت للَّه

ومنها: كونه (﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾)، القنوت؛ قال شيخ الإسلام ﵀: «هو: دَوَام الطَّاعَة»[(١)]، والمُصلِّي إذا أطال قيامه وركوعه يُسمَّى: «قانتاً»، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ الآية.

(﴿لِّلَّهِ﴾) قال المُصنِّف: «لا للملوك، ولا للتُّجَّار المترفين»[(٢)].

الصِّفة الثَّالثة: أنَّه حنيف

ومنها: كونه (﴿حَنِيفًا﴾) والحَنِيف: المُقْبِل على اللَّه، المُعْرِض عن كلِّ ما سواه[(٣)].

وقيل: المَائِل عن الشِّرك قَصْداً إلى التَّوحيد[(٤)].

الصِّفة الرَّابعة: أنَّه لم يك من المشركين

(﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) بأيِّ اعتبار من الاعتبارات، يعني: لا في الاعتقاد، ولا في العمل، ولا في المسكن والوطن بحيث يُعدُّ منهم إذا عُدُّوا؛ بل فارقهم بلِسانِه وقَلبِه وبَدنِه، وأنكر ما كانوا عليه؛ وما ذلك إلَّا من أجل تَحقيقِه توحيده.

براءة إبراهيم ﵇ مِن المشركين ومِنْ معبوداتهم

بل ضَمَّ إلى هذا البراءةَ من المشركين ومن معبوداتهم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٢/ ٥٤٨).

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم، ضمن مؤلَّفات الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب (٥/ ٢٣٧).

(٣) عدة الصَّابرين (ص١١٨).

(٤) تفسير الطَّبريِّ (١٤/ ٣٩٨)، تفسير ابن عطيَّة (٢/ ٣١٤).

. . . .

وشركهم وكفرهم، وعاب ما كانوا عليه، وشَتَم آلهتهم، كما ذكر اللَّه عنه أنَّه قال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، بدأ بالبراءة من العابد قبل المعبود.

تكفير إبراهيم عليه السلام للمشركين ومعاداتهم

بل ضَمَّ إلى ذلك تكفيرهم ومعاداتهم، كما قال تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

اعتزال إبراهيم عليه السلام للشِّرك وأهلِه

وضَمَّ إلى ذلك أَنِ اعتزلهم وفارقهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيــــة، ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ فبدأ باعتزال العابد قبل المعبود، فبه تعرف أنَّ مِنَ المُهمَّات اعتزالَ المشركين والتَّبرِّيَ من الكفار قبل التَّبرِّي من معبوداتهم.

نَفْيُ السَّلامة من المشركين أبلغ من نفي السَّلامة من الشِّرك

ونفيُ السَّلامة من المُشركينَ أَبْلَغ من نفي السَّلامة من الشِّرك؛ فإنَّ الأوَّل سَلِمَ منهم ومن أن يكون منهم في بعض الاعتبارات، بخلاف مَنْ لم يُشرِك، فإنَّه قد يكون في بلادهم؛ ولهذا الهجرة معروفة.

. . . .

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ومُطابَقتُها للتَّرجمة: أنَّه تعالى وَصَفَ خليلَه بهذه الصِّفات، التي هي الغاية في تَحقيقِ التَّوحيد؛ فإنَّه ما يمكن أن يكون إمام الحُنَفَاء إلَّا وقد كمَّل هذين الأمرين: الواجب، والمندوب، وقد أُمِرْنا بالتَّأسِّي والاقتداء به؛ قال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾.

سياق الآية

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾) قبلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ خائفون وَجِلون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ الكونيَّة القَدَريَّة، والشَّرعيَّة الدِّينيَّة ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾.

أثنى اللَّه على الأصفياء بالسَّلامة من الشِّرك

لمَّا أثنى اللَّه على هؤلاء الأصفياء من عباده بهذه الصِّفات الحميدة التي هي الغاية في تَحقيقِ التَّوحيد؛ طَبَع عليها بطابَع الإخلاص، وهو السَّلامة من الشِّرك - قَليلِه وكَثيرِه، صَغيرِه وكَبيرِه - فقال: (﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾)، أي: لا يعبدون معه غيره؛ بل يُوحِّدونه؛ وذلك لأنَّ الأعمال من حيث هي لا تَصحُّ مع الأكبر، فإنْ سَلِمَ من الأكبر؛ فإنَّ الأَعمالَ لا تَزْكُو ولا تَنْمُو إلَّا بالسَّلامة من الأصغر.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

وجه الدَّلالَة: أنَّ اللَّهَ سبحانه أثنى على هؤلاء الأصفياء من عباده بهذه الصِّفات التي أَعظمُها والمُصحِّح لها هو السَّلامَة من الشِّرك، وثناؤُه عليهم بترْك الشِّرك مُفيدٌ كمال تحقيق التَّوحيد، وهو وجه مطابقة الآية.

وقد عَرَفْتَ في تعريف تَحقيقِه أنَّه: تَخْلِيصُه وتَصْفِيتُه من شوائب الشِّرك والبِدَع والمعاصي؛ فهؤلاء صفُّوا توحيدهم بهذه الأعمال الصَّالحة التي أَهَمُّها السَّلامة من الشِّرك، إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ،

(عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟) الكوكب في الأصل: النَّجْم، لكن مراده: الشِّهاب منه؛ فإنَّ النَّجْم لا يسقط، إنَّما يُرمَى بشهابٍ.

هذا فيه: فَضِيلَة السَّلَف؛ وأنَّ ما يَرَوْنه من الآيات السَّماويَّة لا يَعُدُّونه عادة؛ بل يَعُدُّونه آية. الآيات السَّماويَّة آية

(قُلْتُ: أَنَا).

(ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ) يعني: أَوْجَبَ[1] الاستيقاظ من أَجلِ لَدْغةٍ لَدَغَتْنِي.

(قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ.

قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ).

---

(١) أي: سبَّبَ. المصباح المنير (٢/٦٤٨)

قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، . . . .

«لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» لها معنيان

(قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ) لها مَعْنَيَان عند أَهلِ العلم[1]:

أحدهما: أنَّه كان خاصّاً ثمَّ نُسِخَ.

الثَّاني: أنَّه الأَوْلَى - فالحَصْر في (إِلَّا) لا يمنع من الرُّقية من غيرهما -، يعني: لا رقيةَ أَوْلَى وأَشْفَى من الرُّقية عن هذين الشَّيئين - العين، والحُمَة[2] -، وهو الظَّاهر - واللَّه أعلم -، وهو أَوْلَى[3].

ثلاثة أحوال للعلم مع العمل

(قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ) يعني: والمسيء: الذي يعمل على غير علم، أو الذي بلغه علمٌ فعَمِل بخِلَافِه.

---

(١) معالم السُّنن (٤/ ٢٢٦)، شرح النَّوويِّ على مسلم (١٤/ ١٦٨)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٧٣).

(٢) العين: إصابة العائن غيرَه بعينه؛ بأن يَعجَب الشَّخصُ من الشَّيء حين يراه؛ فيتضرَّر ذلك الشَّيءُ منه.
والحُمَة: السُّمُّ نفسُه، والمراد هنا: اللَّدغ من العقرب والحَيَّة وشبههما. إكمال المعلم (١/ ٦٠٦)، شرح النَّوويِّ على مسلم (٣/ ٩٣)، اللَّامع الصبيح (١٤/ ٣٠٦).

(٣) وفي تقرير آخر لسماحته رحمه الله اقتصر على القول الذي رجَّحَه هنا.

وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، . . . .

قِلَّة أتباع الأنبياء

(وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ) (**الرَّهْطُ**): من الثَّلاثة إلى التِّسعة[١]، **(وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ)**.

يعني: رأيت من الأنبياء مَنْ لم يتَّبِعْه من أُمَّتِه - يعني: أُمَّة الإجابة - إلَّا رهط، ومَنْ لم يتَّبعْه من أُمَّتِه إلَّا الرَّجُل والرَّجُلان، ورأيت من الأنبياء مَنْ لم يتَّبِعْه من أُمَّته ولا واحد؛ بل منهم مَنْ قَتَلَه قومُه[٢].

عدَمُ الاغترار بالكثرة وعَدَمُ الزُّهد في القِلَّة

فهذا يُفيدُك: العلم العظيم؛ وهو كما قال المُصَنِّف: **(عَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ)**[٣]؛ فإنَّ أَهلَ الحَقِّ هم الأقلُّ في كلِّ زمان ومكان.

(إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي) إنَّما ظنَّ ذلك لِمَا أُوحيَ وأُطْلِعَ عليه من كثرةِ أمَّتِه.

---

(١) لسان العرب (٧/ ٣٠٥).

(٢) كزكريا ويحيى عليهما السلام. البداية والنِّهاية (٢/ ٤٠٦، ٤١١).

(٣) في المسألة الخامسة عشرة من مسائل هذا الباب (ص٢٦٥).

فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا . . . .

قوم موسى عليه السلام أكثر الأُمَم تابعاً لنبيِّها بعد نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ

(فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ) وفي هذا مَنْقَبَة وفَضِيلَة لقوم موسى عليه السلام؛ فإنَّهم أكثر الأُمَم تابعاً لنبيِّها بعد نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ.

أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ أفضل الأمم كمّاً وكَيْفاً

قوله: (فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ) وفي بعض الرِّوايات: «تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»[(١)].

هذا فيه: فَضِيلَة هذه الأُمَّة بالكَمِّيَّة والكَيْفيَّة.

(ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا

---

(١) رواها البخاريُّ، كتاب الرَّقائق، باب يدخل الجَنَّة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم (٦٥٤٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف من المسلمين الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِاللَّهِ شَيْئاً - وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ -، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، . . . .

أربع صفات فيمَنْ يدخل الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب

بِاللَّهِ شَيْئاً - وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ -.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَخْبَرُوهُ).

الصِّفة الأولى: لا يسترقون

(فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ) يعني: لا يَطلُبُون مَنْ يرقيهم الرُّقية الجائزة.

الصِّفة الثَّانية: لا يكتوون

(وَلَا يَكْتَوُونَ) الكَيُّ جائز، كما في الحديث: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ - وذَكَرَ منها -: كَيَّةَ نَارٍ»[(١)]؛ ولكن تَرْكُ[(٢)] الرُّقيةِ والكَيِّ أكمل وأفضل في تحقيق التَّوحيد، فكأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: هم الذين أَخْلَصُوا أعمالهم للَّه، وتركوا ما لا بأس به حَذَراً ممَّا به بأس.

الصِّفة الثَّالثة: لا يتطيَّرون

(وَلَا يَتَطَيَّرُونَ) الطِّيَرَةُ[(٣)] شرك - كما سيأتي[(٤)] -.

الصِّفة الرَّابعة: التَّوكُّل على اللّه

(وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) هم الذين تركوا الاسْتِرْقَاءَ والكَيَّ

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الطِّبِّ، باب الشِّفاء في ثلاث، رقم (٥٦٨٠)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ولفظه: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ».

(٢) قال الوالد رحمه الله: «تَرْكُ طلب؛ وإلَّا فإنَّه رُقِي ﷺ».

(٣) الطِّيَرَة: التَّشاؤُم بالشَّيء. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢).

(٤) في المجلد الثَّاني (ص٣٦٧).

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، . . . .

والتَّطيُّرَ؛ تَوكُّلاً على اللَّه وتَفْوِيضاً إليه، وهذا هو الأصل الذي صَحَّت من أَجْلِه تلك الأُمور؛ فإنَّها لو تُرِكَتْ على غير هذا الوجه - تَصَبُّراً وتَجَلُّداً - لم تكن من التَّوحيد في شيء؛ فَضْلاً عن أن تكون من تَحقِيقِه.

تعريف التَّوكُّل

والتَّوكُّل هو: صدقُ التَّفويض واعتمادُ القلب على اللَّه، ولا بُدَّ مع هذا من مباشرة الأسباب؛ فلا يجعل عجزه توكُّلاً، ولا توكُّله عجزاً، والذي يُهْمِل الأسباب ويَجعَل العَجْز هو التَّوكُّل؛ ما أعطى التَّوحيد حَقَّه، ومَنْ غلا في الأسباب ولا بَالَى بالتَّوكُّل؛ فهذا في الحقيقة تاركٌ سبباً هو أقوى الأسباب، وهو التَّوكُّل، وفي الحديث: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»[(١)]، فلا يُهْمِل الأسباب ويَدَّعي التَّوكُّل، ولا يَعكِس - يَسْعَى في الأسباب ويَترُك التَّوكُّل -.

الأسباب لا تُهمَل ولا يُغلى فيها

(فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ).

(١) رواه مسلم، كتاب القَدَر، باب في الأمر بالقوَّة وتَرْكِ العجز والاستعانة باللَّه وتفويض المقادير للَّه، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

(ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[١]) في هذا حُسْنُ تَعْرِيض بكون أنَّه ليس عند الثَّاني ما هو عند عُكَّاشة، وفيه حَسْمُ المادَّة عن تسلسل هذا السُّؤال، ولم يَقُلْ له شيئاً يكرهه.

حسن التَّعريض

فدَلَّ هذا الحديث على أنَّ مَنْ حَقَّق التَّوحيد بما ذُكِر؛ صار ممَّنْ يدخل الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فالحاصل:

حاصل ما تقدَّم

من الآية الأُولى: أنَّ اللَّه أثنى على إبراهيم عليه السلام بهذه الصِّفات التي هي الغاية في الكمال في تحقيق التَّوحيد.

ومن الثَّانية: أثنى اللَّه عليهم بهذه الصِّفات التي هي الغاية في تحقيق التَّوحيد.

ومن الحديث: أنَّ مَنْ تَرَكَ الرُّقيةَ والكَيَّ والتَّطيُّرَ توكُّلاً على اللَّه واعتماداً عليه، مع ما ذُكِر في تحقيقه الواجب؛ فإنَّه يدخل الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وتَحقيقُه من وجهين: واجب، ومندوب - كما تقدَّم[٢] -.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الطِّبِّ، باب مَنْ لم يَرْقَ، رقم (٥٧٥٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف من المسلمين الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢٢٠).

(٢) (ص٢٤٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ؟

(فِيهِ مَسَائِلُ):

مراتب النَّاس في التَّوحيد

(الأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ) يعني: أنَّ النُّصوصَ دَلَّت على أنَّ النَّاسَ في التَّوحيد دَرجاتٌ، وإن تضمَّنهم اسم التَّوحيد، فمِنَ النَّاس مَنْ حَقَّقه، وبعضهم أعلى وأسمى تَحقيقاً من بعض، وبعضهم ما حَقَّقه - وهم دَرجاتٌ أيضاً -، وبعضهم معه أَصله.

معنى تحقيق التَّوحيد

(الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ؟) تنبَّهْ له وتفطَّنْ، أيُّ شيء معناه؟

تَحقيقُه هو: تَخليصُه وتَصفيتُه من شوائب الشِّرك والبِدَع والمعاصي، هكذا ذَكَرَ في «فتح المجيد»[(١)]، وللشَّارح عبارة أطول من هذا[(٢)].

---

(١) (ص٥٧).

(٢) الشَّارح هو: الشَّيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله، ونَصُّ عبارته: «وتحقيق التَّوحيد هو: مَعرفتُه، والاطِّلاعُ على حَقيقتِه، والقِيامُ بها علماً وعملاً.

وحقيقةُ ذلك هو: انْجِذَابُ الرُّوح إلى اللَّه مَحَبَّةً، وخوفاً، وإنابةً، وتوكُّلاً، ودُعاءً، وإخلاصاً، وإجلالاً، وهَيْبَةً، وتَعْظِيماً، وعِبَادَةً. =

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ: «لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ».

وقال شيخنا عَبدُ اللَّهِ[1]: «لأنَّ الشِّركَ إنْ كان أكبر فإنَّه يُنافِي التَّوحيدَ بالكلِّيَّة، وإنْ كان أصغر فإنَّه ينافي كماله الواجب، والبِدَع تقدح في التَّوحيد، والمعاصي تَنقُص ثواب أهله».

أعظم صفات إبراهيم عليه السلام: السَّلامة من الشِّرك

(**الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) يعني: بصفاتٍ حميدة؛ (**بِكَوْنِهِ: «لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ»**) الثَّناءُ عليه بترك الشِّرك، وثناؤُه عليه بترك الشِّرك مع كمال التَّوحيد، وإلَّا لو ترك الشِّرك من دون توحيد كان ليس شيئاً، فإذا ذُكِر تركُ الشِّرك في مقام الثَّناء فإنَّه مُفيدٌ كمال توحيده.

وثناؤه عليه (**بِكَوْنِهِ: «لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ»**) أبلغ مِنْ «لَم يُشْرِك»؛ فإنَّه يقتضي سلامته في الاعتقاد والعمل والوطن، وأي نسبة كانت.

= وبالجُمْلَة: فلا يكون في قَلبِه شيءٌ لغير اللَّه، ولا إرادة لِمَا حرَّم اللَّه، ولا كَرَاهَة لِمَا أمر اللَّه، وذلك هو حَقِيقَة لا إله إلَّا اللَّه، فإنَّ الإلهَ هو المَأْلُوه المعبود» تيسير العزيز الحميد (ص٧٤).

(١) لعلَّ ما نَسَبَه سماحتُه إلى شيخِه ممَّا سَمِعَه منه.
وشيخُه هو عمُّه: عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمن بن حسن بن مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، ولد في الأحساء سنة (١٢٦٥هـ)، برع في الأصول والفروع، والتَّفسير والنَّحو، وغيرها؛ رَفِيع القَدْر، جمُّ الفضائل، انتهت إليه الرِّئاسة في العلم، توفِّي رحمه الله سنة (١٣٣٩هـ). الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٤٥٩)، الأعلام للزِّركلي (٤/ ٩٩).

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ.

الخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

فأفاد كمال تحقيق إمام الحنفاء للتَّوحيد، ومِنْ تحقيقِه: أن لا يكون معهم بأيِّ نسبة، ولا يُحسَب معهم إذا حُسبوا.

الثَّناء على سادات الأولياء بسلامتهم من الشِّرك

(الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ) بقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾)، هذه منها، فالثَّناء بترك الشِّرك مُفيدٌ كمال تحقيق التَّوحيد إذا ذُكِر في مقام المَدْح.

ترك الاسترقاء والكيِّ من تحقيق التَّوحيد

(الخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ) يعني: من تَحقيقِه المندوب.

تحقيق التَّوحيد واجب ومندوب

فإنَّ تَحقيقَه تارة يكون واجباً، وتَقدَّم أنَّه: تَخليصُه من شوائب الشِّرك والبِدَع والمعاصي.

وتارة يكون مندوباً، وهو: أنْ يَضمَّ إليه ترك بعض المباحات والمكروهات؛ من الرُّقْيَةِ والكَيِّ؛ مخافة الوقوع في المحذور.

مراتب النَّاس في تحقيق التَّوحيد

فالأُولى: مرتبة الأبرار المُقتَصِدين، وهم أهل فعل الواجبات وترك المُحرَّمات.

والثَّانية: مرتبة الكُمَّل، ومقام السَّابقين المُقرَّبين؛ لَمَّا تركوا الشِّرك تركوا ما يُخاف جرُّه إلى الشِّرك.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ.

السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ؛ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ.

فإنَّ أَولياءَ اللَّه على طَبقتَيْن:

- أبرارٌ مُقتَصِدُون.
- وسابِقُون مُقرَّبُون.

التَّوكُّل أَصلٌ في تحقيق التَّوحيد

(السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ) يعني: الأصل والمُصَحِّح هو التَّوكُّل؛ الذي يجمع تلك الخصال.

ترك الرُّقية والكيِّ تجلُّداً ليس من تحقيق التَّوحيد

يعني: أنَّه تَرَكَ[1] لكمال التَّوكُّل، أمَّا لو تُرِكَت الرُّقيةُ والكَيُّ على وجه التَّمتُّن[2] والتَّجلُّد، وأنَّه لا يحسُّ بالضَّرب والألم، فإنَّه لا يكون من تَحقيقِ التَّوحيد في شيء.

عَلِم الصَّحابة أنَّ دخول الجَنَّة بلا حساب لا ينال إلَّا بعمل

(السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ؛ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ) لَمَّا أخبر عن السَّبعين الألف عَرَفوا أنَّه ليس مُحَصَّلاً ذلك إلَّا بعمل.

حِرْصُ الصَّحابة على الخير عِلْماً وعملاً

(الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ) في البحث عن أحوال

---

(١) أي: ترك الاسترقاء والكيَّ والتَّطيُّر.

(٢) أي: المتانة والقوَّة.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ.
العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى.
الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ ﷺ.
الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

السَّبعين؛ أحرصُ شيءٍ على علم الخير، ثمَّ إذا علموه يعملون به - علْمٌ وعملٌ -.

فَضْلُ هذه الأمَّة كمِّيَّة وكيفيَّة

(**التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ**) (**الكَمِّيَّةُ**): العَدَد والكَثْرَة.

و(**الكَيْفِيَّةُ**): الصِّفات الحميدة.

فالحديث دَلَّ على أنَّهم أكثر الأُمَم دخولاً الجَنَّة، وامتازت بكون هؤلاء يدخلون الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ.

ففيه: مَنْقَبَة وفَضِيلَة لهم.

(**العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى**) فإنَّهم أكثر الأُمَم تابعاً لنبيِّها بعد نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ.

(**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ ﷺ**).

تمايز الأمَم يوم القيامة

(**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا**) معه كذا[1]، معه كذا، وأنَّ الأُمَم لا تختلط ولا تمتزج.

---

(١) أي: معه عددٌ من أتْباعِه.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ.

أتباع الأنبياء قليل

(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ) منهم مَنْ يَجيء معه الرَّجُل والرَّجُلان؛ بل منهم مَنْ لم يستجب له أحد؛ بل منهم مَنْ قَتَلَه قومه - كما هو معروف في التَّاريخ - مع صِدْق براهينهم.

(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ) في قوله: (وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ).

عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزُّهد في القِلَّة

(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ وَهُوَ) ما علمتَه أنَّ من الأُمَم مَنْ لم يَسْتَجِبْ أَحدٌ منهم لنبيِّهم: **(عَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ)** بل يقتضي أنَّ أهلَ الباطل أكثر النَّاس في كلِّ زمان، **(وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ)** لا تزهد في القِلَّة؛ فإنَّ أهلَ الحَقِّ هم الأقلُّ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وفي الآية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»؛ فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ

الرُّخصة في الرُّقية من العين والحُمَة

(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ) إنسانٌ مَعِينٌ، هي: النَّظلة[1].

وحديث بُرَيْدَة ﵁ دليل أنَّه لا بأس أن يُقرَأ عليه؛ هذه رخصة واضحة.

(وَالحُمَةِ): سُمُّ ذواتِ السُّموم؛ إذا لَدَغَتْه حيَّة، أو زنبور[2].

ولا ينفي الرُّخصة في غيرها؛ فالمراد: لا رُقيةَ أَشْفَى.

السِّرُّ في أولويَّة الرُّقية من العين والحُمَة

وسِرُّ كونها أَوْلَى: لكون الإصابة بقُوىً شيطانيَّة، أَلَا ترى أنَّ إِبْرَة الحيَّة تَقتُل؟! فالإضرارُ فيها مَعنويٌّ شيطانيٌّ، والمَعِين إنَّما أصابه شيء لم يُطِقْه.

فالحاصل: أنَّ الحَاملَ قوىً شَيطانيَّة، فتُقاوَم بقوىً رحمانيَّة مَعنويَّة؛ فمِنْ أجل هذا كان أَوْلَى ما يُرْقَى منه: العَيْن، والحُمَة.

الجمع بين أحاديث الرُّقية

(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»؛ فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ

---

(١) مأخوذة من النَّظْرة، وهي: الإصابة بالعين.

(٢) الزُّنْبُور: طائرٌ يلسَع. تهذيب اللُّغة (١٣/ ١٩٦).

الأَوَّلَ لَا يُنَافِي الثَّانِيَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.

(الأَوَّلَ لَا يُنَافِي الثَّانِيَ) بل معناهما مُتَّحد، فحديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه دَلَّ على الجواز، وحديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما دَلَّ على الأَوْلَويَّة والأكمل - الأكمل: التَّعلُّق على اللَّه، والتَّفويض إليه -.

بُعْدُ السَّلَف عن أنْ يُمدَح أَحدُهُم بما ليس فيه

(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ) بقوله: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ)، هذا فيه بُعْدُ السَّلَف عن أنْ يتعرَّض أَنْ يُمدَح أحدُهُم بما ليس فيه، مع صلاحِهِم واستقامَتِهِم؛ فدَلَّ على عِظَم خَشْيَتِهِم من ربِّ العالمين.

عَلَمٌ من أعلام النُّبوَّة

(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ) لأنَّه لا يُخبِر عن شخص أنَّه منهم إلَّا مَنْ يأتيه الوَحْي، فكان فيه عَلَم على أنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه حَقّاً.

فضيلةُ لعُكَّاشة رضي الله عنه

(العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ) شهادةٌ له بأنَّه من السَّبعين الألف؛ هذه فَضِيلَةٌ ومَنْقَبَةٌ عظيمةٌ كبيرةٌ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ المَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

حُسْنُ المعاريض

(الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ المَعَارِيضِ) وذلك بقوله: **(سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ)**، كان خيرَ الأَمْرين حُسْناً:

- فإنَّه ما كَهَرَه[1] بقوله: لست منهم، ولا جاء شيء عليه فيه غضاضة[2].

- واستعمل التَّعريض، ولم يَسْتعملْ تصريحاً؛ فإنَّ في الكلام تعريضاً بأنَّه ليس عنده من الأحوال ما عند عُكَّاشة، فيظهر أنَّه ليس عنده، وإلَّا لو كان عنده لشَهِدَ له.

- وفي ضمنه حسم المادَّة.

حُسْنُ خُلُق النَّبيِّ ﷺ

(الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ) من حُسْنِ خُلُقه قال كلمةً كَفَتْ في المطلوب بدون غضاضةٍ على السَّائل.



---

(١) أي: ما انْتَهَرَه. الصِّحاح (٢/ ٨١١).

(٢) أي: مِن نَقْصٍ له، ووَضْعٍ من قَدْرِه. القاموس المحيط (ص٦٤٩).

بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

شرح التَّرجمة

(بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ) أي: وجوب الخوف من الشِّرك، وتَحتُّمه، والتَّحذير منه.

مناسبة الباب لِمَا قَبلَه

لَمَّا ذكر التَّوحيد وفضلَه وتَحقيقَه؛ نَاسَبَ أن يذكر الخوف من ضدِّه؛ ليَحْذَره المؤمن، ويَخافَه على نفسه، فإنَّ اللَّه إذا مَنَّ على العبد بالتَّوحيد علماً وعملاً؛ فينبغي له الخوف من زوال هذه النِّعْمَة العظيمة، فإنَّ الشِّركَ والكفرَ اسمٌ لِمَا يُضادُّ ويُنافِي التَّوحيد، والإيمانَ اسمٌ لِمَا يُنافي الشِّرك.

حقيقة الخوف من الشِّرك

وحقيقة الخوف: صِدق اللَّجأِ إلى اللَّه، والاعتصام به، وأن يُفتِّش الإنسان عن أسبابه[1] وذرائعه ومهالكه، وفي الحديث: «مَنْ أَمِنَ اللَّهَ عَلَى دِينِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ سَلَبَهُ إِيَّاهُ»[2]، وفي الحديث الآخر: «كَانَ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ القُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: إِنَّ قُلُوبَ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

(١) أي: أسباب الشِّرك.
(٢) رواه ابن وَضَّاح في كتاب البِدَع والنَّهي عنها (ص٩٥)، رقم (١١٦)، من قول سفيان الثَّوريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

. . . .

يُقلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»(١).

الشِّرك قسمان

والشِّرك قسمان: أكبر، وأصغر.

ويقال: جَلِيٌّ، وخَفِيٌّ.

الفَرْقُ بين الشِّرك الأكبر والأصغر في الحَدِّ والحُكم

وبينهما فَرْقٌ في: الحَدِّ، والحُكْم.

فحَدُّ الأكبر: تسوية غير اللَّه باللَّه فيما هو من خصائص اللَّه؛ كالمَحَبَّة.

وحُكْمُه:

- أنَّه لا يُغفَر لصاحبه أبداً إلَّا بالتَّوبة منه.
- وأنَّه يُحبِط جميع الأعمال.
- ويُخْرِج من المِلَّة.
- وصاحبه خالدٌ مُخَلَّدٌ في النَّار.

وحَدُّ الأصغر هو: ما أَتَى في النُّصوص أنَّه شرك ولم يَصِلْ إلى حَدِّ الأكبر.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٦٥٧٦)، من حديث أُمِّ سلمة رضي الله عنها، دون لفظ: «وَالأَبْصَارِ».

وبنحوه رواه مسلم، كتاب القَدَر، باب تصريف اللَّه تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

. . . .

وحُكْمُه:

- أنَّه لا يُغفَرُ لِصاحِبِه أبداً إلَّا بالتَّوبة منه؛ لعُمُومِ الآيتين[١].
- ولا يُحبِطُ جميع الأعمال.
- ولا يَنْقُلُ عن المِلَّة.
- ولا يُخلَّدُ صاحبه في النَّار.

(١) من سورة النساء، الآية رقم (٤٨)؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، والآية رقم (١١٦)؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

الفَرْقُ بين موت الإنسان على الشِّرك وبين ما دونه من المعاصي

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾) أي: لا يَغْفِر لعبدٍ لَقِيَه وهو مُشْرِك، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

هذا فيه: الفَرْقُ بين موت الإنسان على الشِّرك أو على غيره.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

فَبَيَّنت الآية: أنَّ الشِّركَ أعظم من جميع الذُّنُوب، وأنَّه ليس تحت المشيئة؛ فالشِّرك لا يُغفَر أبداً - كما تقدَّم -، فذَنبٌ هذا شأنه ينبغي أن يُخافَ منه؛ لامتيازه على غيره بأنَّ مَنْ مات عليه لا يُغفَر له.

خصائص الشِّرك الأكبر

فالشِّرك الأكبر امتاز عن غيره بأمور؛ منها:

- أنَّه لا يُغفَرُ لصاحبِه.
- وأنَّه يُخَلِّدُ في النَّار.
- وأنَّه يُخرِجُ من المِلَّة.
- وأنَّه يُحبِطُ جميع الأعمال - كما تقدَّم -.

مذهب الخوارج والمعتزلة في العُصَاة والرَّدُّ عليهم

وفي قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: رَدٌّ على الخَوَارِج[(١)] المُكفِّرين بالذُّنُوب، وعلى المُعْتَزِلَة القائلين بتخليد أصحاب الكبائر في النَّار.

(١) هم: أوَّل فِرْقَةٍ خَرَجَت في الإسلام، خَرَجَت على عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه سنة (٣٧هـ)، وكفَّرُوه وبعضَ الصَّحابة، فقَاتَلَهم رضي الله عنه، مِنْ مُعتقداتِهِم: تكفير صاحب الكبيرة، وقد جاءت أحاديث بمُرُوقِهِم من الإسلام. المِلَل والنِّحَل (١/ ١١٤)، البداية والنِّهاية (١٠/ ٥٥٩).

وَقَالَ الخَلِيلُ عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾.

معنى الآية

(وَقَالَ الخَلِيلُ عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾) أي: اجعلني وبَنِيَّ في حَيِّزٍ وجانبٍ عن عبادة الأصنام.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

وفيه: أنَّه يُخَاف على البَنِين كما يُخَاف على الأنفس؛ فإذا كان خليل الرَّحْمن؛ الذي ابتلاه اللَّه بكلماتٍ فأَتمَّهنَّ، وقال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾، وكان أَشدَّ النَّاس عداوة للأصنام، وقد كسَّرها بيده، وفارق أهلها، ومع ذلك كلِّه خَافَه على نفسه وبَنِيه، ولَجَأَ إلى اللَّه ودعاه أَنْ يُجَنِّبه وبَنِيه عبادة الأصنام؛ فمَنْ دونَهم بمراتب لا تُحصى أَوْلَى بالخوف منه، وعدم الأمن من الوقوع فيه، قال إبراهيم التَّيميُّ رحمه الله[(١)]: «وَمَنْ يَأْمَنُ البَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!»[(٢)].

سبب خوف إبراهيم عليه السلام من عبادة الأصنام

وذَكَر السَّبب الذي من أجلِه خَافَ منه، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾، جعل إبراهيم عليه السلام هذا الدَّاء الذي هلكوا به مَعْبَراً له وطريقاً إلى النَّجاة.

---

(١) هو: أبو أسماء إبراهيم بن يزيد بن شريك التَّيمي، الإمام، الفقيه، عابدُ الكوفة، توفِّي رحمه الله سنة (٩٢هـ). تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٢)، سير أعلام النُّبلاء (٥/ ٦٠).

(٢) تفسير الطَّبريِّ (١٣/ ٦٨٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩).

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فقَالَ: الرِّيَاءُ».

وقوله: (وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: الرِّيَاءُ»[١]).

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

هذا فيه: بيان أنَّ الشِّركَ مَخُوفٌ على هذه الأُمَّة، فإذا كان ﷺ خافه على أصحابه؛ فمَنْ دونَهم بمراتبَ أَوْلَى.

دليلٌ على أنَّ الشِّرك أصغر وأكبر

وذِكْرُ النَّبيِّ ﷺ الشِّركَ الأصغر يدلُّ على أنَّ هناك شركاً أكبر.

أقسام الشِّرك وضابط كلِّ قسم

فالشِّرك قسمان:

أكبر، وضابطُه: عَدْلُ[٢] غير اللَّه باللَّه فيما هو من خصائص اللَّه.

والأصغر لا ينافي التَّوحيد بالكلِّيَّة؛ فمعه أصل التَّوحيد، ولكن ينافي كماله الواجب.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٣٦٣٠)، من حديث محمود بن لَبِيد رضي الله عنه.
(٢) أي: مساواة. مقاييس اللُّغة (٤/ ٢٤٧).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدّاً؛ دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

(وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدّاً؛ دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[١]).

تعريف النِّدِّ

النِّدُّ في اللُّغة هو: المَثِيل والشَّبِيه؛ يُقالُ: فلانٌ نِدُّ فلان، أي: مِثْلُه وشَبيهُه ونَظيرُه.

وقد يُطلَق على الضِّدِّ[٢].

فهو من الأضداد؛ والأوَّل هو الأشهر فيه.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

أخبر ﷺ أنَّ مَنْ مات على تلك الحالة **(وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدّاً)** أنَّه يدخل النَّار، فدَلَّ ذلك على أنَّه ينبغي الخوف كلَّ الخوف من الشِّرك.

عموم كلمة «نِدّاً»

وقوله: **(نِدّاً)** شَمِل مَنِ اتَّخذ نِدّاً من الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار ونحو ذلك؛ لأنَّها نَكِرةٌ؛ من صِيَغ العموم.

أقسام التَّنديد وأمثلةُ كلِّ قسم

واتِّخاذ النِّدِّ على قسمين:

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، رقم (٤٤٩٧).

(٢) الصِّحاح (٢/٥٤٣)، تاج العروس (٩/٢١٧).

. . . .

أحدهما: أَنْ يُجعَل للَّه شريك في العبادة أو بعضها، فهذا شرك أكبر؛ كاتِّخاذه نِدّاً مع اللَّه يدعوه، أو يرجوه، أو يخافه خوفَ السِّرِّ، أو يُحِبُّه المَحَبَّةَ المُختصَّة المُقتضِيَة للذُّلِّ والخضوع والتَّألُّه والتَّودُّد، ونحو ذلك، كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في نُونيَّتِه(١):

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ
وَهُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيّـ ... ـاً كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ
يَدْعُوهُ بَلْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ... وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ

والثَّاني من التَّنديد: ما كان من نوع الشِّرك الأصغر، كيَسِيرِ الرِّياء، وكقول: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»، وما جاء عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢) ونحو ذلك؛ فهو شرك أصغر.

---

(١) الكافية الشافية (ص٢٢٠).

(٢) في «بَابِ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»، المجلد الثَّالث (ص١٧٧).

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ».

فَضْلُ التَّوحيد والسَّلامة من الشِّرك

(وَلِمُسْلِمٍ[١]: عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ) هذا فيه: بيان فَضيلَة التَّوحيد؛ وأنَّ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لا يُشرِك به شيئاً يدخل الجَنَّة.

أعظمُ خصائص الشِّرك

(وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ») هذا فيه: أعظم خصائص الشِّرك.

عموم كلمة «شَيْئاً»

(شَيْئاً) نكرة في سياق الشَّرط تَعُمُّ، وظاهر هذا العُموم أنَّه ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ ولو كان له أعمالٌ كثيرةٌ جنسُها صالح.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

وهذا ممَّا يُفيدُك مع غيره: الخوف من الشِّرك، بالخصائص التي اختصَّ بها عن غيره، وأنَّه يُخافُ منه أعظم من غيره.

هذا الحديث مُقَيِّد للأحاديث المُطلَقة

وهذا مُقَيِّدٌ لحديث عُبَادَة بن الصَّامت ﷺ[٢]، ونحوه[٣]، وأنَّ المُرادَ: السَّلامة من الشِّرك قَليلِه وكَثيرِه، فتُحْمَل عليه،

---

(١) كتاب الإيمان، باب مَنْ مات لا يُشرِك باللَّه شيئاً دخل الجَنَّة، ومَنْ مات مشركاً دخل النَّار، رقم (٩٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٦).

(٣) كحديث أبي سعيد المتقدِّم (ص٢٢٨)، وفيه: «قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ؛ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وحديث البطاقة (ص٢٣٢)، وفيه: «قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ».

. . . .

وتُفسَّر به، وتُقيَّد به.

وشُروطُ «لا إله إلَّا اللَّه» وقُيودُها وفُروضُها كالأسنان للمِفتاح، كما جاء عن وَهْبِ بن مُنبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

حاصل ما تقدَّم

فالحاصل من الآية الأُولى: الخوف من الشِّرك؛ لأنَّ اللَّه لا يَغْفِرُه أبداً.

ومن الثَّانية: قول إبراهيم التَّيميِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ يَأْمَنُ البَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟»، وقد كسَّر الأصنام بيده، فكيف لا يخافه مَنْ دونه بمراتبَ أن يقع فيه؟!

ومن الحديث: **(أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ)**؛ فإذا كان ﷺ خافه على أصحابه؛ فمَنْ دونَهم بمراتبَ أَوْلَى.

فأفادنا من الآيات والحديث: الخوف من الشِّرك، وهي المطابقة.

وأفاد الحديثان: سوء عاقبة الشِّرك، والخوف والحذر منه، وهو يُقَيِّد الأحاديث المُطلَقة - كما تقدَّم -.

---

(١) يأتي تخريجه (ص٢٨٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

(فِيهِ مَسَائِلُ):

وجوب الخوف من الشِّرك

(الأُولَى: الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ) ما في الباب من الآيات والأحاديث ظاهرٌ واضحٌ أنَّه ينبغي أن يُخاف من الشِّرك.

الجمع بين آية النِّساء وآية الزُّمر

في آية النِّساء(١) خُصِّص الشِّرك من الذُّنُوب أنَّه لا يُغفَر، وآية الزُّمَر(٢) في حَقِّ التَّائب، فهي أَعمُّ(٣).

والشِّرك هو الذي لا رجاء لأهله ولا بقاء لهم، فينبغي لِمَنْ عَرَف التَّوحيد وعمل به أن يخاف من الشِّرك أَزْيدَ ممَّا يخاف من غيره.

مثال الرِّياء

(الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ) كونه يُحَسِّن صلاته(٤)؛ من الشِّرك.

الرِّياء شرك أصغر

(الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ) لقوله: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

(٣) فتغفر جميع ذنوب التَّائب من الشِّرك وغيره.

(٤) لِمَا يرى من نظرِ رَجُلٍ إليه.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الخَامِسَةُ: قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ).

فسمَّاه: «شركاً»، وسمَّاه: «أصغر».

الرِّياء أخوف ما يُخاف على الصَّالحين

(الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ) لقوله: **(أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ).**

معنى قُرْب الجنَّة والنَّار

(الخَامِسَةُ: قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ) وهو قوله: **(مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ)**؛ فإنَّه دَلَّ على قُرْبِ الجَنَّة بالموت على التَّوحيد، وقُرْبِ النَّار بالموت على الشِّرك، وفي الحديث الآخر: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[1]، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[2].

الاهتمام بالسَّوابِق واللَّواحِق

ففي هذا: الاهتمام بالسَّوابق واللَّواحق، ولا يتَّكل الإنسانُ على الكتاب الأوَّل[3]، ولكن نعرف أنَّ اللَّه كريم، وهو أنَّ مَنْ شَبَّ على شيءٍ مات عليه، ولا سِيَّما إذا كان ظاهرُه وباطنُه مُتوافقاً، فيدلُّ على لزوم الاستقامة.

---

(١) شِراكُ النَّعل: أحد سيور النَّعل التي تكون على وجهه. فتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٨).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الرَّقائق، باب: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»، رقم (٦٤٨٨)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أي: ما كتب في اللَّوْح المحفوظ.

السَّادِسَةُ: الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ.

الثَّامِنَةُ - المَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ -: سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

(السَّادِسَةُ: الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ) كون ذلك في حديثٍ واحدٍ، كلُّه في حديثِ جابرٍ رضي الله عنه: (مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ).

عاقبة الشِّرك والتَّوحيد

(السَّابِعَةُ: أَنَّ مَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ) ولو كان له أعمالٌ كثيرةٌ جنسُها صالح.

مسألة عظيمة لا يَفهم سرَّها إلَّا مَنْ يَفهم عن اللَّه ورسوله

(الثَّامِنَةُ - المَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ -: سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ) فإنَّ هذه مسألة عظيمة لا يفهم سِرَّها إلَّا مَنْ يفهم عن اللَّه ورسوله، وذلك أنَّه هو خليل الرَّحمن، وهو الذي كسَّر الأصنام، وهو الذي كان أعظم مُنافرةً ومعاداةً لأهل الشِّرك، ومع ذلك خَافَ على نفسه أَنْ يَقعَ في هذا الدَّاء، فابتهل إلى اللَّه؛ فهذه مسألة عظيمة.

التَّاسِعَةُ: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

حال العارف بالله

هذا شأن العارف باللَّه في هذه المسألة؛ أن لا يَرْكَنَ إلى نفسه؛ بل خَافَ وابْتَهَل، وأكثر النَّاس في ذهولٍ عن الخوف على النَّفس والولد من الوقوع في الشِّرك؛ فكما أنَّ الإنسان مُهتمٌّ لنفسه، فكذلك لذَرارِيِّه يخاف عليهم، قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

الخوف على الذُّرِّيَّة من الشِّرك

الضَّلال حال أكثر الخَلْق

(التَّاسِعَةُ: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾) فإنَّ الدَّاءَ المُهلِكَ للكثير أعظمُ من الدَّاء الذي لم يَهلك به إلَّا البعض، فواجبٌ أن يُخاف أكثر من غيره.

ويُفيدُ: أنَّ ما عليه الأكثر هو الباطل والضَّلال.

النُّطق وحده بكلمة التَّوحيد لا يكفي

(العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ) في صحيحه[1]، فإنَّه قال: «كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومَنْ كان آخر كلامه لا إله إلَّا اللَّه دخل الجنَّة، وقيل لوَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أليس مِفتاحُ الجنَّة لا إله إلَّا اللَّه؟ قال: بَلَى،

(١) مُعَلَّقاً (٢/ ٧١)، ورواه موصولاً في تاريخه الكبير (١/ ٩٥)، وأبو نُعيم في الحلية (٤/ ٦٦)، والحافظ في تغليق التَّعليق (٢/ ٤٥٣، ٤٥٤).

. . . .

ولكن ما مِنْ مِفتاحٍ إلَّا وله أَسْنَانٌ، فإِنْ جِئتَ بمِفتاحٍ له أَسْنَانٌ فُتِحَ لك، وإلَّا لم يُفْتَح)»، فهو عنده صحيح، ثمَّ فَسَّر معناه بآثار ذكرها بَعدُ، فذكر أَثَرَيْن، وهما:

تفسير أثر وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

- قوله ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»[١].

- وقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ»[٢].

ومراده: أنَّ «لا إله إلَّا اللَّه» مِفتاح، ولكن لا بُدَّ من أسنان، ولا بُدَّ من عمل، كما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «مَنْ قال: لا إله إلَّا

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومَنْ كان آخر كلامه لا إله إلَّا اللَّه، رقم (١٢٣٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ مات لا يُشرِك باللَّه شيئاً دخل الجَنَّة، ومَنْ مات مشركاً دخل النَّار، رقم (٩٤)، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومَنْ كان آخر كلامه لا إله إلَّا اللَّه، رقم (١٢٣٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ مات لا يُشرِك باللَّه شيئاً دخل الجَنَّة، ومَنْ مات مشركاً دخل النَّار، رقم (٩٢)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو: أبو سعيد الحَسَن بن أبي الحَسَن يسار البصري، ولد سنة (٢١هـ)، فقيه زاهد، مُشَمِّر للعبادة، شيخ أهل البَصْرَة، وسَيِّد أهل زمانه عِلماً وعملاً، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١١٠هـ). سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٥٦٣)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطيِّ (ص٣٥).

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

اللَّه؛ فأدَّى حَقَّها وفَرْضَها؛ دخل الجَنَّة»[1]، فليس المراد النُّطق بها فقط؛ بل لا بُدَّ من العمل والسَّلامة من المُنافي.

فضيلة عظيمة لِمَنْ سَلِم من الشِّرك

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ) بكونه يدخل الجَنَّة، ويُنَجَّى من النَّار، فهذه فَضِيلَة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، وهذه أفضل وأعظم شيء.



(١) رواه أبو القاسم التَّيميُّ في الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ١٥٨).

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

شرح التَّرجمة

(بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يعني: اعتقاداً، ونُطْقاً، وعملاً.

مناسبة الباب لِمَا قَبلَه

لَمَّا ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ التَّوحيدَ وفَضْلَه وتحقيقَه، وذكر الخوفَ من ضدِّه؛ أَرْدَف ذلك بذكر الدَّعوة إليه؛ تنبيهاً على أنَّه إذا حَصَل للإنسان بتوفيق اللَّه العلم بالتَّوحيد والعمل به، فيسعى إلى الكمال في الدَّعوة إلى اللَّه - إذا كَمَل بفضل اللَّه ورحمته فينبغي له أن يُكمِّل غيره بذلك -؛ فإنَّ هذه طريقة النَّبيِّ ﷺ وأتباعه.

حكم الدَّعوة إلى اللَّه وفضلها

والدَّعوة إلى اللَّه من فروض الكفايات، والنُّصوص في الدَّعوة إلى اللَّه وفَضْلِها كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾، والنُّصوص من السُّنَّة كثيرةٌ مَعلومةٌ، كحديث الباب ونحوه[1].

---

(١) كحديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم، رقم (١٨٩٣).

وحديث تميم الدَّاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم، رقم (٥٥).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآيَةَ.

طريقة النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة أمران

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾) أي: طريقتي ومحجَّتي التي أنا مُقيمٌ عليها.

الأمر الأوَّل: الإخلاص

(﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾) لا إلى حظٍّ، ولا إلى رياسة، وهذا ينبِّهك على الإخلاص؛ فدَلَّ على أنَّه لا بُدَّ من الإخلاص في ذلك.

الأمر الثَّاني: الدَّعوة على بصيرة

(﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾) على علم وبرهان يُميِّز به بين ما يُدعَى إليه ممَّا يُنهَى عنه.

والبصيرة: كمال العلم وحقيقته، ونسبتها إلى القلب كنسبة البصر إلى المُبْصِر؛ وهذا المتابعة للنَّبيِّ ﷺ.

أمران لا بُدَّ من توفرهما في الدَّاعي: الإخلاص والمتابعة

فهذان الأمران لا بُدَّ منهما في الدَّاعي:

- أن يكون مقصوده وجه اللَّه.
- والثَّاني: أن يكون على وَفق سنَّة رسول اللَّه.

فالأوَّل: هو مدلول شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه.

والثَّاني: هو مدلول شهادة أنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه.

فإنْ أخلَّ بالأوَّل كان مشركاً، وإن أخلَّ بالثَّاني كان مبتدعاً.

. . . .

أحوال النَّاس في الدَّعوة

فإنَّ بعض مَنْ يدعو لا يدعو إلى اللَّه؛ بل إلى حَظٍّ أو رياسةٍ.

وبعض مَنْ يدعو يدعو على غير بصيرة؛ فيُفْسِد أكثر ممَّا يُصْلِح؛ بل رُبَّما يأمرُ بالمُنكَر ويَنْهَى عن المعروف.

فالأوَّل: اختلالٌ في النِّيَّة والقَصْد، والثَّاني: اختلالٌ في البَصِيرة والاتِّباع.

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ أي: ويدعو إلى اللَّه - أيضاً - مَنْ آمَنَ بي واتَّبَعني.

مراتب الدَّعوة إلى اللَّه

والدَّعوة إلى اللَّه على ثلاث مراتب: الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ثمَّ المجادلة، ثمَّ المجالَدة؛ وهي بحسب الأزمان والأشخاص.

معنى قوله: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً للَّه وإجلالاً للَّه عمَّا لا يليق بجلاله وعظمته؛ وممَّا لا يليق بجلال اللَّه وعظمته؛ بل من أعظم ما لا يليق بجلال اللَّه وعظمته: أن يُدعى مع اللَّه غيره، مثل مَنْ يطلبُ من غير اللَّه تفريج الكُرُبات، وإغاثة اللَّهفات، ونحو ذلك.

معنى قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعني: لست منهم ولا هم منِّي بأيِّ نسبة كانوا، يعني: لا في الاعتقاد، ولا في العمل، ولا في

. . . .

الوطن، ولا في الاجتماع؛ بحيث لا يُعَدُّ منهم بوجهٍ من الوجوه؛ إنْ نظروا في الاجتماعات فليس منهم، وإن جلسوا في المجالس فليس منهم، وإن خرجوا إلى المحافل وبَرَزوا فليس منهم في حال من الأحوال، ولهذا قال المُصَنِّف في المسائل[(١)]:

وجوب الابتعاد عن المشركين

(**وَفِيهِ: إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنِ المُشْرِكِينَ، لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ**)، فإنَّه واجبٌ الابتعاد عنهم؛ ولهذا طريق الهجرة معلوم من الكتاب والسُّنَّة[(٢)].

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

فدَلَّت الآية على فَضِيلَة الدَّعوة إلى اللَّه على بصيرة، والحَثِّ والتَّرغيب في ذلك، وأنَّ الدَّعوة إلى اللَّه على بصيرة هي طريقة النَّبيِّ ﷺ وأَتْباعِه، وهذا هو وجه الدَّلالة.

---

(١) وهي المسألة السَّادسة من مسائل هذا الباب (ص٣٠٧).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

ومن السُّنَّة: ما رواه أبو فاطمة اللَّيثيُّ رضي الله عنه أنَّه قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكَ بِالهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهَا» رواه النَّسائيُّ، رقم (٤١٦٧).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى اليَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛

(وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى اليَمَنِ) وذلك سنة عشر قبل حَجِّ النَّبيِّ ﷺ - كما ذكره البُخاريُّ[١] -؛ بعثه داعياً إلى اللَّه ومُفقِّهاً ومُعلِّماً وأميراً.

تأكُّد بَعْثِ الدُّعاة إلى اللَّه

فينبغي؛ بل يتأكَّد بعْث الدُّعاة إلى اللَّه، ويتعيَّن ذلك على الإمام.

أَخْذُ الأُهْبَة في الدَّعوة إلى اللَّه

(قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) أهلُ الكتاب هم: اليهود والنَّصارى، وذلك أنَّ أهلَ اليمن - إذ ذاك - كلَّهم أو أكثرَهم يهود ونصارى.

وهذا كالتَّوطئة للوصيَّة، يعني: فخُذْ أُهْبَتَك[٢] منهم، فإنَّهم ليسوا كغيرهم؛ بل هم أهل علم وأهل كتاب، فلا بُدَّ أن يأتوك بعلوم وأشياء.

---

(١) في صحيحه (٥/ ١٦١): «كتاب المغازي، باب بَعْثِ أبي موسى ومُعاذٍ إلى اليمن قبل حَجَّة الوداع».
والبخاريُّ هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفيُّ مولاهم، البخاريُّ، ولد سنة (١٩٤هـ)، شيخ الإسلام، وسيِّد الحُفَّاظ، صاحب الصَّحيح والتَّصانيف، صَنَّف وحَدَّث وهو صغير، كان رأساً في الذَّكاء والعِلم والوَرَع والعبادة، توفِّي رحمه الله سنة (٢٥٦هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨)، تذكرة الحُفَّاظ للذَّهبيِّ (٢/ ١٠٤).

(٢) أي: اسْتِعْدَادَك. الصِّحاح (١/ ٨٩).

فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . .

كشف الإمام لرسوله ما خفي عليه من المُرسَل إليهم

فدَلَّ على أنَّ الإمام إذا عَلِم أنَّ المُرسَل لا يعلم بما عندهم فيكشف له ذلك.

(فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لا يكن هَمُّك إلَّا هذا الشَّأن.

خفاء التَّوحيد على كثير من الخَلْقِ

وفيه: أنَّ هذه الدَّعوة تَخْفَى على كثيرٍ من الخَلْقِ؛ ولو كانوا علماء، فإنَّ الذين بُعِث لهم مُعاذٌ ﷺ معهم بقايا كُتبٍ من التَّوراة والإنجيل، ومع ذلك خَفِي عليهم التَّوحيد الذي بُعِثت به جميعُ الرُّسل، وأُنزِلت به جميعُ الكُتُب؛ فهذا يُبَيِّن لك أنَّ أهل العلوم ليسوا مستغنين عن معرفة «لا إله إلَّا اللَّه» والتَّنبيه على فضلها بعلومهم وما عندهم، فهم إمَّا أن لا يقولوها، أو أنَّهم يقولونها ولا يعملون بمدلولها، ففي الأوَّل هم النَّصارى، وفي الثَّاني هم اليهود.

فاليهود والنَّصارى وأشباههم منهم مَنْ يجهل معنى لا إله إلَّا اللَّه، ومنهم مَنْ يَعلمها ولكنَّ الشَّهوةَ تمنعه من ذلك وحُبَّ المال والجاه والرِّياسة - والعياذ باللَّه -.

رَدٌّ على شبهة معاصرة

وفيه: رَدُّ شبهةِ مَنْ قال: كيف العلماء مِلْءِ الأرض لا يعرفون التَّوحيد، ولا يعرفه إلَّا مُحمَّد بن عبد الوهَّاب؟!

التَّوحيد أوَّل واجب على العباد

وفيه: أنَّ التَّوحيدَ أوَّل واجب على العباد علماً وعملاً،

. . . .

بخلاف مَنْ يقول: إنَّ أوَّل واجبٍ النَّظر في الوجود، أو القصد إلى النَّظر، أو غير ذلك[(١)]؛ فأوَّل واجب هو: النُّطق بـ«لا إله إلَّا اللَّه»، والعلم بمعناها، والعمل بمقتضاها نفياً وإثباتاً، والسَّلامة ممَّا ينافيها، من أدلَّتِه:

الأدلَّة على أنَّ التَّوحيد أوَّل واجب

- أنَّ الأنبياء أوَّل شيءٍ دَعَوْا إليه قومهم: التَّوحيد، كما قال عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

- ونبيُّنا ﷺ أوَّل شيءٍ دعا إليه قال: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»[(٢)].

- ولمَّا بَعَثَ معاذاً رضي الله عنه قال: **(فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**.

---

(١) وهم: أهل الكلام، ومُرادُهُم بالنَّظر في الوجود: النَّظر المُؤَدِّي إلى العلم بحدوث العالم ومعرفة الصَّانع.
قال أبو المُظفَّر السَّمعانيُّ رحمه الله في الرَّدِّ عليهم: «وهذا قول مخترع لم يَسْبِقْهُم إليه أحدٌ من السَّلَف وأئمَّة الدِّين، ولو أنَّك تَدبَّرْتَ جميعَ أقوالِهم وكُتُبِهم لم تَجِدْ هذا في شيء منها، لا مَنْقُولاً من النَّبيِّ ﷺ، ولا من الصَّحابة رضي الله عنهم، وكذلك من التَّابعين بعدهم» الانتصار لأصحاب الحديث (١/ ٦١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٧).

- وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ -، . . . .

معنى كلمة التَّوحيد

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ[(١)]) وفي روايةٍ: «فَادْعُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ»[(٢)]، وفي روايةٍ: «إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ»[(٣)].

فهذه الرِّوايات ممَّا يُفَسِّر لك ويُبَيِّن معنى ومدلول: «لا إله إلَّا اللَّه»، وأنَّه: عبادة اللَّه وحده وترك عبادة ما سواه.

يعني: لَفْظاً بها إن لم يلفظ بها، وعلماً بها، وعملاً بها، وسلامةً ممَّا ينافيها؛ فاللَّفظ مُرادٌ ومقصودٌ، لكن من باب الوسائل، والمراد بالذَّات هو: المعنى.

لا تَصِحُّ شهادة «أن لا إله إلَّا اللَّه» إلَّا بشهادة «أنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه»

في روايةٍ أخرى: «وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»[(٤)]، فإنَّها لا تَصِحُّ الأُولى إلَّا بالثَّانية، فلو أحدٌ شَهِدَ أن لا إله إلَّا اللَّه لم تنفعْه بدون شهادة أنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه، لكن لا يدخل في الإسلام إلَّا بشهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، ولا بُدَّ بعد ذلك من إقامة الصَّلاة، ولا بُدَّ أيضاً بعد ذلك من أعمال.

---

(١) رواها البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب ما جاء في دعاء النَّبيِّ أمَّته إلى توحيد اللَّه، رقم (٧٣٧٢)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٢) رواها الدَّارقطنيُّ، كتاب الزَّكاة، باب الحَثِّ على إخراج الصَّدقة وبيان قسمتها، رقم (٢٠٥٩)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجها (ص١٧٧).

(٤) رواها البخاريُّ، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وفيه: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ».

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، . . . .

فُرِضَت الصَّلوات الخمس بعد التَّوحيد لأنَّه شرط لِصحَّتها

(فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) هذا فيه: افتراض الصَّلوات الخمس، وأنَّهنَّ بعد التَّوحيد، فإنْ وُجِدَ التَّوحيد دُعِي إلى الصَّلوات، وإلَّا لم يُدْعَ إليها؛ فإنَّ الصَّلاة وغيرها من سائر الأعمال لا تَصِحُّ حتَّى يُعمَل بالتَّوحيد؛ التَّوحيد أعظمُها وأَساسُها؛ فالنَّبيُّ ﷺ أخذ عشر سِنِين، كلُّها في الدَّعوة إلى التَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك والتَّحذير منه، قبل فرض الصَّلاة وغيرها من فروع الدِّين.

التَّوحيد أساس الأعمال

لا واجب من الصَّلوات غير الخمسِ

(خَمْسَ صَلَوَاتٍ) هذا يُستدَلُّ به على أنَّه لا واجب غير الخَمس؛ ولهذا في الحديث: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى العِبَادِ؛ مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ؛ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»(١).

التَّعليم بالتَّدْرِيج

ودَلَّ الحديث على التَّعليم بالتَّدْرِيج؛ يبدأ بالأهمِّ فالأهمِّ، فإذا حصل التَّوحيد - وهو شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه وأنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه -؛ فحينئذٍ تُطْلَبُ منهم الصَّلاة، فإنْ صَلَّوا صاروا

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٢٦٩٣)، من حديث عُبادَة بن الصَّامِت رضي الله عنه.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، . . . .

مسلمين، وإلَّا لم يكونوا مسلمين، فيكون امتناعهم ناقضاً ما صار منهم من الإسلام.

أَهمُّ أمور الإسلام: التَّوحيد ثمَّ الصَّلاة ثمَّ الزَّكاة

(فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً) في هذا الحديث: أنَّ أهمَّ أمور الإسلام؛ التَّوحيد، ثمَّ الصَّلاة، ثمَّ الزَّكاة.

الحديث فيه إجمال بَيَّنَته أحاديث أخرى

(تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ) الغنيُّ مُجمَلٌ في هذا الحديث، مُبيَّنٌ في الأحاديث الأُخَر، ومُبيَّنٌ الأمور التي تجب فيها الزَّكاة.

(فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) هذا مُبيَّنٌ في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

جواز دَفعِ الزَّكاة إلى صِنفٍ وإلى شَخصٍ

ويجوز أن تُدفَع إلى صِنفٍ وإلى شخصٍ، وليس أنَّها تُثمَّن[١]؛ بل هم مَصْرِف، وهو قولٌ[٢].

كَريم المال ورَدِيئه لا يؤخذان في الزَّكاة

(فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ) وكذلك

---

(١) أي: لا يَلزَم أنْ تُقسَم إلى ثمانية أجزاء، ثمَّ تُصرَف على جميع الأصناف الثَّمانية المذكورين في الآية.

(٢) وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد: أنَّه يجوز للإمام أن يصرفها في صِنْفٍ واحدٍ أو أكثر من صِنْفٍ واحدٍ، إذا رأى ذلك بحسب الحاجة. الهداية للمرغينانيِّ (١/ ١١١)، بداية المجتهد (٢/ ٣٦)، المغني (٢/ ٤٩٩)، كشَّاف القناع (٥/ ٧٥).

وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أَخْرَجَاهُ.

العكس؛ فيه شيئان: إساءة إلى صاحب المال؛ كونه ما أخذ منه الواجب، وإساءة إلى المستحِقِّ؛ كونه ما أُعطِي الواجب له.

نصوصٌ تُشبِه حديث الباب في انتظام التَّوحيد والصَّلاة والزَّكاة

وهذا الحديث انتظم التَّوحيد والصَّلاة والزَّكاة، كحديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، وكقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية.

(وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ) يعني: اجعل وقاية تقيك ذلك، والوقاية هنا هي: لا يَظلم.

(فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أَخْرَجَاهُ[2]).

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

والشَّاهد من الحديث: أنَّ هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ البعثُ إلى النَّواحي للدَّعوة إلى التَّوحيد، وأنَّ التَّوحيدَ أوَّل واجب.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، رقم (٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه، مُحمَّد رسول اللَّه، رقم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٧).

وَلَهُمَا: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ . . . .

(وَلَهُمَا[1]: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ) السَّاعديِّ (رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ) يعني: يوم حصار خَيْبَرَ[2] الشَّهير.

معنى «الرَّايَةَ»

(«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ) هي: ما يُنصَب للقوم عند الكَرِّ والفَرِّ؛ يَعرِف بها بعضهم بعضاً.

قيل: إنَّها واللِّواء مُتَرَادِفَان[3]، وقيل: إنَّ بينهما فرقاً[4].

ففيه: عقد الرَّايات في القتال، ومنها الأَلْوِيَة - إن لم يترادفا -.

(غداً) هو اليوم الذي بعد يومك.

إثبات صفة المَحَبَّة

(رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) هذا فيه: إثبات صفة المَحَبَّة؛ أنَّ اللَّه يُحِبُّ أهل طاعتِه وولايتِه، ويُحِبُّه المؤمنون؛ يُحِبُّهم تعالى حُبَّ رحمةٍ وإحسانٍ ولطفٍ، ويُحِبُّونه حُبَّ تَعَبُّدٍ.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم (٤٢١٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

(٢) خَيْبَر: مدينةٌ شمالَ غربِ المدينة المنورة، تبعد عنها مئة وخمسة وسبعين (١٧٥) كيلومتراً. معجم ما استعجم (٢/ ٥٢١)، معجم البلدان (٢/ ٤٠٩)، المعالم الأثيرة (ص١٠٩).

(٣) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٧٩)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٢٦).

(٤) وهو: أنَّ اللِّواء: ما يُعقَد في طَرَف الرُّمح، ويُلوَى عليه، والرَّاية: ما يُعقَد فيه، ويُترَك حتَّى تَصْفِقه الرِّياح، وقيل غير ذلك. فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٢٦).

يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ؛ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، . . . .

الجَهْمِيَّة يُنكِرون المَحَبَّة

والجَهْمِيَّة وفُرُوعُهُم: يُنكِرُون أن يُحِبَّ، وأن يُحَبَّ - يأبون المَحبَّة من الجانبين -، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة - من أوَّلهم إلى آخرِهم -: إثبات الصِّفات على حَدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

معتقد أهل السُّنَّة في الصِّفات

فمذهبهم في هذا الباب: أنَّهم يَصِفُون اللَّه تعالى بما وَصَفَ به نفسه في كتابه، وبما وَصَفَه به رسوله مُحمَّدٌ ﷺ في السُّنَّة؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

عَلَمٌ مِن أعلام النُّبوَّة

(**يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**) أخبر بوقوع الفتح في الغد؛ فوقع كما أخبر.

ففيه: عَلَمٌ من أعلام نُبوَّتِه ﷺ.

استحباب البِشَارة

وفيه: استحباب بشارة الإمام لرَعيَّته بما يَسُرُّ، وهو في مثل الحصار أخصُّ؛ فإنَّه ممَّا يُقوِّي القلوب.

عظم شأن الصَّحابة رضي الله عنهم وعُلُوُّ هِمَمِهم

(**فَبَاتَ النَّاسُ**) جميعاً (**يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ؛ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا**) باتُوا سَهْرَى[1]؛ مَنْ هو الذي يَحصُل له هذا الخير الكثير؟ ولم يبيتوا ليلتهم يُهَنِّئ بعضهم بعضاً بالفتح ووقوع الفَرَج، ولا اشتغلوا بذلك، مع أنَّ فيه مصلحة دينيَّة؛ بل اشتغلوا بهذا الرَّجُل، باتوا

---

(١) السَّهر: عدم النَّوم في اللَّيل كلِّه، أو في بعضه. المصباح المنير (١/ ٢٩٣).

فَلَمَّا أَصْبَحُوا؛ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، . . . .

يَدُوكُون فيمَنْ تَحصُل له هذه الرَّاية، فيكون ممَّنْ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه؛ ليس القصد الإمارة والرِّياسة؛ وهذا يُفيدُك عُلُوَّ هِمَمِهِم، وحُبَّهم للخير عِلْماً وعملاً.

عُلُوُّ الهِمَّة طريق المَعالِي

(فَلَمَّا أَصْبَحُوا؛ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ما منهم واحد قعدت به همَّتُه، فيُفيدُ: أنَّ الرَّجُلَ عَلِيُّ الهِمَّة، مع بذل الجهد والمجهود في الوصول إلى الخيرات، فإنَّ عُلُوَّ الهِمَّة لها شأن في بلوغ المقاصد، وقِصَر الهِمَم ممَّا يُقعِد عن أشياء من الخير كثيرة، وعُلُوُّ الهِمَم ممَّا يُوصِل الإنسان إلى المعالي.

(كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا) ولم يَحْقِر أحدٌ منهم نفسه؛ لِمَا يجدون في صدورهم من مَحَبَّة اللَّه ورسوله.

(فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟) وكان مُتأخِّراً.

(فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ) يعني: بها وجع الرَّمَد[(١)].

(فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ) وفي بعض الرِّوايات: «فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ»[(٢)].

---

(١) الرَّمَد: داءٌ التهابيٌّ يُصيب العين، يُؤَدِّي إلى هيجانها وانتفاخها. تاج العروس (٨/ ١١٦)، المعجم الوسيط (١/ ٣٧٢).

(٢) رواها الطَّبرانيُّ في الكبير (٦/ ١٥٢)، رقم (٥٨١٨)، من حديث سهل بن سعد السَّاعديِّ رضي الله عنهما.

فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، . . . .

(فَأُتِيَ بِهِ) وفي بعض الرِّوايات: «أَعْمَى يُقَادُ»[(١)].

(فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ) يعني: عُوفِيَ من سَاعتِه تلك؛ **(حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ)**.

عَلَم مِنْ أعلام النُّبُوَّة

ففي هذا: عَلَمٌ من أعلام نُبوَّته ﷺ؛ كونه بَرَأَ بِرِيقِه الشَّريف في ساعةٍ واحدة.

وعلامات نُبوَّته ﷺ كثيرة جدّاً، ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: «لَمْ أَرْمَدْ وَلَمْ أُصَدَّعْ[(٢)] مُنْذُ بَصَقَ فِيهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[(٣)].

فعل الأسباب لا ينافي التَّوكُّل

وفيه: أنَّ فعلَ الأسبابِ المباحةِ أو الواجبةِ أو المُستحبَّةِ لا ينافي التَّوكُّل؛ فبَصْقُه في عين علِيٍّ لا ينافي التَّوكُّل.

في الحديث منقبة لعليٍّ رضي الله عنه من وجهين

(فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ) وفي هذا مَنْقَبَة عظيمة لعَلِيٍّ رضي الله عنه من وجهين:

- مِنْ دفعِ الرَّاية إليه.

- ومِن شهادتِه ﷺ له بأنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ

---

(١) رواها الآجُرِّيُّ في الشَّريعة (٤/٢٠٢٨)، رقم (١٤٩٤)، من حديث أبي ليلى الأنصاريِّ رضي الله عنه، وفيه: «فَجِيءَ بِهِ يُقَادُ».

(٢) أي: لم أُصَبْ بصُداع.

(٣) رواه أبو داود الطَّيالسيُّ في مسنده، رقم (١٨٥)، ولفظه: «مَا رَمِدْتُ وَلَا صُدِّعْتُ مُنْذُ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ بِالرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ».

وَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ . . . .

ورسولُه، ومن المعلوم أنَّ كلَّ مؤمنٍ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، ولكن وجه المَنْقَبة: شهادة النَّبيِّ ﷺ له بذلك على التَّعيين، وهذا إنَّما يتمُّ على أصل أهل السُّنَّة والجماعة، أمَّا على مذهب الرَّافِضَة[1] فلا يتمُّ؛ فإنَّهم يَزْعُمُون أنَّ فضائلَ أبي بكرٍ وعُمَر ذهبت بارتدادهم[2]؛ والخَوَارِج تُكفِّره[3]؛ والرَّسول ﷺ لا يقوله[4] في حَقِّ مَنْ يموت على الكفر بحال.

أصل لأهل السُّنَّة في المناقب

(وَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ) يعني: امضِ على مَهْلٍ وتُؤَدَة وسكون، بحيث إنَّك لا تُقَدِّم رِجْلاً ولا تُؤَخِّر أخرى إلَّا عن رأيٍ ومشورةٍ ومكيدةٍ للعَدُوِّ.

الحَثُّ على التَّمهُّل والتُّؤدة في الحرب

---

(١) هم: طائفةٌ زَعَمَتْ أنَّ عليّاً هو الأحَقُّ بالخِلَافَة ممَّنْ قَبلَه، وغَلَا فيه بَعضُهُم وادَّعَوْا فيه الأُلوهيَّة؛ ومِنْ مُعتقداتِهِم: الإمامة، والبراءة من الخلفاء الثَّلاثة، وعصمة أئمَّتهم من الخطأ، والتَّقيَّة، وليس في الطَّوائف المُنتسِبَة إلى القِبْلَة أعظم افتراء للكذب على اللَّه وتكذيباً بالحَقِّ منهم. مقالات الإسلاميين (ص٥)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٣٠٦، ٤٨٦)، (٢/ ٣٤)، (٤/ ٣٤٥).

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّبيُّ ﷺ شَهِد له بأنَّه يُحِبُّ اللَّه ورسوله ويُحِبُّه اللَّه ورسوله، لكن هذا الاحتجاج لا يَتِمُّ على قول الرَّافضة الذين يجعلون النُّصوص الدَّالَّة على فضائل الصَّحابة كانت قبل رِدَّتهم، فإنَّ الخوارج تقول في عليٍّ مثل ذلك؛ لكن هذا باطل؛ فإنَّ اللَّه ورسوله لا يُطلِق هذا المدح على مَنْ يعلم أنَّه يموت كافراً» منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٥/ ٤٤).

(٣) أي: عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) لا يقول: «يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه».

حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، . . . .

ففيه: استعمال هذا للعَدُوِّ، وأنَّه لا ينبغي السُّرعة والطَّيش؛ بل ينبغي التَّمهُّل والرَّأي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾، قال بعض العلماء[1]: «إنَّ قُبَّة النَّصرِ مَبنيَّةٌ على هذه الآية»، وفيما ذكره النَّبيُّ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه بعض ذلك.

الحَثُّ على الشَّجاعة

(حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ) هذا حَثٌّ على الشَّجاعة؛ فإنَّ ساحة القوم وسُوحَهم هي: ما قَرُب منهم.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

(ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ) هذا هو الشَّاهد من الحديث، وهو أنَّ النَّبيَّ ﷺ يأْمُر بذلك.

فدَلَّ على شرعيَّة الدَّعوة إلى اللَّه، وأنَّها دعوة النَّبيِّ ﷺ وخلفائه الرَّاشدين.

حكم دعوة المشركين قبل القتال

وفيه: شرعيَّة دعوة المشركين إلى الإسلام قبل الإغارة عليهم.

والكفَّار منقسمون إلى قسمين:

- قسم لم تَبْلُغْهُم الدَّعوة؛ فهؤلاء لا بُدَّ من إقامة تبليغ الدَّعوة.

- وإن كانت قد بَلَغَتْهُم؛ فيندب ندباً.

---

(١) وهو ابن القيِّم في كتابه الفروسيَّة المُحمَّديَّة (ص٤٧٢).

. . . .

ويدلُّ على عدم الوجوب وأنَّه يجوز الإغارة على مَنْ بَلَغَتْهُم الدَّعوة؛ إغارتُه ﷺ على بَنِي المُصْطَلِق وهم غارُّون(١).

الحكمة من دعوة المشركين ثانيةً قبل القتال

وأهلُ خيبر في هذه القصَّة قد دُعوا وقُوتِلُوا قبل ذلك، ودعوتُهم ثانيةً؛ ليُعلَمَ أنَّ المقصودَ دخولهم في الإسلام، ليس التَّشفِّي أو أخذ الأموال، فإذا عَلِمُوا ذلك صار أَرْغَبَ لهم في الدُّخول في الإسلام، ورُجِي أن يَبقوا في رحمةٍ في الدُّنيا والآخرة، وبدونه لا بقاء في الدُّنيا والآخرة.

تعريف الإسلام

والإسلام هو: الاستسلام للَّه وحده لا شريك له، والبراءة من الشِّرك وأهله(٢).

العلاقة بين الإسلام والإيمان

والإسلام إذا أُفرِد دخل فيه الإيمان، كما اختاره كثير(٣)، وصَرَّح به كثير(٤)، وإذا أُفرِد الإيمان دخل فيه الإسلام، وحقيقة

---

(١) أي: غافلون. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٥).
والحديث رواه البخاريُّ، كتاب العِتق، باب مَنْ ملك من العرب رقيقاً، فوهب وباع وجامع وفَدَى وسَبَى الذُّرِّيَّة، رقم (٢٥٤١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب جواز الإغارة على الكفَّار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدُّم الإعلام بالإغارة، رقم (١٧٣٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) اقتضاء الصِّراط المستقيم (٢/ ٣٧٧).

(٣) كشيخ الإسلام ابن تَيميَّة وابن القيِّم وابن أبي العِزِّ وابن رَجَبٍ رحمهم الله. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٥٧٥)، جلاء الأفهام (ص٢٠٩)، الرِّسالة التَّبوكيَّة (ص٥)، شرح العقيدة الطَّحاوية (٢/ ٤٩٠)، جامع العلوم والحكم (١/ ١١٢).

(٤) قال ابن رجبٍ رحمه الله: «اسمُ الإسلامِ والإيمانِ إذا أُفْرِدَ أحدُهُما دخل فيه الآخَر، =

وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً . . . .

ذلك هو الشَّهادتان.

للإسلام حقوق لا تَتِمُّ العِصْمَة إلَّا بها

(**وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ**) فإنَّ الإسلام له حقوق وواجبات لا تَتِمُّ عِصْمَة دمائهم وأموالهم إلَّا بإقامتها؛ من ذلك: إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، ونحو ذلك.

الدَّعوة بالدَّليل

وفيه: بيان الدَّعوة بالدَّليل والبرهان، (**بِمَا يَجِبُ**) يعني: ببرهانه؛ إذ لا وجوب قبل قيام الحُجَّة على الشَّيء.

حَلِفُ النَّبيِّ ﷺ على فَضْلِ الدعوة لِمَزِيدِ التَّرغيب فيها

ثم قال: (**فَوَاللَّهِ**) حَلَفَ ﷺ وهو الصَّادق المَصْدُوق ولو لم يَحْلِف، لكن حَلِفه مزيد حَثٍّ وترغيبٍ في هذه الفَضِيلَة العظيمة.

(**لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً**) هذا تعليلٌ للمقصود؛

= ودَلَّ بانْفِرَادِه على ما يَدلُّ عليه الآخَر بانْفِرَادِه، فإذا قُرِنَ بينهما؛ دَلَّ أحدُهما على بعضِ ما يَدلُّ عليه بانْفِرَادِه، ودَلَّ الآخَر على الباقي، وقد صَرَّح بهذا المعنى جماعة من الأئمَّة، قال أبو بكر الإسماعيليُّ رحمه الله في رسالته إلى أهل الجبل: (قال كثير من أهل السُّنَّة والجماعة: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والإسلامَ فِعْلُ ما فُرِضَ على الإنسان أن يفعله؛ إذا ذُكِر كلُّ اسم على حِدَتِه مضموماً إلى آخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مُفْرَدَيْن؛ أريد بأحدهما معنى لم يُرَد بالآخَر، وإذا ذُكِر أحد الاسمين؛ شَمِل الكلَّ وعَمَّهم).

وقد ذَكَر هذا المعنى أيضاً الخطَّابي في كتابه: (معالم السُّنَن)، وتَبِعَه عليه جماعة من العلماء من بعده» جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».
قَوْلُهُ: «يَدُوكُونَ» أَيْ: يَخُوضُونَ.

فعَليٌّ رضي الله عنه استفتى في قتالهم[١]، فقال: (**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً**) فعلَّلَ أنَّه إنْ هَدَى اللَّه به رجلاً واحداً (**خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»**) يعني: من الإبل الحُمْر؛ يعني: خير من الدُّنيا وما فيها، وخَصَّ الإبل الحُمْر؛ لكونِها أنفس أموال العرب إذ ذاك، وهذا للتَّمثيل، وإلَّا فذَرَّة من ذَرَّات الآخرة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها؛ هذا ولو واحد، فكيف إذا هُدِي به فِئَام[٢]؟ وهُدِي بالفِئَام فِئَام؟ وهذا فضل اللَّه.

الحكمة من تخصيص «حُمْرِ النَّعَمِ»

فوائد من الحديث

ففيه: شرعيَّة الدَّعوة.

وفيه: فضل الدَّعوة إلى اللَّه وعظم شأنها، وأنَّها طريقُه صلى الله عليه وسلم، وطريقُ خلفائه الرَّاشدين.

(**قَوْلُهُ: «يَدُوكُونَ» أَيْ: يَخُوضُونَ**).

---

(١) في روايةٍ: «فَقَالَ - أي: عليٌّ رضي الله عنه -: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ» رواها البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فَضْلِ مَنْ أسلم على يديه رجل، رقم (٣٠٠٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

(٢) أي: جماعة من النَّاس. العين (٨/ ٤٠٥).

. . . .

فالحاصل من الآية: أنَّ الدَّعوةَ إلى اللَّه طريقُه ﷺ وطريقُ مَن اتَّبَعَه إلى يوم القيامة، ففيه: فَضْلُ الدَّعوة إلى اللَّه. **حاصل ما تقدَّم**

ومن الحديث الأوَّل: مقصود المُصَنِّف أنَّ أوَّلَ ما يُبدَأ به التَّوحيد، ففيه: فَضِيلَة الدَّعوة إلى اللَّه، ومشروعيَّة الدَّعوة.

ودَلَّ الحديث على أنَّ هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ وسيرتَه بَعْثُ الدُّعاة يدعون إلى اللَّه، فهذا هَدْيُ النَّبيِّ ﷺ وسيرتُه.

وحديث عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ الدَّعوةَ إلى اللَّه هديُه ﷺ، وهديُ خلفائه، وفيه: فَضِيلَة الدَّعوة إلى اللَّه من قوله: (**خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّ كَثِيراً وَلَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

(فِيهِ مَسَائِلُ):

الدَّعوة طريق النَّبيِّ ﷺ وأتباعِه

(الأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) قوله: (﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾) هذا دالٌّ على هذه المسألة، طريقه وطريق أَتْبَاعه إلى يوم القيامة.

كثيرٌ من الدُّعاة يدعو إلى رياسته وحَظِّه

(الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّ كَثِيراً وَلَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ) كثيرٌ من النَّاس يُظْهِر أنَّه يدعو إلى اللَّه، وفي باطن الأمر يدعو إلى رياسته وحظِّه.

يجب أن يكون الدَّاعي ذا عِلمٍ

(الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ) قوله: (﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾)، والبصيرة: العلم والبرهان.

فرضٌ في الدَّاعي أن يكون ذا بصيرة وعلم، فإن لم يكن فلا؛ فإنَّ عادمَ البصيرة يُفْسِد أكثر ممَّا يُصلِح؛ رُبَّما يأمر بالمُنكَر وينهى عن المعروف.

الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ المَسَبَّةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ.

السَّادِسَةُ - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا -: إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنِ المُشْرِكِينَ،.......................

الإخلاص والعلم شرطان في الدَّاعي

الإخلاص للَّه فرض في الدَّعوة، وكذلك البصيرة - العلم -، فصار هنا شرطان:

أحدهما: الإخلاص.

والثَّاني: المتابعة.

فهذان الشَّرطان لا بُدَّ منهما في كلِّ عبادة، فإن اختلَّ الأوَّل فهو الشِّرك، وإن اختلَّ الثَّاني فهو البِدْعَة.

من دلائل حسن التَّوحيد: تنزيه اللَّه عن المَسَبَّة

(الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ المَسَبَّةِ.

من قُبْحِ الشِّرك كونه مَسَبَّة للَّه

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ).

أَخَذَهما من قوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ تنزيهاً للَّه أن يُجعَل له نِدٌّ من خَلْقِه يُسأل، والمراد: تنزيهاً للَّه عن الشِّرك.

فالتَّوحيد لو لم يكن فيه إلَّا أنَّه تنزيهٌ للَّه عن المَسبَّة لكفى في حُسنِه، والشِّرك لو لم يكن فيه إلَّا أنَّه مسبَّة للَّه لكفى في قُبْحِه.

وجوب مباينة المشركين من جميع الوجوه

(السَّادِسَةُ - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا -: إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنِ المُشْرِكِينَ)

لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الصَّلَاةِ.

من جميع الوجوه، (لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ) في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، حيث اقتضى المخالفة لأماكنهم وأفعالهم وأقوالهم، لا يُعَدُّ منهم إذا حُسِبُوا.

التَّوحيد أوَّل واجبٍ على العباد

(السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ) لا كما يقول المُتكلِّمون: إنَّ الواجبَ النَّظَر، أو القصد إلى النَّظَر؛ بل البرهان قام على خلافه، النُّصوص النَّبويَّة ما أَهْمَلَت هذا الشَّأن؛ بل بيَّنَتْه:

الرَّدُّ على مَن قال: إنَّ أوَّل واجب النَّظر

- (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أفليس هذا البرهان واضحاً على أنَّ التَّوحيد أوَّل واجب؟!

- مع أنَّ دعوة الرُّسُل من أوَّلهم لم يُذكَر فيها أنَّهم دَعَوْا أُمَمَهم إلى شيءٍ قبل التَّوحيد؛ بل هذا الذي دَعَوْا أُمَمَهُم له، وأنَّه لا شيء قبل التَّوحيد؛ علماً به وعملاً به.

يُبْدَأ بالتَّوحيد قبل كلِّ شيء

(الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ) قبل أمور الدِّين؛ (حَتَّى الصَّلَاةِ) التي مكانتها أعظم مكان - من شأنها وقُرْبها من الدِّين منزلةُ عمود الفُسْطاط[١]، وإنْ تَمَّت الأَطْنَاب[٢] وبلغت من القُوَّة

---

(١) الفُسْطاط: بَيتٌ من الشَّعَر. المصباح المنير (٢/ ٤٧٢).

(٢) الأَطْنَاب: جَمْع طُنُب، وهو: الحَبْل الذي تُشَدُّ به الخَيْمَة ونحوها. تهذيب اللُّغة =

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى «يُوَحِّدُوا اللَّهَ»: هُوَ مَعْنَى شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ. . . .

ما بلغت؛ بل هو ساقط في الأرض، لا يصير مبنيّاً إلَّا بعَمُوده -، ومع ذلك دَلَّ الحديث على أنَّه يُبدَأ به قبلها، وقبل غيرها؛ لأنَّ الصَّلاة لا تَصِحُّ إلَّا بعد صِحَّة التَّوحيد وتَقَرُّره؛ فعند ذلك تَصِحُّ، فإنْ صَلَّى مُوحِّداً وحجَّ مُوحِّداً وصام مُوحِّداً قُبلت الثَّلاثة، وإلَّا فهي باطلة لاغية، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية، فلو أنَّ الصَّلاة تَصِحُّ منهم لَأُمِروا[1]؛ لكون لها ثمرة؛ ولا يوجد شيء له ثمرة لا يُؤمَر به؛ فدَلَّ على أنَّها لا تَصِحُّ بدونه.

ثلاث روايات إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض عُرِف معنى شهادة «أَنْ لا إله إلَّا اللَّه»

(التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى «يُوَحِّدُوا اللَّهَ») في الرِّواية الثَّانية: **(هُوَ مَعْنَى شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»)** أردفَها الرِّواية الأُولى تفسيراً لها وتَبْييناً، وهي مقصود المُصَنِّف واستشهاده.

ثلاث روايات: **(شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**، ورواية: **(إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ)**، ورواية: «إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ»، وإذا ضَمَمْنا بعضها إلى بعض عُرِف المراد واتَّضح، وصار المراد: توحيد اللَّه.

مِنْ أهل العلم مَنْ لا يَعْرِف معنى شهادة «أن لا إله إلَّا اللَّه» أو يَعْرِفُها ولا يَعْمَل بها

(العَاشِرَةُ:) دلَّ على **(أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ)**

= (١٣/ ٢٤٧)، المصباح المنير (٢/ ٣٧٨).

(١) بها قبل التَّوحيد.

وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ.

من جنس أهل العلم، فهم أهل علم في أوقاتهم، (وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا) وهو لا يعرف مدلول هذه الكلمة.

(أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا) لفساد إرادته.

كونهم من أهل الكتاب وأُمِرَ أن يدعوهم؛ دليل على أنَّ كثيراً من أهل الكتاب لا يعرفونها، أو يعرفونها ولا يعملون.

فيُفيدُ: أنَّه لا يُستَنكَر، وجنسه كثير وموجود؛ ومع ذلك بعض الجَهَلة يقول: كيف عندهم فنون وعلوم وهم لا يعرفون معنى «لا إله إلَّا اللَّه»؟!

أهلُ اليمن أهلُ كتاب ولا يعرفون معناها، أو أنَّهم يعرفونه ولا يعملون - يعرفونه ويخالفونه ويعبدون غير اللَّه؛ إمَّا العُزَيْر أو غيره -، وكلا الأمرين موجود؛ فعَرَفْنَا أنَّه لا ملازمة؛ بل يوجد ناس معهم علم ولا يعملون، أو لا يعلمون بالكلِّيَّة.

وأيضاً موجودٌ مَنْ يعلم ذلك ويعرفه، لكن منعه من الإقرار به وعدم العمل بموجبه رياسته؛ فهم أهل شرك وأوثان، فلو قالها ووضَّح لَفَاتَه مراده.

قاعدة: التَّعليم بالتَّدريج

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ) يعني: ما عَلَّمه

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البَدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ.

النَّبيُّ ﷺ معاذاً رضي الله عنه أنَّهم يُعلَّمون بالتَّدريج؛ لا جملةً واحدةً.

ففي الحديث ما يُشير إلى هذه القاعدة والفائدة الكبيرة، أن يُدَرِّج المدعوِّين.

البَدَاءَةُ بالأهمِّ فالأهمِّ

(الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البَدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ) ثمَّ إذا سَلَك هذا الأمر وكان بالتَّدريج؛ كان مُبتدِئاً بالأهمِّ فالأهمِّ منها، فإنَّ هذا الحديث الأهمَّ هو التَّوحيد، ثمَّ بعده هنا الصَّلاة، ثمَّ بعده الزَّكاة.

فصار فيه التَّنبيه على التَّعليم بالتَّدريج، وأنَّه بالأهمِّ فالأهمِّ.

الفقراء أحد مصارف الزَّكاة

(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ) قوله: **(فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)**، وهم أحد مصارف الزَّكاة، وفي الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾.

في الحديث: أنَّه لا بأس أن تُدفَع إلى صِنفٍ واحدٍ.

مِنْ وظائف العَالِم: كَشْفُ الشُّبَه

(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ) وذلك بقوله: **(إِنَّكَ تَأْتِي...)** إلى آخره، فكَشَفَ ﷺ عن معاذٍ رضي الله عنه حال أهل اليمن، فهذا يَدُلُّ على أنَّ العالِم ينبغي له أن يَكْشِفَ للمُتعلِّم

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.
السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ.
السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ.

ويُبيِّن له الشُّبَه التي تشتبه عليه؛ لئلَّا يقع فيما لا ينبغي، فيُوقِعه في محذور في دينه.

النَّهي عن كَرَائِم الأموال في الزَّكاة أو الرَّدِيء

(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ) بقوله: **(وَإِيَّاكَ)**، فهي صيغة تحذير، وهي بمعنى النَّهي أو أعظمُ وأشدُّ، **(وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ)** وهي: كثيرة الثَّمَن والسِّمَن ونحو ذلك.

وكذلك العكس - الأقلُّ -؛ فإنَّه جنايتان: إساءة إلى الحقِّ، وإساءة إلى صاحب المال؛ كونه ما أخذ منه الواجب.

والحَقُّ أن يأخذ الوسط - لا الغالي ولا الرَّديء -، كما في حديث: «فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ»[(١)].

بالعدل تُتَّقى دعوة المظلوم

(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ) يعني: بالعدل وترك الظُّلم.

دعوة المظلوم مستجابة وإنْ كان كافراً

(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ) وعُمومُه يَعْرِض في الفاجر والكافر؛ فإنَّ الظُّلم يُتَصَوَّر من عادل، وكذلك الكافر والفاجر، ويُتَصَوَّر في كلٍّ أنَّه يُظلَم؛ فالحديث عامٌّ، وورد حديث

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الزَّكاة، باب في زكاة السَّائِمَة، رقم (١٥٨٢)، من حديث عبد اللَّه بن معاوية الغَاضِريِّ رضي الله عنه.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ: مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...» إِلَخْ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

يُفيدُ هذا العموم[١].

من أدلَّة التَّوحيد: ابتلاء أهله ثم تكون العاقبة لهم

(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ: مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ) في حصارِ خَيْبَر، لَمَّا وقعوا في الفواكه أصابهم أنواعٌ من الوباء[٢].

وأهل الحَقِّ هم أهل الابتلاء والامتحان؛ أمَّا أهل الباطل فحَظُّهم دنياهم، فهي جارية لهم على ما يبغون؛ لأنَّه ليس لهم حَظٌّ في الآخرة.

ومقصوده: أنَّ أهل التَّوحيد أصابهم ما أصابهم، وصارت بها العاقبة لهم؛ فهذا دليلٌ على أنَّهم على الحَقِّ، وعَدُوَّهم على الباطل.

عَلَمان مِنْ أعلام النُّبوَّة

(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...» إِلَخْ) هذا (عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ) إذ لا يُخبِر به إلَّا نبيٌّ، لا يعلمه إلَّا نبيٌّ، فهذا عَلَمٌ

---

(١) وهو حديث أبي هريرة ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَظْلُوم مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ» رواه أحمد في المسند، رقم (٨٧٩٥).

(٢) قال الوَاقِديُّ ﵀ في مغازيه (٢/٦٤٦): «إنَّ قَوْماً شَكَوْا إلى رسول اللَّه ﷺ وَبَاء =

العِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضاً.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من أعلام نُبوَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**العِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضاً**) كون اللَّه أَبْرَأ عَيْنَيْه دليلٌ على نُبوَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من فضائل عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(**الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**) دَفْعُ الرَّاية إليه وحصولُ الفتح، وقولُه: (**يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**).

وفضائلُه ومناقبُه كثيرة:

- منها: كونه رابع الخلفاء الرَّاشدين.
- ومنها: كونه والد السِّبْطَيْن[1].
- وزوج بنت النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاطمة -.
- وأحد العَشَرَة المُبشَّرين بالجَنَّة.

على أصول الرَّافِضَة ليس لعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فضائل

وفضائله إنَّما تَتِمُّ على أصل أهل السُّنَّة والجماعة؛ أمَّا على أصول الرَّافِضَة فلا تَتِمُّ له فضائل؛ فإنَّ مقتضى أصولهم أن لا

= المَنْزِل، فأَمَرَهُم بالتَّحوُّلِ إلى الرَّجِيع، وقَدِمُوا خَيْبَر على ثَمَرةٍ خَضْرَاء وهي وَبِئَة وَخِيمَة، فأَكَلُوا من تلك الثَّمَرَة، وأَهْمَدَتْهُمُ الحُمَّى».

(١) السِّبْط: وَلَد الابْن والابنة، والمراد هنا: الحَسَن والحُسَيْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٣٩).

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ؛ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ، وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.

تثبت فضائله، لهم أصول لو اعتُبِرت لاقتضت أن لا تكون فضائل[1]، لكن أصولهم وفروعها باطلة.

فضل الصَّحابة رضي الله عنهم في خَوْضِهم تلك اللَّيلة لنوال شهادة مَحبَّة اللَّه ورسوله ﷺ

(الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ) خَوْضهم **(تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ)** تدلُّ على فضلهم وتنافسهم في الخير، مع أنَّ بشارةَ الفتح خير ودين؛ فهذا يدلُّ على فَضْلِهم وعُلُوِّ هِمَمِهم.

الإيمان بالقَدَر فقد يحصل العبد على أمر لم يَسْعَ له والعكس

(الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ؛ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ) وهو عليٌّ رضي الله عنه، **(وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى)**.

في القصَّة: الإيمان بالقَدَر، وأنَّ ما قُدِّر فهو كائنٌ لا محالة؛ عليٌّ رضي الله عنه ما حضر، فتأخَّر من أجل الرَّمَد؛ ونالها، والذين حَرَصوا وحاضرون ما نالوها.

حقيقة القَدَر

والقَدَر حقيقتُه هو: الإيمان بعلم اللَّه السَّابق، وكتابتِه،

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فضائل عليٍّ إنَّما نَقَلها الصَّحابة الذين تقدح فيهم الرَّافضة، فلا يتيقن له فضيلة معلومة على أصلهم» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢٩).

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ».

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

والإيمان بعموم المشيئة، وأنَّ كلَّ ما في الوجود بخلق اللَّه وإيجاده.

كلمة جَمَعَتْ آداب الحَرْب

(الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ») كأنَّه قال: لا تكن في سَيْرِك عَجِلاً، هذه الكلمة جَمَعَتْ آداب الحَرْب.

وجوب دعوة الكفَّار إلى الإسلام قبل القتال إذا لم تبلغهم الدَّعوة

(الخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ): **(ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ)**، فيه: شرعيَّة دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال؛ فإنَّ أهلَ خَيْبَر لمَّا أعطى النَّبيُّ ﷺ الرَّاية عليّاً قال له: **(انْفُذْ علَى رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ)**.

ولكن بعض الأحيان يكون وجوباً، وذلك إذا لم يكن تَقدَّم لهم دعوة، وإعادتها ندب، فإن أجابوا فذلك المطلوب، وإلَّا فقد أباح اللَّه للمسلمين دماءهم وأموالهم وذراريَّهم.

استحباب دعوة الكفَّار إلى الإسلام قبل القتال إذا كانت بلغتهم الدَّعوة

(السَّادِسَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا) تُشرَع دعوتهم؛ فإنَّ أهلَ خَيْبَر قد قُوتلوا قبل ذلك، ومع

السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ؛ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ».

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُونَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي الإِسْلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ

ذلك أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ عليّاً رضي الله عنه أن يدعوهم، وهذه مشروعيَّة ندب لا وجوب؛ بدليل إغارتِه على بَنِي المُصْطَلِق وهم غارُّون.

ودعوتهم ثانية لأجل إعلام المشركين أنَّ القصد إنَّما هو الدُّخول في الإسلام، لا القتل وأخذ الأموال، أمَّا قبل الدَّعوة فوجوب.

الدَّعوة بالحكمة وهي العلم

(**السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ؛ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ»**) الحكمة: الدَّليل، والبرهان، والعلم، والحُجَّة.

للإسلام حقوق مَنْ أدَّاها عُصِم ماله ودمه

(**الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُونَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي الإِسْلَامِ**) في قوله: (**وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ**)، ولله سبحانه في الإسلام فروض وواجبات فَرَضها وأوجبها على عباده، من ذلك: إقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان... إلخ، إذا فُعِلت تَمَّت واستتبَّت[1] العِصْمَة.

هداية رَجلٍ واحدٍ خير من الدُّنيا

(**التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ**

---

(١) أي: اسْتَقَامت. الصِّحاح (١/ ٩٠).

وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُونَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

وَاحِدٌ) كون ذلك خيراً له من حُمْر النَّعَم، يعني: كونه خيراً له من الدُّنيا وما عليها، وخُصَّت الإبل الحُمْر؛ لكونها أنفس أموال العرب عندهم.

جواز حَلِف المُفتي على فتواه

(الثَّلَاثُونَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا) قوله: (فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ) يعني: أنَّ في ذلك جواز أن يَحْلِف المُفْتِي على فتواه، وقد جاء أنَّ النَّبيَّ ﷺ حَلَفَ في نحوٍ من ثمانين موطناً، ذكره ابن القيِّم في «الإعلام»[1]، وحَلِفُه ﷺ؛ لمزيد التَّرغيب في هذا الخير، وإلَّا فهو الصَّادق وإن لم يَحْلِف.

حَلِفُ النَّبيِّ ﷺ على فَضْلِ الدعوة لِمَزِيدِ التَّرغيب فيها



---

(١) إعلام الموقِّعين (٦/ ٥٤).

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

شرح التَّرجمة

المعنى: (بَابُ) بيان (تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ) يعني: توحيد الأُلوهيَّة والعبادة؛ لأنَّه هو المقصود بالذَّات من تصنيف الكتاب، (وَ) بابُ بيان معنى (شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وعَطْفُ الشَّهادة على التَّوحيد من عطف الدَّال على المدلول؛ فإنَّ التَّوحيدَ هو مدلول شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه؛ لأنَّ مدلولَ شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه مطابقةً ومعناها هو: توحيد الأُلوهيَّة والعبادة.

مناسبة الباب لِمَا قبله

لمَّا ذَكَر التَّوحيد وفَضْلَه وتَحقيقَه والخوفَ من ضدِّه؛ أَرْدَفَ ذلك بالدَّعوة إليه، ثمَّ ذَكَر تفسيرَه.

الفَرْقُ بين الباب الأوَّل وهذا الباب

فإنْ قيل: أليس المُؤَلِّف قد فَسَّره في التَّرجمة الأُولى[(١)]؟

تفسير الشَّيء يكون بأمرين: بذكر معناه وبتفسيره بضِدِّه

قيل: في هذا الباب مَزيدُ تفسيرٍ وإيضاحٍ ليس في الآيات المذكورة في التَّرجمة الأُولى؛ لأنَّ تفسيرَ الشَّيء:

- تارةً يتبيَّن بذكر ما تحت اللَّفظ من المعنى.

---

(١) أي الباب الأول وهو: «كتاب التَّوحيد وقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾».

. . . .

- وتارةً يتبيَّن من تفسير الشَّيء بضدِّه.

وفي هذا الباب ذِكْرُ ما هو بالمعنى الأوَّل، وما هو بالمعنى الثَّاني، وهو ذِكْرُ أضداد التَّوحيد، التي إذا عُلِم أنَّها شِرْك؛ عُلِمَ أنَّ عكسَ ذلك وضِدَّه هو التَّوحيد، كما قيل:

. . . . فَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ[(١)]

. . . . وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ[(٢)]

(١) هذا عجز بيت، وصدره:
ضِدَّانِ لَمَّا اسْتُجْمِعَا حَسُنَا . . . .
وهو من القصيدة الفَائِقَة المشهورة باليَتِيمَة، وفي نِسْبَتِها تَنازُعٌ وخلافٌ كثير، وغَلَب عليها شاعران: الأوَّل: أبو الشِّيص الخُزَاعيُّ، وهي في ديوانه (ص١٣٨)، والثَّاني: عليُّ بن جبلة العكوَّك، وهي في شعره المجموع (ص١١٦).

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي في ديوانه (ص١٢٧)، وصدره:
وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ . . . .

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ . . . .

بيان الآية بتفسير ما قبلها

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾) الآيةُ يتبيَّن معناها بذِكْر ما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا مُحمَّد لهؤلاء المشركين: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ﴾ صيغة عموم شَمِل جميع مَنْ يُدْعَى مِنْ دون اللَّه؛ سواء كان ذلك المدعوُّ مَلَكاً أو نبيّاً أو غيرهما.

﴿زَعَمۡتُم﴾ أنَّهم آلهة.

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون اللَّه.

عَجْزُ كلِّ مَنْ يُدعَى من دون اللَّه عن كَشْفِ الضُّرِّ أو تَحويلِه

﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾، يعني: لا يملكون كَشْفَه عنكم بالكُلِّيَّة.

﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ ولا تحويله من حالٍ إلى حالٍ، أو من صفةٍ إلى صفةٍ.

نتيجة عَجْزِ الآلهة الباطلة أمران: بطلان عبادتها، وعابدها مغبون

يعني: جميع مَنْ يُدعَى مِنْ دون اللَّه لا يَملك - عاجزٌ عن كَشْفِ الضُّرِّ بالكُلِّيَّة، أو تحويله من حالٍ إلى حالٍ -، وهذا يُبَيِّن بطلان تعلُّقِهم عليهم ودعوتِهم إيَّاهم، ويُبيِّن مع ذلك أنَّ صنيعَهم هذا يَذهبُ عليهم ضياعاً وخساراً؛ فإنَّه من المعلوم أنَّ الدَّاعيَ للمدعو إنَّما يدعوه ويتعلَّق عليه من أجل عائدة تعود عليه من

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ **الآيَة**.

جهتِه، فبَيَّن تعالى أنَّه لا عائدة تعود على مَنْ دعاه؛ لا المطلوب كلَّه، ولا بعضه؛ وإذا كان الحال هكذا: تبيَّن أنَّ سَعْيَهم في ضلالٍ، وكَدْحَهُم في خسارٍ، وأنَّهم مَغْبُونُو الصَّفْقَة في الدُّنيا والآخرة؛ في الدُّنيا بفَوْتِ المطلوب، وحصولهم على الشِّرك وسِمة السُّوء؛ وفي الآخرة كونهم مشركين من أهل دخول النَّار والخلود فيها، ولهذا في الآية الأخرى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾؛ فيكون اللَّه وحده هو المُستحِقُّ أن يُفرَد بجميع العبادة.

ثمَّ قال: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾)، أي: الآلهة المَدْعُوُّون من دون اللَّه.

(﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾) يدعونهم المشركون؛ وحَذْفُ العائد على الموصول لكونه منصوباً جائزٌ؛ أي: الذين يدعونهم.

معبودات المشركين تَتعلَّق على اللَّه وحده وتبتغي القُرْب منه

(﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾) يعني: أنَّ مُتعلَّقات المشركين التي يتعلَّقون عليها مع اللَّه هي تَتعلَّق على اللَّه وحده، وتبتغي إليه الزُّلفى والقُرْب باجتناب زواجره واتِّباع أوامره ابتغاء وجهه وحدَه، فكيف يُجعَل العابد معبوداً؟!

الوسيلة: الإيمان باللَّه وحده والتَّقرُّب إليه بتوحيده وعبادته

و(﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾) المُعرَّفة باللَّام هي المَعْهُودَة، وهي: الإيمان باللَّه وحده، وتوحيده وعبادته، هذه هي التي جعلها اللَّه وسيلة

. . . .

إليه، التي جاءت بها الرُّسُل من عند اللَّه، وهي الإيمان باللَّه وبما جاؤوا به عن اللَّه، وهذا هو السَّبب والنَّسب بينهم وبين اللَّه، لا نسب ولا سبب بينهم وبين اللَّه إلَّا سبب العبوديَّة.

الأمر بالوسيلة الشَّرعيَّة

وقد أمر اللَّه عباده بطلب الوسيلة[١] التي أثنى اللَّه على عباده بطَلَبِها، فإنَّ اللَّه لَمَّا أَعَدَّ لأوليائه الكرامة جعل لذلك وسيلة، وهي عبادة اللَّه بامتثال ما أَمَرَ به، وترك ما نهى عنه.

قولان في سبب نزول الآية

وهذه الآية نزلت فيمَنْ يَعبُد العُزَيْر والمسيح وأُمَّه والملائكة، كما هو قول أكثر المُفسِّرين[٢].

وقيل: إنَّها نزلت فيمَنْ يعبد أناساً من الجنِّ، فأسلم الجنُّ وبقي مَنْ يَعبدُهُم على عبادتهم، كما ذكره البُخاريُّ في صحيحه[٣].

وفي الحقيقة: لا مُنافَاة بين القولين؛ فإنَّها نزلت فيمَنْ يدعو مِنْ دون اللَّه مدعوّاً، وذلك المَدْعُوُّ صالحٌ في نفسه، يرجو رحمة الرَّبِّ ويخشى عذابه، ويتقرَّب إليه بعبادته وطاعته.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

(٢) تفسير الطَّبريِّ (١٤/ ٦٣٠).

(٣) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، رقم (٤٧١٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، ولفظه: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاساً مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ».

. . . .

الآية رَدٌّ على جميع مَنْ عَبَدَ غير اللَّه

وفي الحقيقة: هي رَدٌّ على الجميع، فكأنَّ الرَّبَّ قال في الرَّدِّ عليهم: إنَّ الذين تدعونهم عَبِيدي كما أنَّكم عَبِيدي، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ويَتَقرَّبون إليَّ بطاعتي، فكيف تدعونهم مع اللَّه؟!

الرَّدُّ من العبد الصَّالح الذي يُعتقد فيه أَوضح من غيره

والرَّدُّ على مَنْ يُشرِك ممَّنْ هو مُعتقِدٌ له ومُشرِكٌ به إذا كان صالحاً أوضح ممَّا لو جاء من غيره، كقِصَّة عليٍّ رضي الله عنه وخُطبتِه[(١)].

وفي هذه الآية: وَصْفُ مَدْعُوِّيهم بكونهم أهل رغبة إلى اللَّه - ولا يملكون كَشْفَ الضُّرِّ ولا تحويله - ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، ولا قربة إلى اللَّه إلَّا هذا الطَّريق الذي صيَّر هؤلاء مُقَرَّبين؛ وهو أنَّهم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة، فلا وسيلة إلى اللَّه إلَّا هذا التَّقرُّب إلى اللَّه بعبادته وحده لا شريك له، فينبغي لسائر الخَلْقِ أن يتوسَّلوا بها إلى اللَّه، ويتقرَّبوا بها إلى اللَّه، فهذا الذي يُقَرِّبكم، وهو الذي قَرَّبهم،

---

(١) يعني: خطبة عليٍّ رضي الله عنه في الرَّافِضَة لَمَّا أَلَّهُوه.
والقِصَّة رواها ابن عبد البَرِّ في التَّمهيد (٥/٣١٧)، وفيها: «جَاءَ نَاسٌ مِنَ الشِّيعَةِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَنْتَ هُوَ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟! قَالُوا: أَنْتَ هُوَ، قَالَ: وَيْلَكُمْ، مَنْ أَنَا؟! قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، قَالَ: وَيْلَكُمْ، ارْجِعُوا فَتُوبُوا، فَأَبَوْا، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا قَنْبَرُ، ائْتِنِي بِحُزَمِ الحَطَبِ، فَحَفَرَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ أُخْدُوداً، فَأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ».

. . . .

ولا بلوغ إليه إلَّا بما بَلَغه هؤلاء، فإنَّ عملهم الذي أوصلهم إلى المرتبة العالية هو إخلاص التَّوحيد، فتقرَّبتم إلى اللَّه بالتَّنديد، وهو بنفسه المُبْعِدُ لكم عنه، وهو بنفسه المُبْعِد لكم عنهم.

الحاصل من معنى الآيات

فصار معنى الآيات: أنَّهم لا قدرة لهم على ما يُطلَب منهم، وأنَّهم عبادٌ صالحون، يرجون رحمة اللَّه وحده، ويخافونه وحده، وتَقَرُّبهم إليه وحده، فينبغي أنْ يُتأسَّى بهم بما قَرَّبهم.

أركان العبادة مذكورة في الآية

وذُكِر في هذه الآية أركان العبادة الثَّلاثة: الحُبُّ، والخوفُ، والرَّجاءُ[١]، وهي المذكورة في صَدْرِ السُّورة الكريمة الفاتحة[٢]، وقد وَصَفَ اللَّه آلهة المشركين بقيامهم بأركان العبادة، فصاروا عبيده بثلاثة أشياء: بعبادته وحده، ورجائِه وحده، وخوفِه وحده، هذا هو الوسيلة والسَّبب المُوصِل، لا عبادة سواه من الأولياء ونحوهم.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

وفي هذه الآية: بيان أنَّ التَّقرُّبَ إلى الصَّالحين ودعاءَهم مع اللَّه شركٌ أكبر مُنافٍ للتَّوحيد؛ فإنَّ اللَّه رَدَّ على الذين يَدْعون

---

(١) الحُبُّ في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، والرَّجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾، والخوفُ في قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(٢) فالحُبُّ في الآية الأُولَى منها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والرَّجاء في الآية الثَّانية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والخوف في الآية الثَّالثة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

. . . .

مِمَّنْ زعموه من دونه؛ فإذا عَرَفْنَا أنَّ دعوة هؤلاء من دون اللَّه هو الشِّرك الأكبر؛ عَرَفْنَا ضدَّه وهو التَّوحيد - أَنْ يُدعَى اللَّه وحدَه لا شريك له، لا يُدعَى معه نبيٌّ ولا وليٌّ ولا غيره من الخَلْقِ -؛ وبذلك تَبيَّن لك تفسير التَّوحيد، فهو من تفسير الضِّدِّ بضِدِّه.

الآية تفسير للتَّوحيد بالضِّدِّ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآيَة.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾) البراء: كمال التَّخلُّص والتَّخلِّي من التَّعلُّق على غير اللَّه.

(﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾) موصولٌ وصلته؛ يُفيدُ العموم، المعنى: من جميع ما تعبدون من صَنَمٍ ووَثَنٍ.

(﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآيَة) هو معنى «إلَّا اللَّه»، يعني: فهو وليِّي وحده.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾ الهاء عائدة على (﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾)، تقدير المعنى: أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرَكَ هذه الكلمة ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذرِّيَّته، يَدين بها منهم مَنْ لا يُشرِك باللَّه شيئاً؛ ومن المعلوم بالاتِّفاق أنَّ الكلمةَ التي تَرَكَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في عَقِبِه هي «لا إله إلَّا اللَّه»[1]، وعَبَّر عنها بـ(﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾)، فكان هذا هو معناها والمراد بها قطعاً؛ فإنَّ «لا إله إلَّا اللَّه» اشتملت على أمرين هما ركناها؛ النَّفي والإثبات، وهذا حقيقة التَّوحيد؛ فإنَّ النَّفْيَ وحدَه ليس بتوحيد، والإثبات ليس بتوحيد؛ بل التَّوحيد مجموعهما، فهذه الآية هي تفسير «لا إله إلَّا اللَّه»؛ فإنَّ النَّفي في «لا إله»

الآية تفسير للشَّهادة بما تحت اللَّفظ من المعنى

---

(١) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/٥٧٦)، تفسير البغوي (٤/١٥٨)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

. . . .

مطابقٌ له (﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾)، و(﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾) هو معنى «إلَّا اللَّه»؛ نفي الأُلوهيَّة التي بحَقٍّ عن غير اللَّه، وإثباتها للَّه وحده؛ فاتَّضح لك بذلك تفسير الشَّهادة، وهذا من تفسيره بما تحت اللَّفظ من المعنى.

الآية تفسير للتَّوحيد بالضِّدِّ

وتبيَّن بذلك تفسير التَّوحيد، فإذا عرفتَ أنَّ عدم البراءة من عبادة غير اللَّه يُنافي التَّوحيد؛ فالتَّوحيد هو موالاة اللَّه بعبادته وحده، والبراءة ممَّا يُدْعَى من دونه.

«لا إله إلَّا اللَّه» اشتملت على التَّجريد والتَّفريد والولاء والبراء

وكلمة «لا إله إلَّا اللَّه» اشتملت على التَّجريد والتَّفريد، والولاء والبراء؛ فإنَّ البراء هو: تَخَلِّي الشَّيء من الشَّيء وخلوصه منه؛ ولذلك تُسمَّى هذه الـ«لا»[1] عند النُّحَاة: «لا التَّبْرِئَة»[2]، التَّبرُّؤ من عبادة غير اللَّه، وموالاة اللَّه وحدَه بالعبادة، والتَّجريد هو: تجريد غير اللَّه من استحقاق الأُلوهيَّة، واستحقاقها له وحدَه.

فأوَّلُها: نَفْي وتجريد وبراء، وآخرُها: إثبات وتفريد وولاء.

الاستدلال بالرُّبوبيَّة على الأُلوهيَّة

وفي قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾) ما يُبَيِّن بطلان دعوة غير اللَّه؛ فإنَّ غير اللَّه لا فَطَروا ولا رَزَقوا، ولا جَلَبوا نَفْعاً ولا

---

(١) أي: «لا» في: «لا إله إلَّا اللَّه».

(٢) مغني اللَّبيب (ص٧٤٥).

. . . .

حَصَل منهم دَفْعُ ضُرٍّ، فالمُستحِقُّ هو المُتفرِّد بالخَلْقِ والإيجاد، الذي فطر الخلائق، وهو اللَّه وحدَه، فهذا يدخل في الاستدلال بالرُّبوبيَّة على الأُلوهيَّة.

الرَّدُّ على المشركين بما أقرُّوا به

واللَّهُ تعالى رَدَّ على المشركين بما أَقرُّوا به على ما جَحَدوه في آيات عديدة، وذلك أنَّ توحيد الرُّبوبيَّة هو الدَّليل على توحيد الأُلوهيَّة، فإنَّه إذا كان هو المُتفرِّد بالخَلْقِ والإيجاد والتَّدبير، والخَلْقُ كلُّهم ليس لديهم من ذلك شيء؛ تبيَّن أنَّه المُستحِقُّ للعبادة دون الخَلْقِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ الآيَة.

معنى الأَحْبَار والرُّهْبان

(وَقَوْلُهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾) الأحبار هم: العلماء[١]، والرُّهْبان هم: العبَّاد[٢].

معنى اتِّخَاذِهِم أرباباً: اتِّباعهم في التَّحليل والتَّحريم

(﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾) أيش[٣] معنى اتِّخاذهم أرباباً، وهم ما ذبحوا لهم، ولا هتفوا بأسمائهم، ولا سجدوا لهم؟!

معناه: أنَّهم حَلَّلوا لهم الحرام فاتَّبَعُوهم، وحرَّموا عليهم الحلال فاتَّبَعُوهم.

(﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ أُمِرُوا بالتَّوحيد، فلمَّا أُمِرُوا به عَكسوا وخالفوا، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

المذموم في الآية أهل الكتاب

هذه الآية المذموم والمُعَيَّر بها: أهل الكتاب - اليهود والنَّصارى -.

الاتِّباع في التَّحليل والتَّحريم شركٌ في الطَّاعة

والاتِّباع في التَّحليل والتَّحريم هو تفسير الآية المُتعيِّن الثَّابت عن النَّبيِّ ﷺ؛ وذلك أنَّ عَدِيَّ بن حاتمٍ رضي الله عنه جاء إلى النَّبيِّ ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٨).

(٣) «أيش» كلمة عربيَّة فَصِيحَة، وأَصلُها: أيُّ شيءٍ. تهذيب اللُّغة (١١/ ٤٧)، فقه اللُّغة (ص١٢٩٨)، تاج العروس (٣١/ ٣٩٠).

. . . .

وافداً، وسمع النَّبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية، فظَنَّ أنَّه المَعنيُّ، وقال: لَسْنَا نَعبُدُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»(١)، وليس معناها أنَّهم يَسجُدُون لهم من دون اللَّه؛ بل هو اتِّباعٌ في التَّحليل والتَّحريم.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ففي هذا: بيان التَّوحيد وتفسيره، وهو أنَّ اتِّخاذَ إنسان شخصاً يُحِلُّ ما أحلَّ، ويُحَرِّم ما حَرَّم، من غير دليلٍ من اللَّه ولا برهان؛ بل بمُجَرَّد التَّعصُّب والهَوَى والجهل، أنَّه يكون مشركاً، وهذا هو الشِّرك في الطَّاعة؛ فإذا عُرِف أنَّ هذا شركٌ؛ عُرِف أنَّ إفرادَ اللَّه بالطَّاعة، وأن لا يُحَلَّل إلَّا ما حَلَّل، ولا يُحَرَّم إلَّا ما حَرَّم؛ هذا هو التَّوحيد؛ والطَّاعةُ نَوعٌ من أنواع العبادة، ومن الدَّليل على ذلك: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾، ودليلُه أيضاً: تفسيرُها لعَدِيٍّ رضي الله عنه.

الآية تفسير للتَّوحيد بالضِّدِّ

أقسام مَنْ يتَّبع غير الرَّسول ﷺ في التَّحليل والتَّحريم

والمُتَّبِعُ غيرَ الرَّسول ﷺ في التَّحليل والتَّحريم على أقسام:

- إذا اتَّبَعَ خلاف الرَّسول ﷺ، واعْتَقَد أنَّه جائز، وأنَّه مِثْلُ اتِّباع الرَّسول ﷺ وأَوْلَى؛ فهذا لا شكَّ أنَّه شرك في الطَّاعة أكبر، ناقل عن المِلَّة.

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب تفسير القرآن، بابٌ ومن سورة التَّوبة، رقم (٣٠٩٥).

. . . .

- وأمَّا إن اتَّبعَه، ولكن أَقرَّ أنَّه مُخالِفٌ لِمَا جاء به الرَّسول ﷺ، واعْتَرَف أنَّه عاصٍ؛ فهذا ليس شركاً أكبر؛ بل حرام.

- وأمَّا مَنِ اتَّبعَه وهو يحسب أنَّه حَقٌّ؛ فهذا له أجر اجتهاده، ولكن هذا ينقسم إلى قسمين:

- قسم يمكنه الوصول إلى معرفة الحَقِّ؛ فهذا إنْ أَخْلدَ إلى أرض الكسل فهو ملوم.

- وإن كان لا يُحسِن؛ فعليه شيء آخر، وهو سؤال أهل العلم.

الحاصل من آيات الباب الثَّلاث الأُوَل

فعَرَفْنَا من الآيات الكريمات الثَّلاث - آية الإسراء، والزُّخرف، وبراءة - ثلاثة أمور؛ كلٌّ واحد يُنافي التَّوحيد، وأنَّها شرك، وأنَّ التَّوحيد ضِدُّها:

أحدها: دعاء الأولياء والصَّالحين، فهذا شركٌ، ضِدُّه التَّوحيد.

والثَّاني: عدم البراءة من المعبودات التي تُعبَد من دون اللَّه، فهذا مُنافٍ للتَّوحيد.

والثَّالث: طاعة الأحبار والرُّهبان في التَّحليل والتَّحريم، ويَرَى أنَّه في ذلك مُصِيبٌ، فهذا شركٌ في الطَّاعة؛ مُنافٍ للتَّوحيد.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ الآيَةَ.

ثلاثة أصول منافية للتَّوحيد

فهذه ثلاثة أصول، كلٌّ واحدٍ منها مُنافٍ للتَّوحيد بالكلِّيَّة؛ فالأوَّلان لا تفصيل فيهما، وأمَّا الثَّالث ففيه تفصيل؛ فلا يكون خارجاً عن الملَّة إلَّا أنْ يعلم أنَّهم بدَّلوا دين اللَّه فيتَّبعهم على هذا التَّبديل، ويعتقد ذلك، أمَّا إن كان اعتقاده بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً لكن أطاعهم في معصية اللَّه؛ فهذا له حكم أمثاله من أهل الذُّنُوب.

وحينئذٍ يكون التَّوحيد:

- دعوة اللَّه وحده.
- وموالاة اللَّه وحده وإفراده بها، والبراءة ممَّا يُدعَى دونه.
- وأن لا يُطاع في التَّحليل والتَّحريم إلَّا اللَّه، بما جاء به الرَّسول ﷺ.

فيُفيدُ: أنَّ الخصالَ التي ذمَّ اللَّه في الآيات شرك، وأضدادَه توحيد.

فعرفت تفسير التَّوحيد، وأنَّ هذا تفسير بأشياء تُنافي التوحيد.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾) «مِنْ» للتَّبعيض، أي: فريق من النَّاس.

(﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ الآيَةَ) هذا خبرٌ مُرادٌ به الذَّمُّ والعَيْبُ والشَّيْنُ لهذا الفريق.

. . . .

معنى الأَنْدَاد

والأنداد: جمع نِدٍّ، والنِّدُّ معناه: المِثْل والشَّبيه[١]؛ يقال: فلانٌ نِدُّ فلان، أي: مِثْلُه وشَبِيهُه.

فالأنداد جاء تفسيره بالأمثال، وجاء تفسيره بالأضداد، فإنَّه يُطلَق على هذا تارة وهذا تارة، مثل الطِّبِّ يُطلَق على البُرْءِ وعلى الدَّاء.

واتِّخاذهم للَّه أنداداً في ماذا؟

اتَّخذُوهُم أنداداً في المَحَبَّة المُختصَّة

بَيَّنه في قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ يعني: يُسوُّونَهم مع اللَّه في المَحَبَّة المُختصَّة الدِّينيَّة، المقتضية للتألُّه والذُّلِّ والخضوع والعبادة والطَّاعة، والتَّشريك فيها هو الذي اعترف به المشركون وهم في أطباق[٢] الجحيم؛ أنَّهم صاروا بسببه في الجحيم، حيث قالوا: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وليس المراد التَّسوية في الخَلْقِ والتَّدبير؛ بل في هذه المَحَبَّة، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

المَحَبَّة قسمان

والمَحَبَّة مَحبَّتان: مُختصَّة، وطبيعيَّة:

القسم الأوَّل: المَحَبَّة الطَّبيعيَّة

فالطَّبيعيَّة العامَّة ليست من العبادات في شيء؛ كمَحَبَّة الطَّعام والشَّراب، والحلوى والعسل؛ ولهذا في الحديث: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ

(١) لسان العرب (٣/ ٤٢٠).
(٢) أي: دَرَكات. تهذيب اللُّغة (١٠/ ٦٥).

. . . .

دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ»[١]؛ هذه ليست من العبادة في شيء.

القسم الثَّاني: المَحَبَّة المُختصَّة

إنَّما التي هي من العبادة؛ بل من أخصِّ أنواع العبادة، هي المَحَبَّة الدينيَّة المُختصَّة المقتضية للتألُّه والذُّلِّ والخضوع والتَّعظيم، فإنَّ هذه المَحَبَّة أحد ركني العبادة، فإنَّ العبادةَ مدارها على هاتين العبادتين: غاية المَحَبَّة، وكمال الذُّلِّ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ القُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ لَا بِالهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

إلى أن قال[٣]:

لَيْسَ العِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ المَحَبْـ ـبَةِ مَعْ خُضُوعِ القَلْبِ وَالأَرْكَانِ

تعاريف العبادة

وهذا أحد تعاريف العبادة؛ فإنَّ العبادةَ لها تعاريف:

- منها: أنَّها اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحِبُّه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظَّاهرة[٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢٢٩٤)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) في نُونيَّته - الكافية الشَّافية - (ص٣٥).
(٣) (ص٢٢١).
(٤) العبوديَّة (ص٤٤)، الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٢٣٠).

. . . .

- ومنها: أنَّها امتثال ما أمر اللَّه به على أَلْسُن رُسُله؛ من فِعْلِ ما أَمَرَ به، وتَرْكِ ما نهى عنه[(١)].

- ومنها ما عند الفقهاء: أنَّها ما أُمِر به شرعاً، من غير اقتضاءٍ عقليٍّ، ولا اطِّرادٍ عرفيٍّ[(٢)].

يعني: من غير أن يدخله عقل أو عُرْفٌ - يعني: مَحْض تشريع -.

«عُرفيٌّ» كقوله: العُرْف كذا وكذا، والعُرْفُ يُعمَل به إذا لم يُوجَد سِواه؛ ومرادهم بالعُرْفِ عامٌّ.

- ومنها: ما حَدَّه ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا - فيكون هذا التَّعريف رابعاً -، وحاصله: أنَّ عبادةَ اللَّه: غاية الحُبِّ مع غاية الذُّلِّ.

منشأ الحبِّ والذُّلِّ من أَصلَيْن عَظيمَيْن

ثمَّ هاتان القاعدتان مَنشؤُهُما من أصلين عظيمين:

أحدهما: مطالعة مِنَّة الرَّبِّ.

والثَّاني: مطالعة عيب النَّفس؛ فإنَّ العبد إذا عَرَف نفسه أنَّها

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٢٣٠).

(٢) الفروع (١/ ١٦٣)، التَّحبير شرح التحرير (٢/ ١٠٠١)، الرَّوض المربع (١/ ٦٦)، الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٢٣٠).

. . . .

محَلُّ كلِّ سُوءٍ وجهل؛ فإنَّه يَذِلُّ - إذا عَرَف أنَّ هذه مكانته مع ربِّه نشأ غاية الذُّلِّ -.

سيِّد الاستغفار مُشتملٌ على هذين الأَصلَيْن

وهذان الأصلان هما المذكوران في سَيِّد الاستغفار: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

«أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ»: هذا نشأ عنه غاية الحُبِّ.

«وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي»: هذا ينشأ عنه كمال الذُّلِّ.

ولهذا صار هذا الدُّعاء سيِّد الاستغفار؛ لاشتمالِه على هذين الأصلَيْن، النَّاشئ عنهما القاعدتان.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

ومقصود المُصَنِّف: أنَّ مَنِ اتَّخذ مع اللَّه نِدّاً، يُحِبُّه مع اللَّه مَحَبَّة مُختصَّة؛ أنَّ ذلك شرك مُنافٍ للتَّوحيد، فإذا كان هذا شركاً؛ عُرِف أنَّ التَّوحيدَ ضدُّه، وهو: أن يُحِبَّ اللَّه وحدَه المَحَبَّة المُختصَّة المقتضية كمال الذُّلِّ والخضوع؛ فبذلك ظهر

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الدَّعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم (٦٣٠٦)، من حديث شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه.

. . . .

معنى التَّوحيدِ وتفسيرُه، وشهادةِ أن لا إله إلَّا اللَّه.

الحاصل من نصوص الباب السَّابقة في تفسير التَّوحيد بضِدِّه

والمقصود والشَّاهد للتَّرجمة: أنَّ هذه الآيات أفادت أصولاً؛ كلٌّ منها شركٌ ويُنافي التَّوحيد، وهي:

- دعاء الأولياء والصَّالحين.

- كما أنَّ عدمَ البراءة ممَّا يُعبَد من دون اللَّه يُنافي التَّوحيد.

- وكما أنَّ طاعةَ البعض في مخالفة ما جاء به الرَّسول ﷺ؛ أَمرٌ يخالف التَّوحيد.

- ومَحَبَّة غير اللَّه مع اللَّه.

فإذا عُرِف أنَّ كلَّ واحدٍ منها شرك؛ عُرِف التَّوحيد ما هو، وأنَّه:

- أن لا يُدعَى إلَّا اللَّه.

- وأن يُتَبَرَّأ من أُلوهيَّة غير اللَّه.

- وأن لا يُطاع في التَّحليل والتَّحريم إلَّا اللَّه؛ بواسطة بيان الرَّسول ﷺ في السُّنَّة.

- وأن لا يُحَبَّ المَحَبَّة المُختصَّة إلَّا اللَّه وحده.

وبهذا يظهر لك تفسير التَّوحيد إذا عَرَفْنَا أن هذه الأربع تُنافي

. . . .

التَّوحيد، وقد تقدَّم لك[١]: أنَّ أَحدَ تفاسير الشَّيء بضدِّه.

وهنا أصل خامس كذلك يُنافي التَّوحيد، ويُعرَف به حقيقة التَّوحيد، وهو ما ذكره المُصَنِّف في الحديث الذي في الصَّحيح، وهو قوله ﷺ: (**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...**) إلخ، فهذا من تفسير التَّوحيد ببيان معناه، لا بالمعنى الآخر[٢] - كما يأتي -.

(١) (ص٣٢٠).
(٢) وهو تفسير الشَّيء بضدِّه.

فِي الصَّحِيحِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ».

الحديث تفسير للتَّوحيد ببيان معناه بأمرين

(فِي الصَّحِيحِ[1]: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يعني: عالماً بمعناها نفياً وإثباتاً، فإنَّها لا تقال إلَّا عن معرفة واعتقاد وعملٍ بها؛ فإنَّ الذي يقولها في زمن النَّبيِّ ﷺ قبل وجود النِّفاق لا يقولها إلَّا عن صدقٍ وعملٍ بما دلَّت عليه من النَّفي والإثبات.

الأمر الأوَّل: قول: «لا إله إلَّا اللَّه» عن علم بمعناها وعمل بها

(وَ) ضَمَّ إلى ذلك أمراً آخر، وهو أنَّه (كَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعني: اعتقد أنَّ عبادة غير اللَّه هي الكفر والضَّلال، وما يكفي اعتقاد أنَّها ما تجوز؛ بل لا بُدَّ أن يُصَرِّح بالكفر بها.

الأمر الثَّاني: الكفر بما يُعبَد من دون اللَّه

تكفير المشركين من لازم الكفر بما يُعبَد من دون اللَّه

ويلزم من ذلك تكفير المشركين بعدما تقوم الحُجَّة الرِّساليَّة، وإلَّا لم يكن مسلماً، فإنَّ الملزوم ينتفي بانتفاء اللَّازم، فمَنْ لم يُكَفِّرهم فهو كافر لانتفاء الملزوم.

حُكْمُ مَنْ قال «لا إله إلَّا اللَّه» وكفَرَ بما يُعْبَد من دون اللَّه في الدُّنيا والآخرة

(حَرُمَ مَالُهُ) يعني: هذا ما يعامل به شرعاً في الدُّنيا؛ عصمة ماله، (وَدَمُهُ) وكذلك عِصْمَة الدَّم، فقد حَقَنَ دمه وعَصَمَه بقوله: «لا إله إلَّا اللَّه»، والكفر بما يُعبَد من دون اللَّه.

(وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ») يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه مُحمَّد رسول اللَّه، رقم (٢٣)، من حديث طارق بن أَشْيَم رضي الله عنه.

. . . .

وأمَّا في الدُّنيا فإنَّها تَثْبُت له أحكام المسلمين، وأمَّا في الآخرة فقال: (وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ)، هو الذي يطَّلع على السَّرائر؛ فإنْ كان باطنه مطابقاً لظاهره فهو من المسلمين، وإلَّا فهو من جملة المنافقين.

ستَّة أمور موجبة للعِصمة في الظَّاهر

يعني: إن كان صدور ذلك منه لَفْظاً، ومعرفةً للمعنى، واعتقاداً له، وعملاً به، واعتقاد أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر، وتكفيره عَبَدةَ غير اللَّه، هذا يعصم دمه وماله في الظَّاهر، والباطن لا يعلمه إلَّا اللَّه؛ سِتَّة أمور[1] مَنْ أتى بها في الظَّاهر فقد أتى بما يَعْصِم دمه وماله، فإن كان مُطابِقاً ظاهرُه باطنَه مُنِعَ أيضاً عن دخول النَّار، وأمَّا باطنه إن كان مخالفاً لظاهره فحُكمُه حُكمُ المنافقين الذين حصل لهم عِصْمَة الدَّم والمال، وفي الآخرة يكون من حزب إبليس، في الدَّرك الأسفل من النَّار، من الخالدين المُخلَّدين فيها.

عصمة الدَّم والمال تكون بشرطين

في هذا الحديث أنَّ تحريم الدَّم والمال مشروطٌ بشرطين:

الأوَّل: قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

الثَّاني: الكفر بما يعبد من دون اللَّه.

(١) أي: هذه ستَّة أمور؛ وهي التي ذكرها بقوله: «إن كان صدور ذلك منه لفظاً...».

. . . .

فإنَّ النَّبيَّ ﷺ شَرَط هذين الشَّرطين، ولهذا قال المُصنِّف[١]: (**فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِماً لِلدَّمِ وَالمَالِ؛ بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا؛ بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ؛ بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**)، فلو قال: «لا إله إلَّا اللَّه» بلسانه، ولكن ما اعتقدها ولا فهمها؛ لم يحرم بذلك ماله ودمه.

بل لو اعتقدها، ولا قالها، ولا عمل بمقتضاها؛ لم يكن قائلاً: «لا إله إلَّا اللَّه»[٢].

بل لو قالها واعتقدها، ولكن ما عمل بها؛ فإنَّه لا يصير قائلاً: «لا إله إلَّا اللَّه».

بل لو قالها بلسانه، واعتقدها بجنانه، وعمل بأركانه؛ لم يكن بذلك قائلاً: «لا إله إلَّا اللَّه» حتَّى يأتي باللَّازم؛ وهو الكفر بما يُعبَد من دون اللَّه.

حقيقة الكفر بما يُعْبَد من دون اللَّه

والكفر بما يُعبَد من دون اللَّه هو: أنْ يعتقد أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر والضَّلال؛ ولهذا قال المُصنِّف[٣]: (**بَلْ لَا يُحَرِّمُ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**).

---

(١) في مسألة هذا الباب (ص٣٤٩).

(٢) لا لفظاً ولا حقيقةً.

(٣) في مسألة هذا الباب.

. . . .

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فالمطابقة أنَّه ما اكتفى فيه - في عصمة الدَّم والمال - بقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ بل لا بُدَّ من الكفر بما يُعبد من دون اللَّه، وهذا من تفسير التَّوحيد ببيان معناه.

تكفير المشركين شرط العِصْمَة

ثمَّ يلزم من ذلك: تكفير المشركين بعدما تقوم الحُجَّةُ الرِّساليَّة عليهم؛ فإنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» عالماً عاملاً، واعتقد أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر، ولكن ما كفَّر العاملين بهذا الكفر، فهذا لا يصير معصوم الدَّم والمال؛ فإنَّ مِن لازم الإتيان بالكفر بما يُعْبَد من دون اللَّه: أن يُكَفِّرَهم، فمَنْ لم يُكفِّرهم دَلَّ على انتفاء المَلْزُوم، ولو على سبيل التَّورُّع؛ ولهذا قال المُصَنِّف[1]: (**فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ؛ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ**)، وقول المُصَنِّف دالٌّ عليه هذا الحديث، فإنَّ المُتردِّد ما كَفَّر وجَزَم؛ بل مُتردِّد، وتوقُّفه[2] ظاهرٌ في كونه ما يرى أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر، إذ المَلْزُوم ينتفي بانتفاء اللَّازم، إذ هذه الأمور ليست كلاماً لَفْظيّاً؛ بل يترتَّب عليها ملزوماتها، وذلك بعد قيام الحُجَّةِ الرِّساليَّة عليه.

التَّوقُّف عن تكفير المشركين يلزم منه أنَّ عبادةَ غير اللَّه ليست كفراً

التَّكفير مشروط بقيام الحُجَّة

فَهْمُ الحُجَّة ليس شرطاً

وليس فَهْمُ الحُجَّة شرطاً؛ بل إذا وُضِّح وبُيِّن ما يكفي في

(١) في مسألة هذا الباب.

(٢) أي: توقُّف العبد عن تكفير المشركين.

. . . .

دلالة اللَّفظ على المعنى فيكفي، ولا يحتاج أن يدخل في قلبه ذلك.

لا يُكفَّر المُعيَّن فيما يخفى دليله بخلاف ما دليله واضح

وقد ظَنَّ بعض النَّاس أنَّ الشَّيخَ[١] لا يُكَفِّر المُعَيَّن، وليس كذلك؛ بل مراده: الذي يخفى دَليلُه؛ أمَّا[٢] التي دليلها واضح؛ فلا يُتَصَوَّر فيه هذا التَّقدير[٣].

مَنْ أظهر الإسلام يَبقى مُطالَباً بشرائع الإسلام

ونَعْرِفُ أنَّه لا ينفي أن يَبقى مُطالَباً بشرائع الإسلام من الصَّلاة ونحو ذلك، فإنَّ هذا يكفي في أصل الإسلام، ويَبقى مُطالَباً بحقوق الإسلام؛ ولهذا تقدَّم في حديث عليٍّ رضي الله عنه[٤]: (**وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ**)، فإنْ لم يَقُمْ

---

(١) أي: شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله.

(٢) أي: المسألة.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: «وإذا كان في المقالات الخفيَّة فقد يقال: إنَّه فيها مُخطِئٌ ضالٌّ، لم تَقُمْ عليه الحُجَّة التي يُكفَّر صاحبُها؛ لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظَّاهرة التي يَعلم الخاصَّة والعامَّة من المسلمين أنَّها من دين المسلمين؛ بل اليهود والنَّصارى والمشركون يعلمون أنَّ مُحمَّداً ﷺ بُعِثَ بها وكَفَّر مَنْ خالفها، مثل: أمره بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى اللَّه من الملائكة والنَّبيِّين وغيرهم، فإنَّ هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل: معاداة اليهود والنَّصارى والمشركين، ومثل: تحريم الفواحش، والرِّبا، والخمر، والميسر، ونحو ذلك» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٨/ ٥٤).

(٤) (ص٣٠٣).

. . . .

بها قُتِل مُرتدّاً، وفي الحديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(١)، أو قال: «إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(٢)، والأحاديث في هذا المعنى(٣)، وأنَّ مَنْ دخل في الإسلام إنْ قام بها فذاك، وإلَّا فيبقى مُطالَباً.

حاصل ما تقدَّم

فالحاصل: أنَّنا عَرَفْنَا أربعة أمور من الآيات تُنافي التَّوحيد، وأنَّها شِرك، وأنَّ التَّوحيدَ ضِدُّها:

فدعاء الصَّالحين شركٌ مُنافٍ للتَّوحيد، والتَّوحيدُ أنْ يُدْعَى اللَّه وحده(٤).

والثَّاني: أنَّ مَنْ لم يَتبرَّأ من أُلوهيَّة غير اللَّه فهو مشرك، والتَّوحيدُ: إفراد اللَّه بالأُلوهيَّة، والبراءة من أُلوهيَّة ما سواه.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم (١٣٩٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتَّى يقولوا: «لا إله إلَّا اللَّه، مُحمَّد رسول اللَّه»، رقم (٢١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللَّفظ لمسلم.

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩٥)، واللَّفظ المذكور للبُخاريِّ.

(٣) أي: كثيرة؛ منها: حديث عُبادَة رضي الله عنه الذي تقدَّم ذكره (ص٢٢١) في باب: «فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ».

(٤) هذا الأمر الأوَّل.

. . . .

والثَّالث: بيان أنَّ إفراد اللَّه بالطَّاعة توحيد، كما أنَّ اتِّباع الغير في الطَّاعة شرك.

والرَّابع: أنَّ المَحَبَّة المُختصَّة عبادة، وهي إحدى القاعدَتَيْن اللَّتَيْن عليهما مدار العبادة، واتِّخاذ الأنداد من دون اللَّه شرك مُنافٍ للتَّوحيد بالكُلِّيَّة.

وعَرَفْنَا من الحديث: أنَّ مَنْ نطق بها[1] على الوجه الذي ينطق به مَنْ كان في زمنه ﷺ؛ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، وكفر بما يُعبَد من دون اللَّه - أي: اعتقد أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر والضَّلال -، وكَفَّر مَنْ عَبَد غير اللَّه؛ حَرُم مَالُه ودَمُه في الدُّنيا، وحسابه على اللَّه في الآخرة.

---

(١) أي: بـ«شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه».

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

سبعة أمور تُبَيِّن أنَّ جميع الأبواب الآتية تفسير للتَّوحيد

وقول المُؤَلِّف: (وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ) يعني: جميع الأبواب الآتية كلِّها في بيان التَّوحيد، وتفسيرٌ له، وبيان حقيقته.

الأوَّل: أنَّ فيها أنواع التَّوحيد الثَّلاثة

فمنها: ما هو في أنواع التَّوحيد الثَّلاثة.

الثَّاني: أنَّ فيها أبواباً في بيان أشياء من الشِّرك الأكبر

ومنها: ما هو في بيان أشياء من الشِّرك الأكبر؛ فإذا عُرِف أنَّ هذه الأنواع شركٌ؛ عُرِف أنَّ التَّوحيدَ ضدُّ ذلك؛ وهو أن لا يَذْبَحَ إلَّا للَّه، ولا يَسْتَعِينَ إلَّا باللَّه، ولا يَسْتَغِيثَ إلَّا باللَّه، ولا ينذرَ إلَّا للَّه، ونحو ذلك.

الثَّالث: أنَّ فيها أبواباً في بيان أشياء من الشِّرك الأصغر

ومنها: ما هو في بيان أشياء من الشِّرك الأصغر، فإذا عُرف أنَّه من الأصغر؛ عرف أنَّ مقابله من التَّوحيد الواجب.

الرَّابع: أنَّ فيها أبواباً في بيان وسائل الشِّرك

وكذلك فيما يأتي أبوابٌ فيها بيانُ أشياء من وسائل الشِّرك القَوليَّة والفعليَّة، المُوصِلَة إليه والمُقرِّبة منه، فيكون اجتِنابُها من أسبابِ اجتناب ما يُضادُّ التَّوحيد.

الخامس: أنَّ فيها بيان أشياء من البدع

وأشياء من البِدَع، ممَّا يقدح في التَّوحيد، وأنَّ سلامته من القادح كمال للتوحيد.

السَّادس: أنَّ فيها أبواباً في بيان الكبائر

ومنها: ما هو من الكبائر المُغَلَّظ فيها، المُتوعَّد على مرتكبها؛ ليكون تنبيهاً بالأدنى على الأعلى، فإذا كان هذا في الكبائر؛ فإنَّه في الشِّرك أعظم؛ وبذلك يُعرَف أنَّ كمالَ التَّوحيد أنْ يَسْلَم منها.

. . . .

السَّابع: أنَّ فيها أبواباً في بيان المعاصي

ومنها: ما هو مُنْقِصٌ للتَّوحيد؛ كالمعاصي، فإذا كانت تَنقُص التَّوحيد؛ علمنا أنَّ كمالَه بتركها.

ذكر المُصَنِّف معاصي الشُّبهات لأنَّ لها خُصوصيَّة في القدح في التَّوحيد

ونَعرِفُ أنَّ المُصَنِّف ما ذكر الخَمْر ونحوه؛ بل ذكر معاصي - جنساً آخر -، وهي من جانب الشُّبهة، ونَكْتُها[1] في القلب أَخصُّ، فيكون لها خُصوصيَّة في القدح في التَّوحيد أَعظم من تلك.

المعاصي قِلَّةً وكثرةً تُبَرْهِن على قوَّة التَّوحيد وضَعْفِه

والمعاصي في العبد - قلَّةً وكثرةً - تُبَرْهِن عن توحيده؛ فإنَّ التَّوحيدَ هو أصل الإيمان، فإنَّ وجودها وكثرتها هي على حسب قوَّة الإيمان في القلب، فإذا قلَّت دلَّت على قوَّته، وإذا كَثُرَتْ دلَّت على ضعفه.

البِدَع قَدْح في التَّوحيد والقَدْح أبلغ من التَّنقيص ودليل ذلك

والقَدْحُ أغلظُ من التَّنقيص[2]، الدَّليل على ذلك: أنَّ الحاملَ على البِدَع هو الشُّبُهات، والحامل على المعصية هو الشَّهوة، كما في قصَّة آدم.

وحال أهل البِدَع أعظم من حالِ مَنْ كان على المعاصي؛ فإنَّ العاصي يندم كآدم، والمبتدع يرى أنَّه على صواب.

---

(١) أي: تأثيرها، مِن نَكَتَ الأرض بقضيب: إذا أثَّر فيها بطرفه. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٣).

(٢) أي: أنَّ قَدْحَ البِدَع في التَّوحيد أغلظ من تنقيصه بالمعاصي.

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا؛ وَهِيَ:

تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ:

مِنْهَا: آيَةُ الإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

مسألة الباب أكبر المسائل وأهمُّها

(فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ) الأبواب السَّابقة يقول «فيه مسائل»، وهذا الباب ليس فيه إلَّا واحدة، أمَّا ما عداه ففيه مسائل عديدة.

(وَأَهَمُّهَا) كونها أهمَّها؛ لأنَّ التَّوحيدَ هو المِحْور، وهو الأصل.

تفسير التَّوحيد والشَّهادة بخمسة أمور

(وَهِيَ: تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ) شهادة أنْ لا إله إلَّا اللَّه، (وَبَيَّنَهَا) وبَيَّن كلمة التَّوحيد وشهادة أنْ لا إله إلَّا اللَّه (بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ):

الأمر الأوَّل: أنَّ دعاء الصَّالحين شرك أكبر فالتَّوحيد ضدُّه

(مِنْهَا) من أعظمها: (آيَةُ الإِسْرَاءِ؛ بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا) - يعني: دعوة الأولياء والصَّالحين - (هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ)، وإذا عَرَفْنَا أنَّ دعاءَ الصَّالحين هو الشِّرك؛ عَرَفْنَا التَّوحيد وهو شهادة أنْ لا إله إلَّا اللَّه - أن لا يُدْعَى إلَّا اللَّه وحده -، فهو مَعروفٌ بمعرفة الضِّدِّ.

وَمِنْهَا: آيَةُ ﴿بَرَآءَةٌ﴾؛ بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

الأمر الثَّاني: إذا كانت طاعة الغير في التَّحليل والتَّحريم شركاً فالتَّوحيد طاعة اللّه

(وَمِنْهَا) يعني: من الأمور التي تُفسِّر التَّوحيد وتُوضِّحُه: **(آيَةُ ﴿بَرَآءَةٌ﴾؛ بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ)** علماءهم، **(وَرُهْبَانَهُمْ)** عُبَّادهم **(أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)**.

(وَبَيَّنَ) تعالى **(أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً)** لكن عَمَدوا إلى خلاف ما أُمِروا به، وارتكبوا عين ما نُهُوا عنه؛ أُمِروا بأن لا يعبدوا إلَّا إلهاً واحداً، فعبدوا آلهة حَلَّلوا لهم الحرام فاتَّبعُوهم، وحَرَّموا عليهم الحلال فاتَّبعُوهم.

الدَّليل على أنَّ المراد من اتِّخاذهم الأحبار والرُّهبان آلهة هو شرك الطَّاعة

(مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ) كما في حديث عَدِيِّ بن حاتم رضي الله عنه؛ فإنَّ عَدِيّاً قال: «لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ».

وإنَّما قال المُصَنِّف: **(مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا...)** إلخ؛ لأنَّه الذي فَسَّرها النَّبيُّ ﷺ به.

فبهذا عَرَفْنَا أنَّ طاعةَ الغير في خلاف الشَّرع مع علم الشَّخص أنَّه خلاف الشَّرع أنَّه شرك؛ فالتَّوحيد هو: طاعة اللَّه؛ بإحلال ما حَلَّل، وتحريم ما حَرَّم.

وَمِنْهَا: قَوْلُ الخَلِيلِ عليه السلام لِلْكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُودِينَ رَبَّهُ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ وَهَذِهِ المُوَالَاةَ هِيَ: تَفْسِيرُ شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وَمِنْهَا: . . . .

الأمر الثَّالث: البراءة من معبودات المشركين وموالاة اللَّه وحده توحيد

(وَمِنْهَا: قَوْلُ الخَلِيلِ عليه السلام لِلْكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُودِينَ رَبَّهُ).

(وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ) الصَّادرة من إبراهيم عليه السلام (وَهَذِهِ المُوَالَاةَ هِيَ: تَفْسِيرُ شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) ومن المعلوم عند جميع المُفسِّرين أنَّ الضَّميرَ في (﴿جَعَلَهَا﴾) عَائدٌ على «لا إله إلَّا اللَّه»[(١)]، فعُلِم أنَّ قولَه: (﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾) هو تفسير شهادة أنْ لا إله إلَّا اللَّه.

كلمة التَّوحيد مُشتملة على نفي وإثبات وولاء وبراء

فإنَّ هذه الكلمة هي نفي وإثبات، وولاء وبراء.

فالولاء معنى: «إلَّا اللَّه»، والبراء معنى: «لا إله».

الأمر الرَّابع: المساواة مع اللَّه في المَحبَّة شركٌ والتَّوحيد مَحبَّة اللَّه وحده

(وَمِنْهَا) ومن الأمور التي تُوضِّحُ لك وتُفسِّر معنى التَّوحيد

---

(١) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/٥٧٦)، تفسير البغوي (٤/١٥٨)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

آيَةُ البَقَرَةِ، فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبّاً عَظِيماً، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟! فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ؟!

مَنْ أحبَّ مع اللَّه غيره لم يدخل في الإسلام

والشَّهادة: **(آيَةُ البَقَرَةِ)** - في الأنداد - **(فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ)** معبوداتهم من دون اللَّه **(كَحُبِّ اللَّهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبّاً عَظِيماً)** - ولكنَّهم أَحَبُّوا معه غيره المَحَبَّة الشِّركيَّة -، **(وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟!)** فإذا كان مَنْ أحبَّ اللَّه هذه المَحَبَّة العظيمة لم تُدخلْه في الإسلام، وأنَّه من أهل النَّار، فكيف بمَنْ كانت مَحَبَّته لنِدِّه أعظم من مَحَبَّتِه للَّه؟! فهو أَوْلَى بدخول النَّار، وعدم دخوله الجَنَّة.

مَنْ أَحبَّ النِّدَّ وَحدَه أَوْلَى بعدم الدُّخول في الإسلام

(فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ؟!) فهذا أَوْلَى وأَوْلَى، فإنَّ هذا موجود، وإذا أَردْتَ أن تعرفَه فحَلِّفْه بنِدِّه، فإنَّه لا يحلف وهو كاذب، ولو أَردْتَ أن يَحْلِفَ لك الآلاف من الأَيْمَان باللَّه لأعطاك ما شِئْتَ، فدلَّ على: أنَّ لو إنساناً يعبد اللَّه العبادات العظيمة؛ فإنَّها لا تنفعه إذا أشرك في المَحَبَّة، أو غيرها.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»،

الأمر الخامس: كلمة التَّوحيد لا تعصم الدَّم والمال حتَّى يُضمَّ إليها الكفر بما يُعبَد من دون اللَّه

(وَمِنْهَا) ومن الأمور التي تُوَضِّحُ لك التَّوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا اللَّه: (قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) معناه: نَطقَ بها، عارفاً لمعناها، مُقِرّاً به، مُوَحِّداً؛ لأنَّ مَنْ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه» في زمن النَّبيِّ ﷺ قبل وجود النِّفاق لا يقولها إلَّا عارفاً مُقِرّاً؛ فإنَّ النَّاسَ قسمان: كفَّار، ومسلمون، فمِنْ قائلٍ عامل، ومِنْ تاركٍ كافر.

والنَّبيُّ ﷺ لم يَقلْ: مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» حَرُم مالُه ودمُه؛ بل قال: (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) معناه: اعتقاد أنَّها كفر، لا يكفي أنَّها غلط، وأنَّها خطأ، وأنَّها لا تنبغي؛ بل ولا أنَّها ضلال؛ بل حتَّى يَكْفُر بما يُعبَدُ من دون اللَّه؛ شخصٌ لا يَكْفُر بما يُعبَد من دون اللَّه؛ لا يختلف أهل العلم أنَّه كافر[1]، ولو أَقرَّ وعمل؛ بل لا بُدَّ من اعتقاد أنَّ عبادته هي الكفر، وإلَّا ليس بمسلم.

أَجْمَعَ العلماء على أنَّ مَنْ لم يَكفُر بما يُعْبَد من دون اللَّه فليس مسلماً

(حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ) هذا حكم الظَّاهر.

(وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ») أمَّا ما بينه وبين ربِّه فلا مدخل لنا بينه وبين ربِّه.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٣٦٨)، الرَّوض الباسم لابن الوزير (٢/ ٥٠٩).

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِماً لِلدَّمِ وَالمَالِ؛ بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا؛ بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ؛ بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ بَلْ لَا يُحَرِّمُ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، . . . .

أربعة أمور لا تكفي وحدها في العِصمة

(وَهَذَا) الحديث **(مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»)** ويُفَسِّر التَّوحيد؛ **(فَإِنَّهُ)** يعني: النَّبيَّ ﷺ:

(لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ) وحده **(بِهَا)** بـ«لا إله إلَّا اللَّه» **(عَاصِماً لِلدَّمِ وَالمَالِ)**.

(بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا) يعني: ومعرفة المعنى مع ذلك لا يكفي.

(بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ) بل ولو أضاف إلى ذلك الإقرار.

(بَلْ وَلَا كَوْنَهُ) مع ما ذُكِر **(لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)** بل حتَّى ولو أضاف إلى ذلك العمل بذلك؛ بأن يُوَحِّد ربَّ العالمين، ولا يدعو إلَّا اللَّه.

لا يحرم دمه وماله حتى يُضَمَّ إلى الأمور الأربعة الكفر بما يُعبَد من دون اللَّه

كلُّ هذه الأمور الأربعة لا تكفي؛ **(بَلْ لَا يُحَرِّمُ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ)** يعني: حتَّى يَضُمَّ إلى ما تقدَّم أمراً آخر وهو: **(الكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ)** وهو المذكور في قوله: (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ؛ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ . . . .

يلزم من الكفر بما يُعْبَد من دون اللَّه تكفير المشرك بعد قيام الحُجَّة

ونَعرِفُ أنَّه يلزم من ذلك: تكفير المشركين، وإلَّا فلا يَحرُم مالُه ودَمُه، والمراد: يُكفِّره بعدما يُبَيِّن له.

مَنْ شَكَّ في تكفير المشرك كَفَر

(فَإِنْ شَكَّ) يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، ويُقِرُّ به، ويعمل، ويعبد اللَّه، ولكن الذين يعبدون مع اللَّه غيره شكَّ(١)، لا يقول: إنَّهم على حَقٍّ؛ بل حتَّى ولو شَكَّ على سبيل التَّورُّع.

(أَوْ تَوَقَّفَ) توقَّف في كُفرِه؛ ولو تَوَرُّعاً.

والتَّورُّع عن إبطال الباطل نظير التَّورُّع عن إحقاق الحَقِّ؛ فإنَّه لا يتمُّ إحقاق الحَقِّ لشخصٍ حتَّى يَكْفُر بالباطل.

مَنْ لم يُكفِّر المشرك أو تَوَقَّف في كُفْره أو تَوَقَّف في أنَّ ذلك هو الكفر فقد كَفَر

فمَنْ لم يُكَفِّرْه فليس بمُسلِم، أو تَوَقَّف في أنَّ ذلك هو الكفر، أو في كفر عابديها؛ **(لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ)** فإنَّ هذه ليست عبثاً؛ بل هي ألفاظ لها معانٍ.

هذا الحديث دَلَّ على أنَّ هذا الشَّخص كافر؛ فالشَّخص الذي هذا دِينُه ما كَفَر بما يُعْبَد من دون اللَّه؛ لأنَّه ما اعتقد أنَّ دينَهم كُفْر.

وكذلك الذي لا يُكفِّر مَنْ عَبَدَ غير اللَّه؛ إذ لو كانت عقيدته أنَّ عبادةَ غير اللَّه هي الكفر لكفَّرهم؛ فإنَّ المَلْزُوم ينتفي بانتفاء اللَّازم.

(١) أي: في كفرهم.

فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!

منزلة هذه المسألة

(فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا) وأجلَّها!

(وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ) من النَّبيِّ ﷺ في هذا الحديث (مَا أَوْضَحَهُ!).

الرَّدُّ على مَنْ يُنكِر تكفير مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» إذا وجد منه ما ينقضها

(وَ) يا لها من (حُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!) الذي يُنكر تكفير من قال: «لا إله إلَّا اللَّه» إذا وجد منه ما ينقضها، وهذا كثيرٌ وجهلٌ، ومِن لازمه: أنَّ كلَّ فعلٍ لا يُكفِّر، وعليه: أنَّ اليهودَ مسلمون، لكونهم يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه»، وأنَّ إنكارَهم رسالة مُحمَّدٍ ﷺ لا يُكَفِّرهم.

سبب الضَّلال في هذه المسألة: الأَخْذُ بالأحاديث المُطْلَقة ورَدُّ أحاديث أخرى

وهؤلاء أخذوا بالأحاديث المطلقة، ورَدُّوا أحاديث أُخَر بالرَّأي الفاسد والكاسد[1]، وهذه الأحاديث لا تُشْكِل على مَنْ عنده أدنى فهم؛ بل عند جميع أهل العلم أنَّه موجود أناس يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه» ويُصلُّون، ومَحكُومٌ عليهم بالكفر - هذا عند أهل المذاهب - لوجود الكفر في الاعتقاد[2].



(١) الكَاسِد: الشَّيء الدُّون الذي لا يُرغَبُ فيه. مقاييس اللُّغة (٥/ ١٨٠).

(٢) الدُّرُّ المختار (٤/ ٢٢٢)، الشَّرح الكبير للدَّردير (٤/ ٣٠١)، تحفة المحتاج (٩/ ٧٩)، كشَّاف القناع (٦/ ١٦٧).

قال الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كشف الشُّبهات - نسخة الحواشي - بتحقيقنا (ص١٢١): «إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. =

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

شرح التَّرجمة

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ) يعني: الأصغر؛ فإنَّ الشِّركَ - كما تقدَّم لك[1] - شركان: أصغر، وأكبر.

أقسام الشِّرك وحكم كلِّ قسم

- فالأكبر هو: عَدْل[2] غير اللَّه باللَّه سبحانه في العبادة، وما يختصُّ به تعالى.

وحُكمُه: أنَّه يُنافي التَّوحيد بالكُلِّيَّة، ويُحبط جميع الأعمال، ويُوجِبُ لصاحبه الخلود في النَّار، ولا يُغفَر إلَّا بالتَّوبةِ منه.

- والأصغرُ - ليس كذلك - هو: ما سُمِّي في النُّصوص شركاً، ولم يَصِل إلى حَدِّ الأكبر، ويَقْصُر عن حُكْم الأكبر في أشياء:

= فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ) - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ -؟

ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ».

(١) (ص٢٧٠).

(٢) أي: مساواة. مقاييس اللُّغة (٤/ ٢٤٧).

. . . .

منها: أنَّه لا يُنافي التَّوحيد بالكُلِّيَّة؛ بل إنَّما يُنافي كمالَه الواجب.

الثَّاني: أنَّه لا يُحبِط جميع الأعمال؛ بل الذي قارنه فقط.

الثَّالث: أنَّه لا يُوجِب الخلود في النَّار، إنَّما يُعذَّب على قدر هذه الجريمة، وبعد تَمْحِيصِه في النَّار يدخل الجَنَّة بأصلِ توحيدِه.

ولا يُغفَر إلَّا بالتَّوبة.

وصَغائرُ الشِّرك أَعظمُ من كبائر الذُّنُوب.

(لُبْسُ الحَلْقَةِ) من صُفْرٍ[1] أو غيرِه، **(وَالخَيْطِ)** من شَعرٍ أو غيرِه، **(وَنَحْوِهِمَا)** كالوَدْعَة[2] والمِسْمَار والتَّمِيمَة[3]، ونحوِ ذلك ممَّا قد يُتَّخذ ويُلْبَس.

ذِكر الحَلْقة والخيط خرج مخرج الغالب

وذِكْر الحَلْقة والخيط خرج مخرج الغالب؛ لأنَّه الغالب عند أهل الجاهليَّة، فلو اعتقد في غيرها كان كذلك.

لا فَرْقَ في حكم لبس الخيط سواء كان للرَّفع أو الدَّفع

(لِرَفْعِ البَلَاءِ) يعني: لأجل رفع بلاء قد نزل بالعبد.

(أَوْ دَفْعِهِ) أو قَصْد دفع بلاء قبل نزوله.

(١) يأتي بيانها (ص٣٦٦).
(٢) يأتي بيانها (ص٣٧١).
(٣) يأتي بيانها (ص٣٧٠).

. . . .

كلُّه من الشِّرك، لا فرق، ويجمع ذلك شيء واحد؛ وهو طلبٌ من غير اللَّه فيما لا يَقْدِر عليه إلَّا اللَّه.

فإن اعتقد أنَّ هذه المذكورات سبب في إزالة البلاء بعد نزوله، أو منعه قبل نزوله؛ فهذا شرك أصغر.

وإن اعتقد أنَّها تَدفَع أو تَرفَع بذاتها؛ فهذا شرك في الرُّبوبيَّة أكبر، مُخْرِج عن المِلَّة؛ لأنَّه إثبات مُتصرِّفٍ في الكون مع اللَّه.

ما يُتَصوَّر أنَّه سبب ينقسم إلى قسمين

وتعرف أنَّ جِنسَ ما يُتَعَلَّق عليه؛ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأوَّل: لا سببيَّة فيه أصلاً

- قسم ليس فيه هذا الشَّيء الذي تَعَلَّق عليه فيه:

فهذا مع كونه شركاً فهو ضعف في العقل وسَفَه؛ كونه يتعلَّق على ما لا سببيَّة فيه أَصلاً.

القسم الثَّاني: ما فيه سببيَّة وينقسم إلى قسمين

- والقسم الثَّاني: ما فيه سببيَّة، فهذا ينقسم إلى قسمين:

قسم فيه منفعة ولكن منعه الشَّرع

قسم فيه منفعة، ولكنْ منعَه الشَّرع؛ لِمَا فيه من الضَّرر - الذي هو أكبر من هذا النَّفع - في الدِّين والاعتقاد، وقاعدةُ الشَّرع: «دَرْءُ المفاسد مُقَدَّمٌ على تحصيل المصالح»[(١)]؛ فهذا فيه سببيَّة ولكن شرك؛ مَضرَّتُه تَرْبُو[(٢)] على مَنفعتِه.

---

(١) الأشباه والنَّظائر للسُّيوطيِّ (ص٨٧).

(٢) أي: تزيد. تاج العروس (٣٨/ ١١٧).

. . . .

وكون السَّببيَّة فيه[١]، قال المُؤَلِّف[٢]: **(كَوْنُ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَصْلَحَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ؛ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ)**.

قسم فيه منفعة ولم يمنعه الشَّرع

وقسم فيه منفعة، ولا مَنَعه الشَّرع، ولا مضرَّة فيه، وهذا هو أكثر الأسباب، ورَبْطُها بالمُسبَّبات من كمال العقل، ولكن لا يعتمد عليها ذاتِها.

حاصل الأقسام

فصار معنا أقسام عديدة:

أوَّلاً: ما يُتعلَّق عليه باعتقادِ وتصوُّرِ أنَّه سبب؛ فهذا ينقسم إلى قسمين:

- قسم لا سببيَّة فيه، وهذا القِسْمُ إن اعتقد فيه بذاته فهذا نَقْصٌ في العقل والدِّين والاعتقاد، وهذا مشرك الشِّرك الأكبر، ونَاقصُ العقل والإنسانيَّة.

- والقسم الثَّاني: أن يعتقد أنَّه سبب، ولا سببيَّة فيه، ويكون شركاً أصغر.

ثانياً: ما فيه سبب؛ وهو أقسام:

---

(١) لا يدلُّ على أنَّه ليس من الشِّرك.

(٢) في المسألة الخامسة من مسائل «بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ»، المجلد الثَّاني (ص٦٠).

. . . .

- أوَّلاً: ما فيه سبب، ولكن ليس بمباح في الشَّرع، فهذا فيه مَحذورُ مخالفةِ الشَّرع، ومُنِع منه حِمْيَةً للعباد، وإرادةَ النَّفع ودفعِ الضُّرِّ عنهم.

- القسم الثَّاني: ما فيه سببيَّة، ولا مَنَعَه الشَّرع، فهذا تعاطيه على اعتقادِ أنَّه سبب، وأنَّ النَّافعَ الدَّافعَ اللَّه، فهذا حَسَن.

وإن اعتقد في هذا أنَّه يَدفَع أو يَرفَع بذاته صار شركاً.

فصار معنا ستَّة أقسام[١].

الحَلْقة والخيط ونحوهما لا سببيَّة فيهما أصلاً

وحينئذٍ تعرف مرتبة الحَلْقة والخيط ونحوهما، ولا سببيَّة فيهما أصلاً، نعم؛ تخيُّلات شركيَّة، الشَّيء يقع ابتلاء وامتحاناً، أو موافقةً؛ لِمَا في ذلك من الحكمة، ليمتاز مَنْ هو على شَفَا جُرُفٍ، ومَنْ هو على أصلٍ ويقينٍ من الدِّين.

---

(١) وهي:

١ - ما لا سببيَّة فيه، ويُعتقد أنَّه مُؤثِّر بذاته.

٢ - ما لا سببيَّة فيه، ويُعتقد أنَّه سبب.

٣ - ما فيه سبب مُحَرَّم، ويُعتقد أنَّه مُؤثِّر بذاته.

٤ - ما فيه سبب مُحَرَّم، ويُعتقد أنَّه سبب؛ وهذا القسم والقسم الذي قبله جعلهما سماحة الشَّيخ قسماً واحداً وهو «السَّبب المُحَرَّم»، وقد فصَلْتُهما تتمَّةً للقسمة.

٥ - ما فيه سبب مباح، ويُعتقد أنَّه سبب.

٦ - ما فيه سبب مباح، ويُعتقد أنَّه مُؤثِّر بذاته.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾) يا مُحمَّد لهؤلاء المشركين.

(﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) من الأنداد والآلهة.

(﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾) ببلاء - كمرضٍ أو فقرٍ -، أو نقمة.

(﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾) استفهام إنكار، يعني: هل هذه المَدْعُوَّات من دون اللَّه تَقْدِر على كشف ذلك؟!

هذا فيه: أنَّها لا تَقْدِر.

(﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾) كنعمة وعافية ونحو ذلك.

هذه في مقابلة الضُّرِّ، فالرَّحمة هنا ما يلائم، وفي الحديث في الجَنَّة: «أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»[(١)]، فسمَّاها: «رَحْمَة»؛ ومَعروفٌ ومَشهورٌ انقسام الرَّحمة إلى قسمين: رحمةٍ صفةٍ للَّه تعالى، ورحمةٍ مخلوقة[(٢)]؛ فهو إمَّا تفسيرٌ للرَّحمة التي هي صفة بأَثَرها، أو المراد: الرَّحمة المخلوقة، ولا مَحذور

الرَّحمة تنقسم إلى قسمين

المراد بالرَّحمة هنا

(١) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، رقم (٤٨٥٠)، ومسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّار يدخلها الجَبَّارون والجَنَّة يدخلها الضُّعَفَاء، رقم (٢٨٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حادي الأرواح (ص٣٦٧).

﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾.

في التَّفسيرين.

الاستفهام للنَّفي المُؤكَّد

(﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾) هل تَقْدِر على أَنْ تُمسكَ ذلك وتَمنعَه؟ يعني: أنها لا تقدر.

فهذا استفهامٌ معناه النَّفْي المُؤَكَّد؛ وقد خرج مَخْرَج الاستفهام ليكون أبلغ في النَّفي؛ لأنَّهم لا يُشرِكُون في الرُّبوبيَّة، إنَّما شركُهم في الأُلوهيَّة، ولهذا لَمَّا قرأها عليهم النَّبيُّ ﷺ سَكَتُوا[1]؛ لِعِلْمِهم أنَّها لا قدرة لها على مَنْعِ خيرٍ أراده اللَّه، أو كَشْفِ ضرٍّ نزل بالعباد وأنزله اللَّه، وإنَّما القادر على ذلك هو اللَّه؛ إمساك الرَّحمة وكَشْف الضُّرِّ بيد اللَّه وحده؛ ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، وإذا كان هو القادر؛ تَعَيَّن وجوب دعوته وحده دون كلِّ مَنْ سواه.

إمساك الرَّحمة وكَشْف الضُّرِّ بيد اللَّه وحده

وهذه الآية من جملة ما يَحتجُّ عليهم تعالى بما أَقرُّوا به من رُبوبيَّته على ما جحدوه من أُلوهيَّته؛ فإنَّ توحيدَ الرُّبوبيَّة هو الدَّليل على توحيد الأُلوهيَّة.

الآية احتجاج بالرُّبوبيَّة على الأُلوهيَّة

ولمَّا كانت الكفاية بيد اللَّه وحده قال: ﴿قُلۡ﴾ يا مُحمَّد: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾ يعني: كافيني اللَّه، والحَسْب معناه: الكافي[2].

الكفاية بيد اللَّه وحده

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٨). (٢) تهذيب اللُّغة (٤/ ١٩٢).

. . . .

وهذه الجملة مبتدأ وخبر، كلٌّ منهما معرفة، فتُفيدُ الحَصْر، حَصْر جميع التَّوكُّل عليه، يعني: اللَّه وحده الذي بيده الكفاية، وغيره ليس بيده من الكفاية لا قليل ولا كثير، ولهذا قال بعدها: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، والتَّوكُّل: التَّفويض.

وجه مطابقة الآية للتَّرجمة

والآية نزلت في المشركين الشِّرك الأكبر؛ لأنَّ معناها ما تقدَّم لك، وهو حاصل ما يرجع إليه قول المُفسِّرين[١]، والمُؤَلِّف استدلَّ بها على أنواع من الأصغر؛ وذلك:

وجه استدلال المُصَنِّف بما نزل في الشِّرك الأكبر على الأصغر

- لشمول الشِّرك للنَّوعَيْن.

- ولدخول الكلِّ تحت النَّهي والتَّحريم وعدم المغفرة.

- ولأنَّ الصَّحابةَ يَستدلُّون بالآيات النَّازلة في الشِّرك الأكبر على المَنْع من الأصغر؛ كما استدلَّ بها حذيفة رضي الله عنه، كما يأتيك في آخر الباب[٢]، وفي (**بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾)[٣] استدلَّ بها ابن عبَّاس رضي الله عنهما على ما عَدَّده من أنواعِه[٤]، قال: «هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»[٥]، يريد أنَّ هذا

(١) تفسير الطَّبري (٢٠/ ٢١١)، زاد المسير (٤/ ١٩)، تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

(٢) (ص٣٧٤). (٣) المجلد الثَّالث (ص١٨٨).

(٤) أي: من أنواع الشِّرك الأصغر.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢)، رقم (٢٢٩)، ويأتي بتمامه في المجلد الثَّالث (ص١٧٧) في «بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾».

. . . .

يدخل فيه، وهو من التَّنبيه بالأدنى على الأعلى، يعني: أنَّ دخولَ الأصغر ممَّا يدلُّ على أنَّ الأكبرَ داخل فيها بالأَوْلَى.

فدَلَّ على صحَّة استدلال المُؤَلِّف.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفرٍ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟! فَقَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ، . . . .

الرَّجُل المُبْهَم هو: عِمرَان بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما

(عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً) هو: عِمرَان بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما - نفسُه راوي الحديث - كما جاء مُصرَّحاً به في بعضِ روايات الحديث، قال: «رَأَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

الصُّفر: النُّحاس الأصفر

(فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ) الصُّفْر هو: النُّحاس الأصفر(٢).

أنكر عليه النَّبيُّ ﷺ لُبس الحَلْقة بالاستفهام

(فَقَالَ) ﷺ مُنكِراً عليه لُبسها: **(مَا هَذِهِ؟!)** وليس هذا استفهاماً عن ماهيَّة هذه الحَلْقة؛ من أيِّ مادَّةٍ هي؟ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يعلم أنَّها من صُفْرٍ، وإنَّما هذا استفهامُ إنكارٍ؛ أنكر عليه النَّبيُّ ﷺ لُبسَه تلك الحَلْقة.

اعتذر الصَّحابيُّ فلم يعذره النبيُّ ﷺ

(فَقَالَ) عمران مُعتذِراً في لُبسِه إيَّاها: **(مِنَ الوَاهِنَةِ)** لتَخِفَّ عليَّ، أو يَسكنَ أَلَمُها؛ فلم يعذره.

و**(الوَاهِنَةُ)**: عِرْق يأخذ بالمَنْكِب، قيل: إنَّه مُختصٌّ بالرِّجال(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٠)، رقم (٧٥٠٢)، من حديث عِمْرَان بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، ولفظه: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفِي عَضُدِي حَلْقَةٌ صُفْرٌ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟! فَقُلْتُ: مِنَ الوَاهِنَةِ، فَقَالَ: انْبِذْهَا».

(٢) تهذيب اللُّغة (١٢/ ١١٩)، مجمع بحار الأنوار (٣/ ٣٣٠).

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٣٦١).

فَقَالَ: انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً، . . . .

فأنكر عليه أوَّلاً؛ وثانياً بعدما اعتذر؛ **(فَقَالَ: انْزِعْهَا)** النَّزع هو: الجذب بقوَّة.

الشِّرك ضرره على الدُّنيا والدِّين

(فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً) لا يحصل مقصودُك منها؛ بل تزيد المرض مرضاً، وتزيد المُتعلِّقين بها أضراراً إلى أضرارهم عقوبةً لهم؛ وذلك من أجل التفات قلوبهم إلى غير اللَّه، و«مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ»[1]، ومَنْ وُكِل إلى غير اللَّه هلك؛ ففيها: مَضرَّة الدُّنيا والدِّين.

لو قُدِّر أنَّ في لُبْسِ الحَلْقَة نَفْعاً فدَرْءُ المفاسد مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصالِح

وهذا شأن هذه الأمور المَنهيِّ عنها شرعاً، والشِّركيَّةِ في الغالب، وإلَّا فقد يَحصُل منها بعض الأحيان منافع جزئيَّة؛ ابتلاءً، وليس ذلك من الدَّليل على جوازها في شيء، فإنَّ بعضَ الأسباب في نفسها مُحرَّمة، وقد يَترتَّب عليها بعض النَّفع، لكنْ ما فيها من الضَّرر أعظم، فلا تُجعَل الأمور الكونيَّة معارِضة للأمور الدِّينيَّة، والشَّريعَة المُحمَّديَّة جاءت بـ«تحصيل المصالح وتكثيرها»، وجاءت بـ«ارتكاب أدنى المفاسد لدَفْعِ ما هو أعظمُ منها»؛ فهذا فيه تفويت مصلحة، وهو النَّفع - إن كان فيها نفع -، لكن فيه السَّلامة من مَضرَّة[2]، ومعنا قاعدة أخرى: وهي أنَّ «دَرْءَ المفاسِد مُقدَّمٌ على تَحصيلِ المَصالح».

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٨٧٨١)، من حديث عبد اللَّه بن عُكَيم رضي الله عنه.
(٢) وهي: مضرَّة الشِّرك.

فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً» . . . .

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فقوله: (**انْزِعْهَا**) مُفيدٌ تحريم لُبس الحَلْقَة من الصُّفْر لأجل دفعِ أَلَمٍ أو مَكروهٍ أَلَمَّ به، أو رفعِ سوءٍ أو مكروهٍ حصل عليه واتَّصل به، وسواء من أجل هذا أو هذا، فإنَّه شرك؛ لِعُمومِ قوله في هذا الحديث: (**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً**)؛ هذا في الدُّنيا.

وأمَّا في الآخرة فمَعلومٌ حُكمُها، وقد بيَّنه بقوله: (**فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً**») الفلاح والفوز من أجمع الكلمات التي نطقت بها العرب، وهو: الحصول على الخير؛ فأخبر ﷺ أنَّ هذا الصَّحابيَّ مع فَضلِه لو مات وعليه تلك الخصلة من خصال الشِّرك الأصغر ما أفلح، فكيف بمَنْ دونه؟! فهذا فيه التَّغليظ في لُبس الحَلْقة، وإذا كان هذا في الشِّرك الأصغر الذي يجتمع مع أصل التَّوحيد، فما الظَّنُّ بالأكبر الذي ينافيه كل المُنافاة؟!

فتبيَّن: أنَّ لُبْسَ الحَلْقَة والخَيْطِ ونحوهما لرَفْعِ بلاءٍ نزل به، أو دَفْعِ بلاءٍ لم ينزل به؛ أنَّه من الشِّرك.

الشِّرك الأصغر أعظم من كبائر الذُّنوب

ويُفيدُ: أنَّ الشِّركَ الأصغرَ أَعظمُ من كبائر الذُّنُوب؛ فإنَّ (**مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً**) لم يَجِئْ جنسُه في شيءٍ من الكبائر لا سيَّما مع تأبيد ذلك[1]، فلم يَجِئْ في الخَمْر مثلاً، فدَلَّ على مزيد تحريم

(١) أي: بقوله: «أبداً».

رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

الشِّرك الأصغر، وأنَّه أكبر من الكبائر، وهذا فيه شاهدٌ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِباً؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقاً»(١).

مَنْ تاب من لُبْسِ الحَلْقَة قبل موته لم يلحقه ذنب

ويُفيدُ: أنَّه لو مات تاركاً لها تائباً لا يَلْحَقه فيها ذنب؛ فإنَّ التَّوبةَ تَجُبُّ(٢) ما قبلها، و«الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ»(٣).

(رَوَاهُ أَحْمَدُ(٤) بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ) يعني: صالحاً للاحتجاجِ به.

---

(١) رواه عبد الرَّزَّاق في المُصَنَّف، كتاب الأيْمان والنُّذور، باب الأَيْمَان ولا يُحْلَف إلَّا باللَّه، رقم (١٥٩٢٩).

(٢) أي: تَمْحُو. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٣٤).

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧٨١٣)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤) في المسند، رقم (٢٠٠٠٠).

وَلَهُ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ . . . .

(وَلَهُ[١]**: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً)** إلى النَّبيِّ ﷺ.

معنى الحديث المَرفُوع وصِيَغُه

إذا قيل: **(مَرْفُوعاً)** - المرفوع: مقابل الموقوف - يعني: قال رسول اللَّه ﷺ كذا، وكذلك «يَنْمِيهِ»، و«يُنهِيه»، فهذه كلُّها من صيغ الرَّفع، ومثله: «يَرْفَعُه»، و«يَبْلُغ به»، أو «رِوَايَةً»، أو «يَنْسِبُه»، كقوله في الألفيَّة[٢]:

وَهَكَذَا: يَرْفَعُهُ، يَنْمِيهِ   رِوَايَةً، يَبْلُغْ بِهِ، يَرْوِيهِ

معنى المَوْقُوف

فالمَوْقُوف: من كلام ذلك المذكور، والمَرْفُوع: من كلام النَّبيِّ ﷺ.

تعريف التَّمِيمَة وسبب تسميتها

(«مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً) التَّمِيمَة: واحدة التَّمائم، وهي: ما يُعلَّق على الأولاد خشيةَ العَيْن - كما يأتي[٣] -، وتكون من خَرَزٍ، وتكون من عُوَذٍ مكتوبة، وتكون من عِظامِ بعض الدَّوابِّ، وتكون من غير ذلك.

سُمِّيت: «تَمِيمَة»؛ لأنَّهم كانوا يَتلمَّحون من تعليقها تمامَ مُرادِهم، وهو السَّلامة من العَيْن.

---

(١) في المسند، رقم (١٧٤٠٤).

(٢) أي: السُّيوطيُّ رحمه الله في ألفيَّته في علم الحديث المُسمَّاة بـ«نَظْم الدُّرَر في علم الأَثَر» (ص٨٥)، البيت (١٣١) نسخة الحواشي بتحقيقنا.

(٣) (ص٣٨٩).

فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»، . . .

أنواع التَّعلُّق بالتَّمائم

والتَّعلُّق تارة يكون بالقلب، وتارة يكون بالفعل، وتارة يكون بهما جميعاً.

- بالقلب تارةً: إن لم يُعلِّقها على الجسد؛ فإنَّه مُتعلِّق تَمِيمَة.

- وبالفعل تارةً: لو علَّقها عليه، ولو كان باطنه[١] ما تعلَّقها، فإنَّا نَحْكُم عليه أنَّه علَّق تَمِيمَةً؛ عملاً بالظَّاهر.

- ويكون بهما: على الجسد، ويُعَلِّق بها قلبه في حصول مَطلوبِه.

دعا النَّبيُّ ﷺ على مَنْ عَلَّق تميمة أنْ لا يُتِمَّ اللَّه له ما أراده منها

(فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ) دعا ﷺ على مُتَعَلِّق التَّمِيمَة زاعماً فيها ذلك: أنَّ اللَّهَ لا يُتِمُّ له ما أراده منها، ولا مقصوده من تعليقها، وهو السَّلامة من العَيْن؛ بل دعا عليه بأن تَتسلَّط عليه العَيْن.

تعريف الوَدَعَة وسبب تسميتها

(وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً) وهي: الأصداف البِيض الصِّغار التي تخرج من البحر، التي يجعلها العامَّة على الأولاد والدَّوابِّ وغيرها، وكانت الجاهليَّة يَتلمَّحون بجعلها عليها الدَّعَة والسُّكون والسَّلامة من المُؤْذِي.

دعا النَّبيُّ ﷺ على مَنْ عَلَّق وَدَعة أن لا يَدَعَه اللَّه في دَعَة وسُكُون

(فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ») دعا عليه ﷺ أن لا يَدَعَه اللَّه في سَعَة وسُكُون، وأن يُحرِّك عليه كلَّ مُؤذٍ، أو يُتلفَ المال.

---

(١) أي: قلبه.

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ».

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فدعاؤه ﷺ على مُتعلِّقهما يُفيدُ تحريم تعليق هذا وهذا؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يدعو على فاعلِ مباحٍ، ولا على فاعلِ مكروهٍ كراهةَ التَّنزيه؛ بل لا يدعو إلَّا على فاعلِ مُحَرَّمٍ؛ فدَلَّ على تحريم تعليق التَّمائم، وتحريم تعليق الوَدَع.

فإذا تقرَّر أنَّه مُحَرَّم؛ فالرِّواية الثَّانية بَيَّنت أنَّه من المُحَرَّمات الشِّركيَّة، وهي: (وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»[١]) هذه الرِّواية فيها التَّصريح أنَّه شرك.

الدُّعاء والحكم يشمل أنواع التَّعلُّق بالتَّمائم

وعَرَفْتَ أنَّ التَّعلقَ يكون: بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعاً؛ فالدُّعاء على مُتعلِّق التَّمِيمَة والوَدَعَة يشمل الثَّلاثة، وكذلك الحكم الذي في مُتعلِّقها بأنَّه مشرك يتناول الثَّلاثة، فيكون مشركاً.

وجه الشِّرك في تعليق التَّمائم

ووجه الشِّرك في هذا: تَعلُّقُه في حصول المنفعة والسَّلامة على غير اللَّه، وتَعلُّقُه في دَرْءِ المَضرَّة على غير اللَّه، وفي الحقيقة لا نافع ولا دافع إلَّا اللَّه، فالتَّعلُّق على هذه الأمور شركٌ من هذا المعنى؛ لأنَّ التَّعلُّق في دَفْعِ ضرٍّ أو جَلْبِ نفعٍ على اللَّه، والمُتعلِّق في أحد الأمرين يكون مشركاً بذلك، وهو من الشِّرك

(١) رواها أحمد في المسند، رقم (١٧٤٢٢)، من حديث عقبة بن عامر الجُهنيِّ رضي الله عنه.

. . . .

الأصغر، ما لم يعتقد أن هذا الذي تعلَّقه يدفع الضُّرَّ باستقلاله، فإنَّه يكون أكبر.

فعَرَفْتَ: مَنْعَ هذه الأمور.

تعليق الأوداع على الدَّواب للزِّينة من صور الشِّرك

والأوداع التي تُعَلَّق على الدَّوابِّ للزِّينة؛ هذه صورة شِركيَّة مَمْنُوعة، ونيَّة صاحبها ما لها حكم، رُبَّما أنَّه يُعَلِّقُها جاهلاً ولا يدري أنَّه يُعتقَد فيها، ورُبَّما أنَّه يُعَلِّقُها معتقداً ويقول: زينة؛ فهذه الصُّورة مَمْنُوعة.

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾».

مزاعم مَنْ يلبس الخَيْط من الحُمَّى

(**وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ**[1] **عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى**) يعني: من أجل الحُمَّى؛ زعماً أنَّها لا تُصِيبُه، أو تُخفِّفُ عنه الحُمَّى، أو تُذهِبُها؛ إذا لبسه.

المشركون يؤمنون بالرُّبوبيَّة ويشركون في الأُلوهيَّة

(**فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾»**) كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «تَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ، وَهُمْ - مَعَ ذَلِكَ - يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»[2]، فإنَّ إيمانَهم المذكور عنهم هو الإيمان بالرُّبوبيَّة، والشِّرك المنسوب إليهم هو الشِّرك في الأُلوهيَّة.

تغيير المُنْكَر

وأَثَرُ حذيفة رضي الله عنه هذا مُفيدٌ شرعيَّة المُثابَرَة في قطع المُنكَرات، ومن ذلك الأمور الشِّركيَّة، فيُبادَر إليها وتُزَال، ولا يُشَاوَر أحد؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[3]؛ هذا حكم ما يوجد من المُنكَرات.

---

(١) في تفسيره (٧/ ٢٢٠٨)، رقم (١٢٠٤٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٧)، رقم (١٢٠٣٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النَّهي عن المُنكَر من الإيمان، وأنَّ الإيمانَ يزيد وينقص، وأنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر واجبان، رقم (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.

. . . .

من فوائد أَثَر حذيفة رضي الله عنه

فهذا الخَبَر - أَثَر حذيفة رضي الله عنه - دَلَّ على أمور:

الأوَّل: مبادرة إنكار المُنكَرات، والمُثابَرَة على ذلك، حتَّى إنَّ من العلماء مَنْ جعلها ركناً سادساً من أركان الإسلام(١).

وجه مطابقة الأثر للتَّرجمة

الثَّاني: أنَّ تَعليقَ الخَيْط ونحوه من جُملةِ أنواع الشِّرك؛ فإنَّه لَمَّا قَطَعَه تلا آية الشِّرك.

الثَّالث: أنَّ الصَّحابةَ يَستدلُّون بالآيات التي في الشِّرك الأكبر على الأصغر، وهذا مِثلُ ما فَسَّر ابن عبَّاس رضي الله عنهما ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ بأنواعٍ من الشِّرك الأصغر(٢).

فهذا يُوَضِّح لك ما تقدَّم، ويُوَضِّح لك استدلال المُصَنِّف بالآية على المَنْع من تلك الأنواع أنَّه استدلال صحيح، كما أنَّ استدلالَ الصَّحابةِ بها استدلال صحيح، وبه يظهر وجه استدلال المُصَنِّف بها(٣) على التَّرجمة.

حاصل ما تقدَّم

فالحاصل: أنَّ مُرادَ المُصَنِّف بالتَّرجمة الشِّرك الأصغر.

ومن الآية: أنَّ الآيةَ النَّازلةَ في الشِّرك الأكبر يُستدلُّ بها على

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٥/ ٩).

(٢) كما سيأتي في المجلد الثَّالث (ص١٧٧).

(٣) أي بالآية الأولى.

. . . .

الأصغر؛ لشُمولِها النَّوعَيْن، وهي دالَّة على المَنْع من لُبس الحَلْقة والخَيْط وغيرهما، وكما استدلَّ الصَّحابة بالآيات النَّازلة في الشِّرك الأكبر على المَنْعِ من الأصغر.

وحديث عِمْرَان رضي الله عنه الشَّاهد: إنكار النَّبيِّ ﷺ عليه دليلٌ على المَنْعِ من لُبس الحَلْقَة والخَيْط ونحوهما.

وحديث عُقْبَة رضي الله عنه يُفيدُ: أنَّ دعاءَه ﷺ يُفيدُ التَّحريم، والرِّواية الثَّانية: أنَّه من الشِّرك.

وحديث حذيفة رضي الله عنه: فيه استدلال السَّلَف بالنَّازلة في الأكبر على الأصغر.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.

(فِيهِ مَسَائِلُ):

التَّغليظ في لُبْسِ الحَلْقَة والخَيْط ونحوهما لرَفْع البلاء أو دَفْعِه

(الأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ) من الحديد والصُّفْر، وما في الباب مُفيدٌ التَّغليظ: (انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً)، هذا تغليظ.

(وَالخَيْطِ) فإنَّ حذيفة رضي الله عنه نَزَعَه وتَلَا آية الشِّرك.

فهذا تغليظ في هذين النَّوعَيْن.

ما لم يُنصَّ عليه يُلحَق بمثله في المُعتَقد والصِّفة

(وَنَحْوِهِمَا) وأشباه ذلك من التَّمِيمَة والوَدَعَة؛ المَنصوصُ عليه مَنصوصٌ عليه، وما لم يُنَصَّ عليه يُلْحَق بمثله في المُعْتَقَد والصِّفَة.

(لِمِثْلِ ذَلِكَ) يعني: لرفعِ البلاء، أو دفعِه.

الشِّرك الأصغر أكبر من الكبائر وأدلَّة ذلك

(الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ)، ودليله:

. . . .

- هذا الحديث[١].

- وكما جاء عن ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِباً؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقاً»، الحَلِف باللَّه كاذباً هي اليمين الغَمُوس التي جاء في النُّصوص التَّغليظ فيها[٢]، ومع ذلك أفاد قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه أهونُ وأسهلُ من الشِّرك.

سيِّئةٌ مع توحيدٍ أهون من حسنةٍ مع شرك

«أَحَبُّ إِلَيَّ»، ليس هذا بحبيب[٣]، وليس هذا بحبيب[٤]، لكن إن كان لا بُدَّ فالبلوى بالأوَّل أهون؛ الصِّدق حسنة، والكذب سيِّئة، لكنْ سيِّئةٌ مع توحيدٍ أهون من حسنة مع شرك.

- ومنه تسمية النَّصِّ لها: «شركاً»؛ فإنَّ اسمَ الشِّرك اسمٌ مُخالفٌ لدين الإسلام، فإنَّ بعضَ الذُّنُوب وإن لم ينقُل عن المِلَّة بل لُقِّب بالشِّرك[٥]؛ فهو أعظمُ من ذنبٍ لم يُلَقَّب بالشِّرك والكفر.

---

(١) أي: حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوارد في الباب.

(٢) كما في حديث عبد اللَّه بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: اليَمِينُ الغَمُوسُ، قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ» رواه البخاريُّ، رقم (٦٩٢٠).

(٣) أي: الحلف باللَّه كاذباً. (٤) أي: الحلف بغير اللَّه صادقاً.

(٥) كما في حديث سعد بن عبيد اللَّه قال: «سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً يَقُولُ: وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ» رواه أحمد في المسند، رقم (٦٠٧٢).

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ؛. . . . .

ألقاب النُّصوص حقيقة

وتلقيب النُّصوص لقبٌ حَقٌّ، وليس مجازاً، فإنَّه حقيقة؛ بل هو أصل؛ والكفر عند أهل السُّنَّة كُفرٌ حقيقة، وليس مجازاً، لكنَّ الكفرَ كفران، والشِّركَ شركان.

الحاصل: أنَّ ذنباً سُمِّي: كفراً أو شركاً؛ أعظم من ذنبٍ لم يُسمَّ كفراً ولا شركاً.

الشِّرك لا يُعذَر فيه بالجهالة في الإنكار والتَّغليظ

(**الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ**) لا يدري أنَّ هذا المحذور في لبسها، ويَحْسَب أنَّها ليست كذلك، ومع ذلك أنكر عليه ﷺ وغَلَّظ؛ بل قال ﷺ: (**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً**)، خاطَبَ وواجَهَ الصَّحابيَّ بعدم الفلاح.

في هذا: غِلَظُ أمور الشِّرك، ولو كان يجهل.

فدَلَّ على أنَّ أُمورَ الشِّرك لا يُعذَر فيها بالجهالة في مسألة الإنكار والتَّغليظ؛ لمزيد التَّغليظ والإنكار فيه؛ لكونه أعظم الذُّنُوب.

لُبْسُ الحلقة ضررٌ في الدُّنيا والآخرة

(**الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ**) يعني: في الغالب، وإلَّا فبعض الأحيان قد يترتَّب عليها بعض المصالح الجُزئيَّة الدُّنيويَّة

بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً».

الخَامِسَةُ: الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ.

ابتلاءً وامتحاناً؛ **(بَلْ)** هي **(تَضُرُّ)** وما فيها من الأضرار أكثر وأعظم؛ **(لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً»)** كما أنَّها ضَررٌ في الآخرة والدِّين، وهذا من حكمة اللَّه؛ وعِظَمُ ذَنبِه: كونه يفوته التَّوحيد ومقصوده في لُبسِها.

ففاته التَّوحيد، وحصل له التَّنديد، وحُرِم ما يُريد.

الإنكار بالتَّغليظ على مَنْ فعل مثل لُبْسِ الحَلْقَة أو الخيط

(الخَامِسَةُ: الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ) فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أنكر وغلَّظ في ذلك، فدَلَّ على أنَّه هو المشروع.

مَنْ تَعَلَّق شيئاً وُكِلَ إليه

(السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً) لعلَّه أنْ يُخفِّفَ البلاء، أو يَرفَعَه، **(وُكِلَ إِلَيْهِ)** وذلك بقوله ﷺ: **(فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً)**؛ وذلك لأجل تعلُّقه عليها، فوُكِل إليها، ولا حَصَل له مَطلوبُه؛ بل ما زادته إلَّا وبالاً.

مَنْ تَعَلَّق تميمةً فقد أشرك

(السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ) في قوله ﷺ: (**«مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»**).

تعليق الخَيْط من الحُمَّى من الشِّرك

(الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ) يعني: من

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ؛ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ.

الشِّرك؛ لتلاوة حذيفة رضي الله عنه الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

الصَّحابة يستدلُّون بالآيات النَّازلَة في الشِّرك الأكبر على الأصغر

(**التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ**): ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ (**دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ**)، وهي قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فقال رضي الله عنهما: «هُوَ الشِّرْكُ، أَخفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ[1] سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ؛ لَا تَجْعَلْ فِيهَا: فُلَانٌ، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»[2]، ذَكَر ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنواعاً من الشِّرك الأصغر، وقرأ الآية، ففَسَّرها بها، واستدلَّ بها عليها؛ فدَلَّ على صحَّة الاستدلال بالآيات النَّازلة في الأكبر على الأصغر؛ وذلك لشُمولِ الشِّرك للنَّوعَيْن، ولدخول الكلِّ تحت النَّهي والتَّحريم.

---

(١) أي: صخرة ملساء. الصِّحاح (٦/ ٢٤٠١).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٦٤).

العَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعِ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ أَنَّ اللَّهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ - أَيْ: تَرَكَ اللَّهُ لَهُ -.

ومنه يتَّضح وجه استدلال المُصَنِّف بها على لُبس الحَلْقة والخَيْط ونحوهما.

تعليق الوَدَع عن العَيْن من الشِّرك

(العَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعِ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ) يعني: من الشِّرك.

الدُّعاء على مَنْ تعلَّق تَمِيمَةً أو وَدَعةً

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ أَنَّ اللَّهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ - أَيْ:) لا (تَرَكَ اللَّهُ لَهُ -) خيراً.



بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ: قِلَادَةٌ -؛

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

شرح التَّرجمة

(بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى) يعني: من النَّهيِ عنها، وبيان أنَّها شرك، وبيان ما خصَّه الدَّليلُ بالجواز.

(وَالتَّمَائِمِ) يعني: من النَّهيِ عنها، وبيان أنَّها شرك، وبيان ما جاء من الخلاف بين أهل العلم في نوعٍ منها.

(فِي الصَّحِيحِ[1]: عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً) هو زَيْد بن حَارِثَة رضي الله عنه[2].

القَلَائِد في الحديث مقيَّدة بالأَوْتَار

(أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ: قِلَادَةٌ -؛

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، رقم (٣٠٠٥)، ومسلم، كتاب اللِّباس والزِّينة، باب كراهة قلادة الوَتَر في رقبة البعير، رقم (٢١١٥).

(٢) الاستذكار (٨/ ٣٩٦)، إرشاد السَّاري (٥/ ١٤٠).

إِلَّا قُطِعَتْ».

إِلَّا قُطِعَتْ» شَكَّ الرَّاوي؛ هل قال: **(مِنْ وَتَرٍ)** وقيَّد بالوَتَر، أو قال: **(قِلَادَةٌ)**.

ويُؤيِّد الأوَّل[١]: قوله ﷺ: «قَلِّدُوا الخَيْلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالأَوْتَارَ»[٢].

تعريف الوَتَر

والوَتَر - بالفتح -: واحد الأوتار، اسمٌ لكلِّ ما يُربَط بين طرفين.

وهي: أوتار القِسِيِّ[٣]، التي تُعمَل من كَرِشٍ نِيءٍ[٤]، أو مُصْرَانٍ نيئَة، ومِن عَصَب، ويُشَدُّ بها القوس؛ والقوس هو: الذي فيه تقويس.

أهل الجاهليَّة يُعلِّقون الأَوْتَار على الإبل لدَفْعِ العين

وكان أهل الجاهليَّة يُعلِّقونَها على الإبل؛ زَعْماً منهم أنَّ العَيْنَ لا تصيبها.

كلُّ ما قُصِد منه دَفْعُ العَيْن لا يجوز سواء من قلادة أو غيرها

وكونها قَلائِد خَرَج مَخْرَج الغالب؛ ليس العِلَّة: أنَّه أوتار بصفة قِلَادَة وإلَّا لا مَنْع؛ بل ورد في القلادة لأنَّه يُنظَر إليها أكثر

---

(١) أنَّها: قلادةٌ من وَتَر.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٩٠٣٢)، من حديث أبي وهب الجُشَمي رضي الله عنه، ونصُّه: «وَارْتَبِطُوا الخَيْلَ، وَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا وَأَعْجَازِهَا - أَوْ قَالَ: وَأَكْفَالِهَا -، وَقَلِّدُوهَا، وَلَا تُقَلِّدُوهَا الأَوْتَارَ».

(٣) القِسِيُّ: جمع قوس. تهذيب اللُّغة (٩/ ١٧٧).

(٤) أي: غير ناضجة. الصِّحاح (١/ ٧٩).

. . . .

ممَّا يُنظَر إلى غيرها، فإذا كان القصد هو دفع العَيْن فإنَّه لا يجوز، سواء كان قِلَادَة أو بغير صفةِ قَلائِد.

ولو صار في غير محلِّ القَلائِد وقَصَد العَيْن[1] - كأنْ عَلَّق في بابٍ أو النَّاحية، أو على الدَّار - فهو كذلك.

فلو قُدِّر أنَّ هناك شيئاً فيه مَحذور وليس كالأوتار، فهي كالأوتار في المَحْذُور.

هَدْيُ النَّبيِّ ﷺ بَعْثُ الدُّعاة إلى أمكنة الشِّرك وإزالته

(فَأَرْسَلَ رَسُولاً) بَعْثُه ﷺ هذا الرَّجُل، وأَمْرُه بهذا؛ فيه بيان هديه ﷺ في مثل هذه الأمور، وأنَّ النَّاحيةَ التي يُخشَى فيها شيء من المحذور قد بَعث له وأزاله، هذا فيما يُجامِع أصل التَّوحيد، فكيف بما يَجْتثِثُ[2] التَّوحيد بالكُلِّيَّة؟! فدَلَّ على أنَّ هَديَه ﷺ بَعْث الدُّعاة إلى اللَّه في كلِّ ناحية، وإزالة ما يوجد من الشِّرك ولو كان أصغر؛ بل الوِلَايَةُ كلُّها المقصود منها: أن تَحْفَظَ عليهم الإسلام وخصاله، ودماءهم وأموالهم وحرماتهم، وأهمُّها الدِّين.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

ثمَّ الباب في الرُّقَى والتَّمَائِم، والذي في هذا الحديث الأوتار، فما وجه الدَّلالَة؟

---

(١) أي: دَفْعَ العين.

(٢) الاجْتِثَاث: قَطْع الشَّيء من أَصْلِه. تهذيب اللُّغة (١٠/ ٢٥٣).

. . . .

وجْهُها: أنَّهما اثنتان في الصُّورَة، وفي الحُكْم واحد، ولا فرق؛ لأنَّ الجميعَ وقع لِمَا عُلِّق عليه من دفع الضَّرر، فهذا يُعلَّق على الإبل، وهذا يُعلَّق على الصِّبيان، والقَصْدُ في المُعَلَّقات شيءٌ واحدٌ، وهو أنَّه يُرادُ من تَعليقِه عن العَيْن.

وجه الشِّرك في تعليق الأوتار ونحوها

وكان شركاً من جهة التفات قلوبهم إلى غير اللَّه في جَلْبِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضُرٍّ، فصار شركاً أصغر إذا اعتقد أنَّه سبب، وإلَّا فهو أكبر - كما سبق[1] -.

كلُّ دليل في الأوتار يصلح للتَّمَائِم والعكس

فعَرَفْنَا أنَّ كلَّ دَليلٍ في الأوتار يَصلُح للتَّمَائِم، وكلَّ دَليلٍ للتَّمَائِم يَصلُح للأوتار، وكلُّه من أمور الجاهليَّة الشِّركيَّة.

(١) (ص٣٥٩).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ.

(وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ[1]، وَأَبُو دَاوُدَ[2]).

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

حَكَم ﷺ على أنَّ كلَّ وَاحدٍ منها شرك؛ فحَكَم أنَّ الرُّقى شرك، وحَكَم على التَّمَائِم أنَّها شرك، وحَكَم على التِّوَلة أنَّها شرك، وهذه الثَّلاث يأتيك بيانها في كلام المُصَنِّف.

---

(١) في المسند، رقم (٣٦١٥).

(٢) كتاب الطِّبِّ، باب في تعليق التَّمائم، رقم (٣٨٨٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ ﵁ مَرْفُوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

(وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ ﵁ مَرْفُوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً) نكرة في سياق الشَّرط؛ يَعمُّ كلَّ مَنْ تُعلِّق؛ فيشمل اللَّه سبحانه؛ وتقدَّم[1] أنَّ التَّعلُّق تارةً يكون بالقلب فقط، وتارةً يكون بالفعل فقط، وتارةً يكون بهما جميعاً.

(وُكِلَ إِلَيْهِ») فمَنْ تَوَكَّل على اللَّه كفاه؛ كما في الحديث القُدسيِّ: «وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي، لَا يَعْتَصِمُ بِي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي دُونَ خَلْقِي - أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ مَخْرَجاً»[2]، ومَنْ تَعَلَّق على المخلوق العاجز القاصر وُكِلَ إليه وهَلَك وخُذِل غاية الخِذلان - والعياذ باللَّه -؛ عقوبةً له.

هذا الحديث من جوامع الكَلِم

وهذا الحديث من المَعلومِ أنَّه من جوامع الكلم الذي أُوتيَه ﷺ.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ[3]، وَالتِّرْمِذِيُّ[4]).

---

(١) (ص٣٧١).

(٢) رواه تمَّام الرَّازيُّ في الفوائد (١/ ٢٤٣)، رقم (٥٩٠)، والدَّيلميُّ في مسند الفردوس، رقم (٤٩٥)، من حديث كعب بن مالك ﵁، وعزاه السُّيوطيُّ في الجامع (١٠/ ٢٤٧) لابن عساكر، ورواه الحكيم التِّرمذيُّ في النَّوادر (٤/ ٣١٠)، عن الزُّهريِّ موقوفاً، ورواه أبو نُعَيْم في الحلية (٤/ ٢٥)، من قول وَهْبِ بن مُنَبِّه ﵀.

(٣) سبق تخريجه (ص٣٦٧).

(٤) أبواب الطِّبِّ، باب ما جاء في كراهية التَّعليق، رقم (٢٠٧٢).

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ عَنِ العَيْنِ، لَكِنْ. . .

بيان معنى ثلاثة أمور

(التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ عَنِ العَيْنِ) هذا شروعٌ من المُصَنِّف في تفسير وبيان معنى الثَّلاثة التي أخبر ﷺ في حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه أنَّهنَّ شرك، في قوله: **(إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ)**.

وجه كونها شركاً

وإنَّما كانت شركاً من أجل ما يُتعلَّق عليها من جلب نفع أو دَفْعِ ضُرٍّ - من جهة هذا الاعتقاد السوء وهو زعمُ دفعِ العَيْن -، فسَجَّل[1] على هذه الثَّلاثة وحَكَم عليها بالنَّصِّ النَّبويِّ أنَّ كلّاً منها شرك.

الأمر الأوَّل: التَّمَائِم

وبدأ المُصَنِّف بالتَّمَائِم فقال: **(التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ عَنِ العَيْنِ)** يعني: زعماً منهم أنَّ العَيْنَ لا تُصيبُهم ما دامت مُعلَّقة عليهم.

أنواع التَّمَائِم

وهي تكون من عُوَذٍ مكتوبة، وتكون مِنْ خَرَزٍ، وتكون مِنْ عِظام بعض الدَّوابِّ، وتكون مِنْ حبوب بعض النَّباتات، وتكون مِنْ أشياء عديدة غير ذلك، على حسب ما يعتقده المعتقدون سابقاً ولاحقاً، فإنْ كان مِنْ تمائم أهل الجاهليَّة فهو شرك.

اختلف العلماء فيما إذا كان المُعلَّق من القرآن

(لَكِنْ) هنا صورة فيها الخلاف بين الصَّحابة ومَنْ بعدهم إلى

(١) أي: قضى. المصباح المنير (١/ ٢٦٧).

إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ - مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه -.

الآن، وهي ما (إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ) إذا كان المكتوب من القرآن، أو من التَّعوُّذات والأدعية النَّبويَّة، فهذه الصُّورَة اختلف أهل العلم فيها:

القول الأوَّل: الجواز

(فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ[1]) ولا دليل معه، وقال: هو أَدعيةٌ وقراءةٌ، فلم تكن مَعْنيَّة بحديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه.

القول الثَّاني: المَنْع

(وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ - مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه -) ومَنْ وافقه[2].

الصواب: المَنْع لأربعة أوجه

فإذا كانت من مسائل النِّزاع فقد قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فإذا رأينا وتأمَّلْنا الحُجَج وجدنا المنع أقرب؛ لأوجهٍ أربعة:

---

(١) كعائشة وعبد اللَّه بن عَمْرو رضي الله عنهم، وسعيد بن المُسيَّب والضَّحَّاك وغيرهم رحمهم الله. تفسير القرطبيِّ (١٠/ ٣٢٠)، المجموع شرح المُهَذَّب (٩/ ٦٧)، فتح المجيد (ص١٢٧).

(٢) كابن عبَّاس رضي الله عنهما، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عُكَيْم رضي الله عنهم، وبه قال جماعة من التَّابعين؛ منهم أصحاب ابن مسعود؛ كالأسود وعَلْقَمَة، ومَنْ بعدهم؛ كإبراهيم النَّخعي، وأحمد في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه رحمهم الله. تيسير العزيز الحميد (ص١٣٤).

. . . .

الوجه الأوَّل: عموم أدلَّة النَّهي

الأوَّل: عموم أدلَّة النَّهي، فحديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه حَكَم فيه ﷺ أنَّ التَّمَائِم شرك، وهذا عامٌّ، ولا مُخَصِّص صحيح يُخَصِّص هذا العُموم، فإذا لم يَجِئْ شيءٌ يُخَصِّص هذا العُموم فنبقى على هذا العُموم، فمَنْ أخرج نوعاً فعليه الدَّليل، وإلَّا نبقى على مقتضى الدَّليل.

الوجه الثَّاني: سَدُّ ذرائع الشِّرك

الثَّاني: سَدٌّ لذرائع الشِّرك، فإذا كان على إنسان عددُ تمائم فمَنْ يُمَيِّز بين ما فيه القرآن ممَّا فيه الشِّرك؟!

فإنَّ الأشياء منها: ما يُحَرَّم لذاته، ومنها: ما هو مُحرَّم لغيره؛ فيُمنَع مِنْ باب سَدِّ الذَّرائع؛ وفتْحُ باب التَّمَائِم التي من القرآن والإذنُ في ذلك فيه فتحٌ لباب التَّمَائِم الشِّركيَّة، فإنَّه كبير، وهذا مشاهد؛ فمَنْ رَخَّص فإنَّهم جَرَّؤُوا النَّاس، وفتحوا لهم باب الشِّرك؛ فهذه تَلْبَسُ وتقول: لأحْظى[1]، وهذا يقول: لكذا، ففتحوا باب الشِّرك بهذا الباب الغلط، والشَّريعَة من أعظم مُهمَّاتِها سَدُّ الذَّرائع.

ولم يتعارض في التَّمَائِم التَّحريم والأمر حتَّى يقال: يُنظَر ما يُقدَّم، فإنَّ المعارضةَ بين النَّهي والإباحة - وبعض المباحات تُتْرَك في مسائل كثيرة؛ لأجل خوف الوقوع في المفسدة -، فمَنْ

---

(١) أي: ليكون لي عند زوجي حظوة؛ أي: منزلة ومحبَّة. مقاييس اللُّغة (٢/ ٨٠).

. . . .

يقول بلُبسِها يقول بالجواز لا للوجوب، ولم يقلْ أحدٌ إنَّها واجبة، فتعارَضَ جوازٌ ومنع، ففي المنع سدٌّ للباب.

وإذا تعارض مَنْ يقول بالجواز، ومَنْ يقول بالتَّحريم؛ فالأَوْلَى التَّرك؛ فإنَّه إنْ كان الحَقُّ مع مَنْ يقول بالجواز، فلا إثم على مَنْ ترك ذلك، وإنْ كان الصَّواب مع مَنْ قال بالتَّحريم، فيصير مخالفاً للصَّواب، هذا لو لم تكن نصوصٌ أُخَر.

الوجه الثَّالث: صيانة القرآن من الإهانة

الثَّالث: أنَّ مَنْ يَلبسُه من الأطفال يدخل به الحُشُوش[(١)] والأمكنة القَذِرَة، ومَعلومٌ من الشَّرع منع ذلك.

الوجه الرَّابع: التَّمِيمَة اسمٌ للمُعلَّق لا المكتوب فيه

الرَّابع: أنَّ التَّمَائِمَ اسمٌ لهذا المُعلَّق لا المكتوبِ فيه، فكان في المرأى لا فرق بين هذه وهذه، فالذي يُرى ويقع عليه البصر من جلود ونحوها هو التَّمِيمَة، أمَّا التَّعوُّذ والكتابة فلا تُرَى، فما لا يقع عليه البصر لا يدرى ما هو؛ إنَّما المحسوس المجسوس[(٢)] باليد هي التَّمِيمَة، فَصَدَق عليها أنَّها تَمِيمَة.

وأيضاً الذي يُعلِّقها الغَالبُ أنَّه يَتعلَّق عليها في ذاتها.

الصَّواب المنع لأنَّه مَعضُودٌ بالأدلَّة والأصول

فهي مَمنُوعةٌ لهذه الوجوه، وهذا هو القول الصَّواب.

---

(١) هي: أماكن قضاء الحاجة. المصباح المنير (١/ ١٣٧).

(٢) أي: المَلْمُوس. الصِّحاح (٣/ ٩١٣).

. . . .

دليل مَنْ أجاز تعليق التَّمائم من القرآن والرَّدُّ عليهم

الذين يقولون: يجوز؛ يُعلِّلون بأنَّه قرآن وأدعية لا مَحذُور فيها.

وجَوابُهم: أنَّ هذا لا يَصلُح تعليلاً؛ فإنَّ الشَّيءَ يكون لا مَحذُورَ فيه في ذاته؛ بل بنسبةٍ أخرى، كالقرآن فإنَّه أَفضلُ الذِّكر؛ أَلَا ترى أنَّه حرام قراءته للجُنُب والحائض ونحوه؟!

وَالرُّقَى: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى: «العَزَائِمَ»، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ . . . .

الأمر الثَّاني: الرُّقى

(وَالرُّقَى) التي في حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه: **(هِيَ الَّتِي تُسَمَّى: «العَزَائِمَ»)** التي تُعْزَم على المرضى، بأنواعها؛ وهي مُنْقَسِمَة إلى قسمين: قسم يُنفَث على المريض، وقسم يُكتَب له ويُسْقَى إيَّاه.

سبب كون الرُّقى شركاً

وإنَّما كانت الرُّقى شركاً من أجل ما يُتعلَّق عليها تارة، ومن أجل ما يُذكَر عليها من أسماء الشَّياطِين.

خَصَّ الدَّليل بالجواز من الرُّقى ما خلا من الشِّرك

(وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ) بالجواز: **(مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ)** فما خلا من الشِّرك ما دخل في هذا، فالرُّقى التي خَصَّ الدَّليل؛ ما لم يكن فيها شرك، فيكون حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه من العامِّ المخصوص، وقال ﷺ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بالرُّقى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكاً»[(١)]، ورَقَى ﷺ[(٢)] ورُقِي[(٣)]، فصار في الرُّقى من العامِّ المخصوص.

---

(١) رواه مسلم، كتاب السَّلام، باب لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك، رقم (٢٢٠٠)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الطِّبِّ، باب رقية النَّبيِّ ﷺ، رقم (٥٧٤٣)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً».

(٣) رواه مسلم، كتاب السَّلام، باب الطِّبِّ والمرض والرُّقى، رقم (٢١٨٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: =

. . . .

شروط الرُّقية الجائزة ثلاثة

فالرُّقى الجائزة لا بُدَّ فيها من ثلاثة شروط - ومتى اختلَّ واحدٌ منها فهي من الرُّقى الشِّركيَّة التي في حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه -:

الأوَّل: أن تكون بلِسانٍ عربيٍّ معروفٍ؛ ومنه تَعرفُ المَنْع بالطَّلاسِم، ويُلحَق به ما لم يُعرَف معناه؛ فلو كان رجلٌ يَرْقِي بلِسانٍ غير مَعروفٍ فإنَّه يَحْتَمِل أن يكون رَقَى بشِرك، وكذلك اللِّسَان الأعجمي؛ فإنَّه يقلب لفظَ القرآن أعجميّاً.

الثَّاني: أن يكون معناها صحيحاً لا مَحذُور فيه وإن لم تكن مأثورة؛ لقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، والأفضل أن تكون من القرآن أو من الأدعية النَّبويَّة.

الثَّالث: أن لا يعتمد على ذات الرُّقْيَة في حصول المطلوب، فهذا شرط؛ بل تُفعَل ويُعتَقَد أنَّها سبب من الأسباب، إنْ رتَّب اللَّهُ عليه مُسبَّبه نفَع بإذن اللَّه، وإن سَلَبَه لم ينفع، فلو اعتقد الشَّخص أنَّه بذاته يُحَصِّل المطلوب كانت شركاً.

فإذا اشتملت على هذه الشُّروط جازت، وإلَّا رُجِع إلى الأصل، وهو حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه.

= بِسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ».

فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ.

متى تنفع الرُّقية الجائزة؟

والرُّقَى لا بُدَّ أن تكون في مَحلٍّ قابل، ولا بُدَّ أن يكون الحدُّ صارماً، والسَّيف يحتاج إلى زَنْدٍ[1]، وهو حالة الرَّاقي، والمحلُّ المَرْقيُّ، والصَّارم هو القوى الرُّوحانيَّة الرَّحْمَانيَّة.

(فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ) يعني: كما تقدَّم في حديث بُرَيْدَة رضي الله عنه الذي رواه مسلم[2].

---

(١) الزَّنْد: مَوْصِل طَرَف الذِّرَاع في الكَفِّ، والمراد هنا: القُوَّة. تاج العروس (٨/ ١٤٦).

(٢) (ص٢٥٤).

ومسلم هو: أبو الحسين مُسْلِم بن الحجَّاج بن مسلم القُشَيْرِي النَّيْسَابُوري، ولد سنة (٢٠٤هـ)، إمام، حافظ، صاحب الصَّحيح، كان أبو زرعة وأبو حاتم يُقدِّمَانِه في معرفة الصَّحيح على مشايخ عصرهما، توفِّي رحمه الله سنة (٢٦١هـ). وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ١٢٥).

وَالتِّوَلَةُ: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

الأمر الثَّالث: التِّوَلَة

(وَالتِّوَلَةُ: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ) وهو المُسمَّى بـ«الصَّرْف والعَطْف» - يَجعَلُون شيئاً يَصرِف قلبَ الرَّجُل إلى المرأة، وعكسه -، وبعضٌ يُسَمِّيه: «السِّحْر».

أكثرُ من يَصنعُ التِّوَلة هم النِّساء

وأكثر ما يَصنَعُه النِّساء - أكثر من الرِّجال -؛ لقَصْدِ تَحْبِيبِ أزواجهنَّ لهنَّ، وكذلك بالعكس إذا خشي أن لا تَوَدَّه زوجتُه.

التِّوَلة من أنواع السِّحر

وهو نوعٌ من أنواع السِّحْر، وليس فيه استثناء، ولم يُختَلَف فيه، ولم يُخَصَّص إذا تمَّ فيه شروط.

وجه كونِ التِّوَلَة شركاً

وإنَّما كان شركاً لكونه يتعلَّق القلب عليه في حصول المحبوب، المرأة تتعلَّق عليه لتَحْظَى بِحُبِّ زوجها، وكذلك الرَّجُل إذا خشي أن لا تَوَدَّه زوجتُه.

وَرَوَى أَحْمَدُ: عَنْ رُوَيْفِعٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ ....

(وَرَوَى أَحْمَدُ) يعني: الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده[1] **(عَنْ رُوَيْفِعٍ)** بن ثابت الأنصاريِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ)** أخبر ﷺ في هذا الحديث بطُولِ حياةِ رُوَيْفِع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فوقع كما أخبر، فلم يَمُتْ إلَّا بعد خمسين من الهجرة[2]، إذ أكثرُ الصَّحابة ما بلغ مثل ذلك ولا نصفها، وإن كان وُجِد مَنْ طال عمره؛ ففيه: عَلَمٌ من أعلام النُّبوَّة.

عَلَمٌ مِنْ أعلام النُّبوَّة

وهذا الإخبار من الرَّسول ﷺ لرُوَيْفِع بطُولِ حياتِه تمهيدٌ لِمَا أَسْنَدَه إليه وأَمَرَه به من إخبار النَّاس بهذه الأمور؛ فإنَّه يحصل لِمَنْ طال عُمُرُه من الحاجة إلى تبليغ ما عنده من العلم ما لا يحصل لقصير العُمُر من الصَّحابة؛ فإنَّ قصيرَ العُمُر إذا حُمِّل ببلاغِ مثل ذلك يكون في زمن هذا شيءٌ قد يوجد عند غيره، أمَّا الذي طال عُمُرُه فإنَّ مَنْ يَتلقَّى هذا العلم قد يكونون ماتوا.

أخبرَ النَّبيُّ ﷺ رُوَيْفِعاً بطول حياته تمهيداً لِمَا أَسْنَدَه إليه

(فَأَخْبِرِ النَّاسَ) وإخبار النَّاس وتبليغ العلم الشَّرعيِّ واجبٌ

وجوب تبليغ العلم الشَّرعيِّ

---

(١) رقم (١٦٩٩٥).

(٢) الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٤١٧).

أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، . . . .

على كلِّ مَنْ عندَه عِلْم، فإنَّ اللَّه قد أخذ الميثاق على مَنْ عندَه عِلْم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، وفي الحديث: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ؛ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]؛ كلُّ عِلْم يُحتاجُ إلى بيانه يَجبُ عليه أن يُخْبِرَ به، وإنَّما خُصَّ رُوَيْفِع رضي الله عنه لطُولِ عُمُرِه.

الأقوال في معنى عقد اللِّحيَة

(أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ) هذا من شأن متكبِّري العرب أن يعقدوا شعورهم تعاظماً وتكبُّراً[2]، فأمر رُوَيْفِعاً رضي الله عنه بالوعيد في عقد الشُّعُور من اللِّحيَة وغيرها على وجه التَّكبُّر؛ فإنَّ التَّكبُّرَ من الكبائر التي تقوم بالقلوب، وهي أعظم من كبائر اللِّسان.

عَقْدُ الشَّوارِب يدخل أيضاً في هذه العِلَّة

وهذه العِلَّة موجودة في الذين يُبقون الشَّوَارِب، ولا سيَّما الذين يَعمِدُون إلى اللِّحَى المأمور بإبقائها[3] فيَحْلِقُونَها، ويَعمِدُون إلى الشَّوَارِب فيَعْقِدُونَها، فيكونون قد تركوا المأمور وبَالَغُوا في المَحظُور، فيكونون مُستحقِّين - واللَّه أعلم - لهذا الوعيد؛ لأنَّهم يَعْقِدُونَها للتَّعاظُم والتَّكبُّر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٥١)، مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٢).

(٣) كما في حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ؛ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى» رواه البخاريُّ، رقم (٥٨٩٣)، ومسلم، رقم (٢٥٩).

أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً، . . . .

- وقيل: إنَّ المراد: ما يفعله أهل التَّأنيث[١]، الذين يُعالِجُون الشُّعور لتتجعَّد على صِفَة التَّأنيث[٢].

- وقيل: المراد: عَقْدُها في الصَّلاة[٣].

الشَّاهد من الحديث

(أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً) يعني: جعله مُعلَّقاً في عُنُقِ دابَّة، هذا هو الشَّاهد.

ففيه: الوعيد الشَّديد في تعليق الأوتار في أَعْنَاق الخيل والإبل؛ فإنَّ ذلك من صنيع أهل الجاهليَّة، كانوا إذا اخْلَوْلَقَت[٤] الأوتار عَلَّقُوها على نفائس الإبل والخيل تمائم؛ زَعْماً أنَّ العَيْنَ لا تُصِيبُها.

دلالة هذا الحديث وحديث أبي بَشير الأنصاريِّ رضي الله عنه

وتَقدَّم لك[٥] أنَّ الرَّسولَ ﷺ أرسل زيدَ بنَ حَارِثَة - مَوْلَى رسول اللَّه ﷺ -: («**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ: قِلَادَةٌ -؛ إِلَّا قُطِعَتْ**»)، فهذا مع ذاك الحديث كلاهما في المَنْع من تقليد الأوتار، وفي مجموعهما قطع ما يوجد منهما وعدم إبقائه، وفي آخرها الوعيد الشَّديد بتبرُّؤ النَّبيِّ ﷺ منه.

---

(١) أي: التَّشبُّه بالنِّساء. مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٥١)، مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٢).

(٣) حاشية السُّيوطيِّ على سنن النَّسائيِّ (٨/ ١٣٦).
قال الوالد رحمه الله: «ولم يَذكُر هذا شيخُنا في تقريره الأخير».

(٤) أي: بَلِيَتْ. متن اللغة (٢/ ٣٢٤).

(٥) (ص٣٨٣).

. . . .

وجه الدَّلالة من الحديثين

وتقدَّم[١] أنَّ وَجهَ الدَّلالة من الحديث السَّابق ووجه الدَّلالة من هذا الحديث: أنَّ النَّهيَ عنها من جنس النَّهي عن التَّمَائِم، وأنَّ العِلَّةَ واحدة، وهما نوعان، واجتمعا أنَّهما يُعَلَّقان على ما يُعَلَّقان عليه خشية العَيْن.

وجه الشِّرك في التَّمائم والقلائد

وهذا الحديث ليس فيه إلَّا الوعيد؛ وأمَّا كونها شركاً فقد دَلَّ عليه حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه: («**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ**»)، و(«**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**»)، وإنَّما كانت شِرْكاً لِمَا في تعلُّق القلوب عليها من دَفْعِ المكروه؛ فتبيَّن أنَّ التَّمَائِمَ والأوتارَ من الشِّرك.

التَّمائم والقلائد تستحقُّ أن يُرسَل لإبادتِها وإزالتِها

والأحاديث مُفيداتٌ غِلَظ التَّحريم، واستحقَّت أن يُرسلَ لإبادتها وعدم إبقاء شيء منها؛ ففيه: مزيد الأهمِّيَّة، وأنْ يُبْعَث إليه مَنْ يُزيلُه، فإنَّ التَّحريمات الشِّركيَّة أبلغ، فإنَّ كلَّ شيءٍ له من التَّغليظ بحسب الوارد فيه؛ فأغلظ المُحَرَّمات ما كان شركاً، فإنْ كان أكبر فهو أعظم، وصَغائرُ الشِّرك أَغلظُ من كبائر الذُّنُوب المُتوعَّد عليها باللَّعنة والغضب والنَّار؛ لأنَّ الشِّركَ لقب الدِّين الذي هو خلاف الإسلام، أصله هو لقب الكفر باللَّه، الذي هو عبادة غيره، ونحو ذلك.

---

(١) (ص٣٨٥).

أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ . . . .

(أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ) رجيع الدَّابَّة: روث الدَّابَّة؛ كالإبل، والغنم، والبقر.

تحريم الاستنجاء برَجِيعِ وعظم مَأكُول اللَّحم والعلَّة في ذلك

هذا يُفيدُ: تحريم الاستنجاء برجيع الدَّوابِّ التي تُؤكَل لحومها؛ لا من البول ولا من الغائط.

(أَوْ عَظْمٍ) أي: عَظْم الدَّوابِّ التي تُؤكَل لُحومُها.

والعِلَّة في ذلك هو: أنَّ وفدَ الجنِّ أَتَوُا النَّبيَّ ﷺ مسلمين، فسألوه الزَّاد، فقال: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَعُودُ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحماً، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ»، فمِنْ أَجلِ هذا نَهَى ﷺ عن الاستجمار بها، وقال: «إِنَّهَا زَادُ إِخْوَانِكُمْ»[(١)]، فتكون العِلَّة: أنَّ فيه تَقْذِير ذلك بالبول والغائط على مُسْلِمِي الجنِّ ودوابِّهم.

تحريم تقذير طعام الإنس ودوابِّهم بطريق الأَوْلَى

وإذا كان هذا في شأن دوابِّ الجنِّ؛ فعلف دوابِّ الإنس بطريق الأَوْلَى، لا يجوز كذلك؛ لأنَّ فيه تقذيرها، وإذا كان هذا في طعام الجنِّ؛ فيكون طعام الإنس من بابِ الأَوْلَى، فإذا كان ما يمنع من حَقِّ الجنِّ فيه هذا الوعيد، فيكون ما كان في حَقِّ الإنس أَوْلَى؛ وحَقُّهم أبلغ وآكد من حَقِّ الجنِّ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصَّلاة، باب الجهر بالقراءة في الصُّبْح والقراءة على الجنِّ، رقم (٤٥٠)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ مِنْهُ».

لا يُستنجى بعَظْم لم يُذْكر اسم اللَّهِ عليه لنجاسته

وقوله «ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»: يُبيِّن أنَّه عَظْم المُذكَّى، أمَّا عَظْم ما لم يُذْكَر اسم اللَّه عليه فهو نَجس، فلا يُستنجى به لأجل نجاسته، ولم يُعطَوْه.

النَّبيُّ ﷺ بَرِئ من الفعل والفاعل

(فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ مِنْهُ») الهاء في **(مِنْهُ)** راجعةٌ إلى فاعل ذلك، لا إلى الفعل[١] كما زَعَمَه بعض الشُّرَّاح[٢]؛ فإنَّه بريء من فاعله كما أنَّه بريء مِنْ فِعْله.

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

الشَّاهد: التَّغليظ على مَنْ علَّق تَمِيمَة، فيُفيدُ أنَّ تعليقَ ذلك من أعظم المُحرَّمات.

وتقدَّم لكم أنَّ كلَّ دليلٍ يَصلُح للأوتار يَصلُح للتَّمَائِم؛ فإنَّ التَّمَائِمَ هي ما يُعلَّق على الأولاد عن العَيْن، والأوتار هي هذه؛ فهي وإن اختلفت في الصُّورة فهي متَّفِقة في المعنى، وهو القَصْد من التَّعليق؛ السَّلامة من العَيْن عمَّنْ عُلِّقت عليه، وهذا من الشِّرك؛ لِمَا فيه من التَّعلُّق على غير اللَّه.

---

(١) فقط.

(٢) كالنَّوويِّ رحمه الله في كتابه: الإيجاز في شرح سنن أبي داود (١/ ١٩٢).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ» . . . .

التَّعريف بسعيد بن جُبَيْر رَحِمَهُ اللهُ

(وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) هو من جِلَّة[1] علماء التَّابعين[2]، ممَّنْ رَوَى التَّفسير عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو من الموالي.

تعريف التَّمِيمَة

(قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ) التَّمِيمَة: واحدة التَّمَائِم، وهي: ما يُعلَّق على الأولاد عن العَيْن - كما تقدَّم[3] -.

أنواع التَّمائم

وعَرَفْنَا: أنَّها تكون من عُوَذٍ مكتوبة، وتكون من عِظَامِ بعض الدَّوابِّ، وتكون من غير ذلك؛ وليس المنع لأجل نوعٍ ومادَّةٍ؛ بل من أجل ما يُتَعَلَّق به عليها من الاعتقاد؛ فتبيَّن أنَّ كلَّ شيءٍ اعتُقِد فيه فهو ممنوعٌ، ووارِدٌ فيه ما ورد في التَّمَائِم، ويدخل في اسْمِها وحُكْمِها، أو في حُكْمِها.

مُنِعَت التَّمِيمَة لِتَعَلُّق القلب بها

(كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»).

قَطْعُ التَّمائم كعِتْقِ الرِّقاب

هذا فيه: أنَّ قَطعَ التَّمَائِم عمَّنْ هي عليه؛ أنَّه يَعدِل عِتْق

---

(١) جِلَّة: جمع جليل. تهذيب اللُّغة (١٠/ ٢٦١).

(٢) هو: أبو مُحمَّد سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدي الوَالِبِي مولاهم، كان فقيهاً ورعاً، قرأ القرآن على ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَتَلَه الحَجَّاج سنة (٩٥هـ). سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٣٢١)، طبقات المفسِّرين للدَّاودي (١/ ١٨٨).

(٣) (ص٣٨٩).

. . . .

الرِّقاب الذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً؛ أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[(١)].

وجه المناسبة بين مَنْ قُطِعَتْ منه التَّميمَة وبين مَنْ أُعتقت رقبته

والمُناسَبة بَيْن المُشبَّه والمُشبَّه به: أنَّ قَاطعَ التَّمِيمة عن مُتعلِّقها فَعَل مع مَنْ هي عليه إحساناً أعظم من الإحسان إلى المَمْلُوك؛ بإخراجه من حَيِّز الرِّقِّ الذي هو يُشبَّه بالبهائم إلى حَيِّز الحريَّة الذي يَمْلك به أمر نفسه، ولا يكون لأحدٍ فيه مِلْك؛ بل قَاطِعُ التَّمَائِم أبلغ؛ لأنَّه قد أزال عنه رِقَّ الشَّيطان وعُبوديَّته، والشَّيطان لا يَأْلُو[(٢)] جهداً في إهلاك الإنسان، فإنَّ عندَه غاية العداوة لهذا النَّوع الإنسانيِّ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، فالذي قَطَعَ التَّمِيمَة عمَّنْ هي عليه قد أَخْرَجَه من رِقِّ الشَّيطان والشِّركِ إلى التَّوحيد؛ كما أنَّ عِتْقَ الرِّقاب تَخليصٌ لها من الرِّقِّ.

قَطْعُ التَّميمَة يُزيل رقَّ الشَّيطان

فوائد من الحديث

وهذا الحديث يُفيدُ: أنَّ لُبسَها حرام.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب كَفَّارات الأَيمان، باب قول اللَّه تعالى: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾، و«أَيُّ الرِّقَابِ أَزْكَى»، رقم (٦٧١٥)، ومسلم، كتاب العتق، باب فضل العتق، رقم (١٥٠٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: لا يَفتُر ولا يُقصِّر. الصِّحاح (٦/ ٢٢٧٠)، تاج العروس (٣٧/ ٨٩).

رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وجه مطابقة الأثر للتَّرجمة

وفيه: الحَثُّ والتَّحريض على قَطْع ما يوجد من التَّمَائِم وإزالتِها، والسَّعيِ في إعتاق هذا الإنسان من رِقِّ الشِّرك، وأنَّ فيه الأجر الجزيل، وأنَّه يساوي عِتْق الرِّقاب.

طريقة إزالة التَّمِيمَة

وفيه: أنَّها تُقطَع قطعاً لا تُفَكُّ فَكّاً؛ وذلك تعظيماً لشأن الشِّرك وتَهْوِيلِه وبيان إهلاكِه.

للأثر حكم الرَّفع عند بعض أهل العلم

وهذا الحديث له حُكْم الرَّفْع عند طائفة من أهل العلم[1]؛ لأنَّ مثلَ هذا لا يُقالُ بالرَّأي، أمَّا إذا قال ذلك الصَّحابيُّ فهو عند جميعِهم له حُكْم الرَّفع[2]؛ و(**سَعِيدٌ**): من التَّابعين فيكون مُرْسَلاً.

التَّعريف بوَكِيع رَحِمَهُ اللَّهُ

(رَوَاهُ وَكِيعُ) بن الجرَّاح[3]، الذي هو أحد شيوخ أحمد

---

(١) فتح المغيث (١/ ١٦٦).

(٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (١/ ٢٧٧)، البحر المحيط لبدر الدِّين الزَّركشيِّ (٨/ ٦٧)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٥٣).

(٣) لم أقف على رواية وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ، ورواه ابن أبي شيبة في المُصَنَّف، كتاب الطِّبِّ، في تعليق التَّمائم والرُّقى، رقم (٢٣٤٧٣).

ووَكِيع هو: أبو سفيان وَكِيع بن الجرَّاح بن مليح الرُّؤاسي، ولد سنة (١٢٩هـ)، من الحُفَّاظ المُتقِنين، وأهل الفضل في الدِّين، رحل وكتب، وجمع وصَنَّف، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٦هـ). مشاهير علماء الأمصار (ص٢٧٣)، تاريخ بغداد (١٥/ ٦٤٧).

. . . .

والشَّافعيِّ(١)، وهو الذي يقول فيه:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي   فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ   وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي(٢)

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إدريس بن العبَّاس الشَّافعي القُرشي، ثمَّ المُطَّلبي، ولد سنة (١٥٠هـ)، مُحَدِّثٌ، فقيه، أحد أئمَّة المذاهب الأربعة، انتشر عِلْمه في الآفاق، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٠٤هـ). حلية الأولياء (٩/ ٦٣)، سير أعلام النُّبلاء (١٠/ ٥).

(٢) ديوان الشَّافعي (ص٧٢).

وَلَهُ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «كَانُوا . . . .

التَّعريف بإبراهيم النَّخعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(وَلَهُ) أي: للإمام وَكِيع (عَنْ إِبْرَاهِيمَ) بن يزيد النَّخعيِّ[(١)]، أحد أَجلَّة[(٢)] علماء التَّابعين ومشاهيرِهم.

صيغة يستعملها النَّخعي في كثير من رواياته

(قَالَ: «كَانُوا) هذا ضمير جمع، ولكن المراد به: أصحاب عبد اللَّهِ بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كعَلْقَمَة[(٣)] والأَسْود[(٤)] والحارث بن سويد[(٥)]، وعَبِيدة السَّلماني[(٦)]، ومَسْرُوق[(٧)]، والرَّبيع بن

---

(١) هو: أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النَّخعي، الكوفي، إمام، حافظ، مُحدِّث، فقيه العراق، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٩٦هـ). سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٥٢٠)، تقريب التَّهذيب (ص٩٥).

(٢) أجلَّة: جمع جليل. تاج العروس (٢٨/ ٢٢٥).

(٣) هو: أبو شبل عَلْقَمَة بن قيس بن عبد اللَّه النَّخعي، فقيه، إمام، بارع، طيِّب الصَّوت بالقرآن، ثَبْتٌ فيما يَنْقُل، صاحب خير وورَع، كان يُشَبَّه بابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هَديِه ودَلِّه وسَمْتِه وفَضلِه، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٢هـ). الطَّبقات الكبرى (٦/ ٨٦)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ٣٩).

(٤) هو: أبو عَمْرو الأسود بن يزيد بن قيس النَّخعي، إمام، فقيه، يُضرَب بعبادتِه المَثَل، أدرك زمن النَّبيِّ ﷺ مُسلِماً ولم يَرَه، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٥هـ). أُسْد الغابة (١/ ١٠٧)، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٥٠).

(٥) هو: أبو عائشة الحارث بن سويد التَّيمي الكوفي، إمام، ثقة، ذكره أحمد بن حنبل فعظَّم شأنَه ورفَع قدرَه، من عِلية أصحاب ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر خلافة ابن الزُّبَيْر. سير أعلام النُّبلاء (٤/ ١٥٦)، تهذيب التَّهذيب (٢/ ١٤٣).

(٦) هو: أبو مُسلِم عَبِيدة بن عَمْرو السَّلماني المُرادي الكوفي، مُحدِّث، فقيه، أسلم قبل وفاة رسول اللَّه ﷺ بسنتين ولم يَرَه، سمع من عُمَر بن الخَطَّاب، وعَلِيِّ بن أبي طالب، وعبد اللَّه بن مسعود، وعبد اللَّه بن الزُّبَيْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٢هـ). الثِّقات لابن حِبَّان (٥/ ١٣٩)، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢٢).

(٧) هو: أبو عائشة مَسْرُوق بن الأجدع بن مالك الوَادعي الهَمداني، من كبار التَّابعين، =

يَكْرَهُونَ . . . .

خُثَيْم[١]، وغيرهم من أصحابِ ابن مَسعودٍ رضي الله عنه[٢].

وهذه الصِّيغَة كثيراً ما يستعملها إبراهيم، ويريد بها الجمع المُقيَّد، وهم أصحاب عبد اللَّهِ بن مَسعودٍ رضي الله عنه.

معنى الكراهة عند السَّلَف

(يَكْرَهُونَ) يعني: يُحَرِّمون، فإنَّ الكَراهَة في أَلْسُن السَّلَف تُطلَق ويُراد بها: التَّحريم، وتُطلَق ويُراد بها: التَّنزيه، وهذا المراد به: كراهة التَّحريم.

فمِنَ الأوَّل: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾؛ لأنَّ قبل هذا التَّعداد: الأمورُ المُحَرَّمات.

ومنه في الثَّاني: «وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا - أَيِ: العِشَاءِ -، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا»[٣]، هذه كراهة تنزيه.

= مُحدِّث، فقيه، روى عن عدَّة من الصَّحابة منهم الخلفاء الأربعة، وكان من أصحاب ابن مسعودٍ الذين يُقرِئُون ويفتون، توفِّي رحمه الله سنة (٦٣هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٣٩٦)، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٦٣).

(١) هو: أبو يزيد الرَّبيع بن خُثَيْم بن عائذ الثَّوري الكوفي، إمام، عابد، كبير الشَّأن، أدرك زمان النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه، وكان ابن مسعودٍ رضي الله عنه يقول له: «لو رَآكَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لأحبَّك»، وهو قليل الرِّواية، توفِّي رحمه الله سنة (٦٥هـ). تهذيب الكمال (٩/ ٧٠)، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ٢٥٨).

(٢) كأبي وائل شقيق بن سلمة، وسويد بن غفلة. فتح المجيد (ص١٣٣).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب وقت العصر، رقم (٥٤٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب استحباب التَّبكير بالصُّبح في أوَّلِ وقتها، =

التَّمَائِمَ كُلَّهَا؛ مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ».

الكراهة عند السَّلَف تُطلَق على التَّحريم أكثر

وهي في أَلْسُن السَّلَف المراد بها التَّحريم أكثر[1]، وهي التي في لغة القرآن، ومِنَ الكَرَاهةِ المراد بها التَّحريم: قَولُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا سُئِل عن النُّشرة: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ»[2]؛ أي: يُحَرِّم هذا كُلَّه.

مَسلَك ابن مسعود وأصحابه وأكثر السَّلَف: تحريم التَّمائم مطلقاً

(التَّمَائِمَ كُلَّهَا؛ مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ»[3]).

فهؤلاء مَسْلَكُهم مَسْلَكُ إمامهم ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو: تحريم التَّمَائِم مُطلَقاً.

القولُ الصَّواب: تحريم التَّمائم مطلقاً

وهذا المَسْلَك هو المُتعيِّن، والنِّزاع يُرَدُّ إلى اللَّه والرَّسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فإذا فعلنا ما وجب علينا في هذه وغيرها من مسائل النِّزاع؛ وجدنا في النُّصوص ما يدلُّ على التَّحريم، وأنَّه لا فرق بين التَّمَائِم التي المكتوب فيها شيء من القرآن وغيرها؛ للعِلَل الأربع[4].

= وهو التَّغْلِيس، وبيان قَدْر القراءة فيها، رقم (٦٤٧)، من حديث أبي بَرْزَة الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) إعلام الموقِّعين (٢/ ٨١).

(٢) يأتي في «بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ»، المجلد الثَّاني (ص٣٤٩).

(٣) لم أقف على رواية وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ، ورواه ابن أبي شيبة في المُصَنَّف، كتاب الطِّبِّ، في تعليق التَّمائم والرُّقى، رقم (٢٣٤٦٧).

(٤) المُتقدِّم ذكرها (ص٣٩٠).

. . . .

فصار القولُ الصَّوابُ المَنصورُ هو: المَنْع مُطْلَقاً.

الرَّدُّ على مَنْ يُجيز التَّمائم من القرآن

والمُرخِّص لا حُجَّة معه من كتابٍ ولا سُنَّةٍ، والمُرخِّص ظنَّ فرقاً بين القرآن وغيره، وهذا الفرق لا يُؤثِّر، فإنَّ الفروق منها ما يُؤَثِّر، ومنها ما لا يُؤَثِّر - كهذا الفَرْقِ -.

حال مَنْ يجيز التَّمائم لأجل المال

ولا عبرة بالذين يجيزون ذلك لأجل الدَّرَاهِم، ويَتَشبَّثُون بقول بعض أهل العلم الذي ليس فيه دراهم[1]، وهؤلاء لهم نَصيبٌ من الذين يأخذون بالرُّخَص لأجل شهواتهم، فهؤلاء الذين أفسدُوا كثيراً، وفتحوا بهذا باباً عريضاً من أبواب الشَّرِّ والشِّرك على المسلمين، حتَّى صار التَّوحيد منسوخاً، فهذا يُمَجِّد صاحب القبر، ويقول: فَعَل كذا وكذا؛ لأجل أن يأخذ الدَّرَاهِم، وهذا يُصوِّر ويأخذ دراهم.

التَّمَائِم تُفْضِي إلى الشِّرك فكان تحريمها وجيهاً

لو ما في التَّمَائِم إلَّا أنَّها تُفْضِي إلى الشِّرك؛ بل لو كان يُفْضِي إلى ما هو مكروه أو مُحَرَّم لكان المَنْع من ذلك وجيهاً، فكيف إذا كان يُفْضِي إلى الشِّرك؟! بل لو زعم[2] أنَّه مُستحبٌّ؛ مع أنَّه ليس هنا مُستحبٌّ يُفْضِي إلى الشِّرك؛ ولا داعي إلى ذلك

---

(١) أي: لا عبرة بالذين يُجيزون التَّمائم من القرآن لأجل أخذ الدَّراهم، ويستدلُّون بأقوال بعض السَّلَف الذين يُجِيزونها كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن المُسَيَّب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ الذين لم يريدوا بذلك الدَّراهم، وإنَّما بيانَ الحُكْم الشَّرعيِّ.

(٢) أي: المرخِّص.

. . . .

ما أَفْسدَ الدِّين إلَّا المال

إلَّا الـدَّرَاهـم؛ مـا أَفْسـدَ الـدِّيـن إلَّا الـدَّراهـم فـي قـديـم الـزَّمـان وحَديثِه.

حاصل ما تقدَّم

فالحاصل من الحديث الأوَّل: أنَّ قَطْعَ الأوتار من الإبل فيه دليلٌ على قطع التَّمَائِم؛ لأنَّ المقصد واحد، وهو جَلْب النَّفع أو دَفْع الضُّرِّ، وكلُّ دليلٍ يَصلُح للأوتار يَصلُح للتَّمَائِم.

والتَّمَائِم منقسمة إلى قسمين:

- قسمٌ: شِركٌ تعليقها.

- وقسمٌ: مُختلَفٌ فيه، والصَّحيح مَنْعُه؛ للأوجه السَّابقة، ولفعل السَّلَف؛ منهم: ابن مَسعودٍ رضي الله عنه.

وحديث: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ**» صَريحٌ في أنَّها من الشِّرك.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ؛ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.

(فِيهِ مَسَائِلُ):

تعريف الرُّقَى والتَّمَائِمِ والتِّوَلَة

(الأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ) وعَرَفْنَا: أنَّ الرُّقى التي يُرْقَى بها المريض هي التي تُسمَّى: «العَزَائِم».

وأنَّ التَّمَائِمَ: ما يُعلَّق على الأولاد عن العَيْن.

(الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ) وهو الذي يُسمَّى: «الصَّرْف والعَطْف»، شيء يَصنَعُونَه يَزعُمُون أنَّه يُحَبِّب المرأة إلى زوجها، والرَّجُل إلى امرأتِه.

الرُّقَى والتَّمَائِم والتِّوَلَة كلُّها شرك

(الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ؛ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ) يعني: أنَّ حديث ابن مَسعودٍ رضي الله عنه دَلَّ على أنَّ كلّاً من الثَّلاثة شرك، ولم يَسْتَثْنِ شيئاً منها، لا واحدة ولا بعض واحدة، فدَلَّ على أنَّها من الشِّرك من غير استثناء شيءٍ منها، فإذا كان كذلك تُمُسِّك بهذا العُمُوم، ولا يخرج إلَّا ما عُلِم إخراجه بدليلٍ آخرَ ثابت.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالكَلَامِ الحَقِّ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ.

استثني من عُمومِ حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرُّقية الجائزة

نعم، جاء بَعضٌ[(١)] أنَّه يُسْتَثْنَى منه، فما جاء أنَّه يُسْتَثْنَى استثنينا، وما لم يَجِئْ نبقى على العُمُوم ولا نَسْتَثْنِي، فالرُّقى الجائزة مَعلومَة، والتِّوَلَة لم يَجِئْ شيءٌ يُجوِّز شيئاً منها، والتَّمَائِم من غير القرآن لم يَجِئْ شيءٌ يُجوِّز شيئاً منها، والتَّمَائِم من القرآن فيها كلام لبعضٍ، وإذا أردنا وعَمِلْنا بآية ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾؛ وَجَدْنَا في النُّصوص ما يدلُّ على التَّحريم، وأنَّه لا فَرْقَ بين التَّمَائِم التي المكتوب فيها شيء من القرآن وغيرها، فصار القول حقيقةً قولَ المانعين - ولا قول لِمَنْ ليس مِثلهم إلَّا أخذ القُرُوش -، ومَنْ قال من السَّلَف[(٢)] قولٌ، ويُرجَع إلى الدَّليل.

من شروط الرُّقية الجائزة: خُلُوُّها من الشِّرك وأن تكون بلسانٍ مَعلومٍ

(الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالكَلَامِ الحَقِّ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ) يعني: أَخرَجَ من عموم الحديث الرُّقيةَ بالكلام الحَقِّ نُصوصٌ أُخَر دَلَّت على جوازها بذلك[(٣)]، فصار المَعنيُّ: الشِّركيَّة

---

(١) أي: من العموم.

(٢) بالجواز فهو.

(٣) كما في حديث أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ - لُدِغَ -، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا، مَا كُنَّا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقْيَةً، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ فَبَرَأَ، فَأَعْطَوْهُ غَنَماً، وَسَقَوْنَا لَبَناً، فَقُلْنَا: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً؟ فَقَالَ: مَا رَقَيْتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا تُحَرِّكُوهَا حَتَّى =

الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ القُرْآنِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ، أَمْ لَا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ تَعَلَّقَ وَتَراً.

واللِّسانَ غير المعلوم، أمَّا الذي باللِّسانِ المَعلومِ وكان حَقّاً فلا بأس؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ رَقى ورُقي[١].

الصَّواب منع التَّميمَة ولو كانت من القرآن

(الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ القُرْآنِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ، أَمْ لَا؟) والصَّواب: قولُ مَنْ جعلَها من ذلك، وحَسَم المادَّة، وحَسَم الباب؛ مِنْ ناحية سدِّ الذَّرائع، ومن ناحية الأخذ بظواهر الأحاديث، ومن ناحية سدِّ مفسدةٍ أخرى[٢].

تعليق الأَوْتَار شرك أصغر

(السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ) من الشِّرك، يعني: الأصغر.

الوعيد الشَّديد على مَنْ تَعلَّق وَتَراً

(السَّابِعَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ تَعَلَّقَ وَتَراً) (فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ

= نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ» رواه البخاريُّ، رقم (٥٠٠٧)، ومسلم، رقم (٢٢٠١).

(١) سبق تخريجهما (ص٣٩٤).

(٢) وهي ما تقدَّم من أنَّ مَنْ يَلبسُه من الأطفال يدخل به الحُشُوش (ص٣٩٢).

الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ.

مِنْهُ)؛ وعيدٌ شديد.

فَضْلُ ثواب مَنْ قطع تميمةً من إنسان

(الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ) كونه يَعْدِل عِتْق الرِّقاب، وقد قال ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً؛ أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[1].

مُراد النَّخعيِّ في قوله «يكرهون»: أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه

(التَّاسِعَةُ: كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ) بن مَسعودٍ رضي الله عنه: عَلْقَمَةُ، والأَسْوَد، والحارث بن سويد، وعَبيدة السَّلماني، ومَسْرُوق، والرَّبِيع بن خُثَيْم، وغيرهم من أصحابِ ابن مَسعودٍ رضي الله عنه.



---

(١) سبق تخريجه (ص٤٠٥).

بَابُ مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجرٍ وَنَحْوِهِمَا

بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجرٍ وَنَحْوِهِمَا

شرح التَّرجمة

(بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ) الشَّجرة واحدة الأشجار.

(أَوْ حَجَرٍ) الحجر واحد الأحجار.

(وَنَحْوِهِمَا) يعني: ما يُشْبِهُهما؛ من بقعةٍ، أو زاويةٍ، أو مغارةٍ، أو أسطوانةٍ، أو غيرِ ذلك.

معنى التَّبرُّك بالشَّجرة والحجر ونحوهما

(مَنْ تَبَرَّكَ) أي: اعتقد البركة من هذه الأمور، وأمَّل فيها البركة أو عائدةً تعود إليه من جهتها؛ من جَلْبِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضُرٍّ، وسواء اعتقد ذلك منه بعينه، أو أنَّه سبب؛ والأوَّل ظاهر، والثَّاني أنَّ مِنْ جملة ما يدلُّ عليه: أنَّه من باب الواسطة لا من باب الاستقلال.

التَّبرُّك بالشَّجرة والحجر ونحوهما شرك أكبر

يعني: ما حُكمُه؟

حُكمُه: أنَّه مُشرك الشِّرك الأكبر؛ لكونه تعلَّق على غير اللَّه في حصول البركة، وإن كان اللَّه جعل فيه بركة.

هذا معنى التَّرجمة.

الفَرْقُ بين حكم اعتقاد البركة وحكم لبس الحلقة

وإنْ قُلتَ: لِمَ قيل هنا هذا، وهناك في لُبْسِ الحَلْقَة قيل: من الأصغر إذا رأى أنَّه سبب؟

. . . .

فالفرق: أنَّ هذه المذكورات في هذه التَّرجمة هي جنس الاعتقاد في الأوثان، فإنَّ اللَّات هي من هذا الباب، فالاعتقاد في هذه جنس، والاعتقاد في الحَلْقَة والخَيْط ونحوهما جنس، فلا تَصِل الحَلْقَة إلى الأكبر إلَّا إذا اعتقد استقلالاً، وهنا هو تَعلُّق كِنانَة ونحوهم على الشَّجَرة[١]؛ والشَّجَرُ ونحوُه[٢] كمَنْ يَتعلَّق على مَناة.

لا فَرْقَ بين التَّبرُّك بما جنسه يشفع وبين التَّبرُّك بالشَّجر والحجر فكلاهما شرك أكبر

وإنْ قُلتَ: هذا يُقالُ فيما جِنسه يَشْفَع، وهذه لا يُعتقَد فيها ذلك[٣]؟

قيل: الجامع بين هذه الأشياء من الشَّجَر ونحوه، ومَنْ جنسه يشفع سواء؛ المقصود واحد، وسيرة الرَّسول ﷺ واحدة فيمَنْ يَعتقد في هذه الأشياء وبين مَنْ يَعتقد في الملائكة ونحوها، والمُؤَلِّف ذكر في «الأربع القواعد»[٤]: «أَنَّهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي عِبَادَاتِهِمْ؛ مِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ

---

(١) أي: شَجرة العُزَّى.

(٢) في التَّعلق بها.

(٣) أي: وإن قلتَ: إنَّ هذا الحكم - وهو الشِّرك الأكبر - فيمَن اعتقد البركة فيما جنسه يَشفع كالملائكة والأنبياء؛ أمَّا مَن اعتقد البركة فيما جنسه لا يَشفع كالأشجار والأحجار فهو شرك أصغر.

(٤) أي: في رسالته «القواعد الأربع» - ضمن متون طالب العِلْم - بتحقيقنا (ص٦٥).

. . . .

المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ».

ولم يكن استفصالٌ في عبدة الأشجار: هل الاعتقاد فيها من باب السَّبب، أو أنَّها بذاتها تدفع المَرهُوب وتجلب المطلوب؛ حكَمَ[١] أنَّه مشرك الشِّرك الأكبر.

التَّبرُّك شرك أكبر ومُجرَّد سؤاله شرك أصغر

وإنْ قلتَ: إنَّ المُصَنِّف قال في المسائل[٢]: إنَّ الشِّركَ فيه[٣] أصغر؟!

قيل: مُرادُ المُصَنِّف: مُجَرَّد سؤالهم من الشِّرك الأصغر، واستحسانهم، ولذلك لم يُكفَّروا؛ بل لَمَّا نبَّهَهُم تنبَّهُوا وارتاعوا[٤]، ولم يفعلوا؛ ولهذا قال في «الكشف»[٥]: «يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[٦]؛ لَمْ يَكْفُرُوا.

---

(١) أي: الرَّسول ﷺ.

(٢) أي: مسائل هذا الباب؛ وهي المسألة الحادية عشرة (ص٤٤٥).

(٣) أي: في التَّبرُّك.

(٤) أي: فزعوا. تهذيب اللُّغة (٣/ ١١٣).

(٥) أي: كتاب «كشف الشُّبهات» - نسخة الحواشي - بتحقيقنا (ص١٢٧).

(٦) يأتي بيانها (ص٤٣٤).

. . . .

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا».

فالجمع بين ما في المسائل وما في «الكشف»: أنَّ الفِعلَ لا يكون إلَّا أكبر، وأمَّا الطَّلَبُ والاسْتحسانُ فهو يلحق بالأصغر.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ . . . .

كانت ثَقِيف تَعبدُ اللَّات

(وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾) طاغِيَةُ ثَقِيفٍ بالطَّائف[1].

قولان في معنى ﴿ٱللَّٰتَ﴾ والجمع بينهما

و(﴿ٱللَّٰتَ﴾) قيل: إنَّه رَجُلٌ كان يَلُتُّ السَّوِيق[2] للحَاجِّ، فمَات فعَظَّمُوه مِنْ أَجلِ ذلك[3]، وبنوا على قبره تلك البِنْية وعَبدُوه.

وقيل: إنَّها الصَّخْرة التي كان يجلس عليها في سَلْوه[4]؛ ما يَسْلوه من السَّوِيق للحُجَّاج[5].

والكلُّ سواء في الحُكْم، فالصَّخرة إنَّما عُبِدَت مِن أجلِه، فهي تَبعٌ، فصاروا يعبدون اللَّات.

وهكذا سواء بسواء؛ فُعِل بالقبور نظير ما فُعِل باللَّات والصَّخرة التي يجلس عندها.

---

(١) الطَّائف: مدينةٌ شرقَ جنوبِ مكَّة المكرمة، تبعد عنها تسعين (٩٠) كيلومتراً. معجم البلدان (٤/ ٨)، أطلس الحديث النَّبويِّ (ص٢٤٤)، المعالم الأثيرة (ص١٧٠).

(٢) أي: يخلط دقيق الشَّعِير بالسَّمْن وغيره. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٣٠)، تاج العروس (٢٥/ ٤٨٠).

(٣) لسان العرب (٢/ ٨٣)، عمدة القاري (٢٣/ ١٧٨)، تاج العروس (٥/ ٧٤).

(٤) أي: في طبخه. المصباح المنير (١/ ٢٨٧).

(٥) لسان العرب (٢/ ٨٣)، عمدة القاري (٢٣/ ١٧٨).

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾.

أهل الجَاهليَّة يَعبدُون الصَّالحين أيضاً

وفيه: بيان أنَّ أهلَ الجاهليَّة كانوا يَعبُدُون الصَّالحين والأصنام، يعني: ليست مقصورة على الأصنام، وهو دليلٌ لترجمة الغُلُوِّ في الصَّالحين[1].

العُزَّى شجرةُ سَمُر كانت كِنانة وقريش تعبدها

(﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾) طَاغِيَةُ كِنَانَةَ وقريشٍ ومَنْ يَلْتَحِق بهم، وهي: شجرةُ سَمُرٍ بوادي نخلة[2]؛ بين مكَّة والطَّائف، وهي المضيق الآن، وتُسَمَّى: «نخلة الشَّاميَّة» - أي: الشَّماليَّة[3] -، واليمانيَّة هي الزَّيْمَة[4].

قصَّة قَطْع سَمُرات العُزَّى وهَدْم البيت الذي عليها

وقد بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بن الوليد رضي الله عنه لقطع السَّمُرَات وهَدْمِ البيت الذي كان عليها، فأتاها خالد؛ فإذا امرأة عريانة ناشرة شَعرَها تَحْتَفِن التُّراب على رأسها[5]، فعَمَّمَها[6] بالسَّيف فقتَلَها،

---

(١) أي: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وسيأتي في المجلد الثَّاني (ص٢٣٢).

(٢) أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ١٢٦)، تفسير القرطبيِّ (١٧/ ٩٩).

(٣) النَّخلة الشَّاميَّة: موضعٌ يبعدُ عن مكَّة ستِّين (٦٠) كيلومتراً، شمالَ شرقِ الزَّيْمَة، يبعد عنها عشرة (١٠) كيلومترات. معجم ما استعجم (٤/ ١٣٠٤).

(٤) الزَّيْمَة: موضعٌ شرقَ شمالِ مكة، يبعدُ عنها خمسين (٥٠) كيلومتراً، غربَ السَّيْل الكبير، يبعد عنه ثلاثين (٣٠) كيلومتراً. معجم البلدان (٣/ ١٦٥).

(٥) أي: تأخذ التُّراب بمِلْء كَفِّها وتَضَعُه على رأسها. لسان العرب (١٣/ ١٢٥).

(٦) أي: أصابها. مقاييس اللُّغة (٤/ ١٨).

. . . .

ثمَّ رجع إلى رسول اللَّه ﷺ فأخبره، فقال: «تِلْكَ العُزَّى»[١].

والظَّاهر: أنَّ هذا هو الشَّيطان الذي فيها، كما ذكر اللَّه[٢]، وهذا الشَّيطان قد يَبْدُو للنَّاس ويُخاطِبُهم.

مناة أكَمَة كانت خُزَاعَة والأَوْس والخَزْرَج تَعبدُها

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ طَاغِيَة خُزَاعَة والأَوْس والخَزْرَج، ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾، وهي: أَكَمَة[٣] عند مكَّة نحو قُدَيْد[٤]، كانت بالمُشَلَّل[٥] بين مكَّة والمدينة[٦].

نَصَّ اللَّهُ على هذه الأوثان الثَّلاثة لكونها أعظمها

وهذه الأوثان الثَّلاثة هي أعظم الأوثان الموجودة المعبودة من دون اللَّه، ولذا نصَّصَ عليها بأعيانها في القرآن، وإلَّا ففي الحجاز أوثان كثيرة، كما أنَّ الأوثانَ في بقيَّة بلاد العرب كثيرة.

تقدير الجواب في الآية

قال بعض المُفسِّرين: في الكلامِ حذف، تقديرُه: هل نَفَعَت

---

(١) رواه النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب التَّفسير، سورة النَّجم، رقم (١١٤٨٣)، من حديث أبي الطُّفَيْل رضي الله عنه.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾ [النساء: ١١٧].

(٣) أي: مكانٌ مُرتفعٌ كالرَّابِيَة. غريب الحديث لابن الجوزيِّ (١/ ٣٣).

(٤) قُدَيْد: مَوْضعٌ بين مكَّة والمدينة، يبعد عن مكَّة مئة وأربعين (١٤٠) كيلومتراً. المعالم الأثيرة (ص٢٢٢).

(٥) المُشَلَّل: ثَنِيَّة شَمَال قُدَيْد. إرشاد السَّاري (٣/ ١٨٧)، معجم المعالم الجغرافيَّة (ص٢٩٨).

(٦) أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ١٢٥).

. . . .

أم ضَرَّت حتَّى تَعبُدُوها؟![(١)]

يعني: أنَّكم تَعلَمُون أنَّها لا تَنفعُ ولا تَضُرُّ؛ فكيف تجعلونها أنداداً في العبادة لِمَنْ بيده النَّفع والضُّرُّ؟!

الاستدلال بالرُّبوبيَّة على الأُلوهيَّة

وهذا جنس الاستدلال بالرُّبوبيَّة على الأُلوهيَّة، فإذا كان هو المُتفرِّد بالنَّفعِ والضَّرِّ، فكيف يَصِحُّ أنْ يُجعَل مَنْ ليس له شِركة في شيء؛ أنْ يُجعَلَ له نصيبٌ من العبادة؟!

أسماء آلهة المشركين مُؤَنَّثة

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وهذه أسماء إناث؛ سَمَّوا اللَّات من الإله، والعُزَّى من العزيز، وجعلوا هذه آلهة.

﴿ٱللَّٰتَ﴾ فيها قراءتان

واللَّات فيها قراءتان[(٢)]:

- بالتَّشديد[(٣)]؛ اسم فاعل كالحَاجِّ والشَّادِّ، مِن لَتِّ السَّوِيق - من دقيق البُرِّ ونحوه - بالسَّمْن.

- وأمَّا قراءة التَّخفيف[(٤)] فهي تأنيث من اسم الجلالة «اللَّه» - تعالى اللَّه -.

---

(١) تفسير أبي السُّعود (٨/ ١٥٨).

(٢) متواترتان. النَّشْر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٩).

(٣) أي: تشديد التَّاء، وهي رواية رويس عن يعقوب. النَّشْر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٩)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٥٢٢).

(٤) وبها قرأ باقي الرُّوَاة. النَّشْر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٩)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٥٢٢).

. . . .

من شأن الجاهليَّة: إضافة المنقوصات إلى اللَّه والكمال لأنفسهم

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ فإنَّ هذا من شأن الجاهليَّة؛ يضيفون المنقوصات إلى اللَّه والكمال لأنفسهم، مِنْ ذلك: جَعْلُهُم الملائكةَ أولادَه، وجَعْلُهم بناتٍ، ومنه ما في هذه الآية، كما ذَمَّهم من النَّاحية الأخرى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾.

ولهذا قال سبحانه في هذه القِسْمَة: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾، يعني: جائِرَة خارجة عن النَّصَف[(١)].

حقيقة أُلوهيَّة الأوثان: مُجَرَّد أسماء بلا برهان

ثمَّ قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، يعني: إنْ أُلوهيَّة تلك المذكورات إلَّا مُجَرَّد أسماء سَمَّوْها مِنْ عند أنفسهم، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾، فلا حقيقة لألوهيَّتها، وأنَّها شيءٌ باطل؛ بل هي أبطل الباطل.

وهي أعظم الأوثان المعبودة في الحجاز، وإلَّا فالأوثان في الحجاز كغيره كثيرة، فإذا كان حَقيقتُها أسماء لا غير، فما دونَها بطريق الأَوْلَى.

---

(١) أي: الإنصاف والعَدْل. الصِّحاح (٤/ ١٤٣٢)، المصباح المنير (٢/ ٦٠٨).

. . . .

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بأُلوهيَّتها ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من حُجَّة؛ وسُمِّيت الحُجَّة: «سلطاناً»؛ لِمَا فيها من السُّلْطَة على القلب والعقول، المُصيِّر لقَبُول المدلول.

فساد عِلْم المشركين فلا مُستَند لهم في شركهم سوى الظَّنِّ

يعني: بلا برهان؛ لا من الشَّرع، ولا من العقل، ولا من الحِسِّ، فنَحْلُهم[1] هذه الإلهيَّة ما أخذوها من عقلٍ ولا حِسٍّ ولا برهان؛ بل هم يَعلَمون أنَّها كسائر الأحجار والأشجار؛ بل هم يَعلَمون أنَّ اللَّه هو الحَقُّ، لكن ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ يعني: ما يتَّبِعُون في عبادتهم إيَّاها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني: ليس لهم مُستَنَدٌ في هذا المَسْلَكِ الرَّديءِ الضَّالِّ - وهو التَّعلُّق على هذه المخلوقات -، ما يتَّبِعُون في ذلك العِلْم؛ مفاليس من العِلْم، ما معهم إلَّا الظَّنُّ، والظَّنُّ ليس بعلم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»[2]، هذا وَصفُهم بفَسادِ العِلْم.

فساد إرادة المشركين فلا يُؤْثِرون إلَّا شهواتهم

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ فوصَفَهم بفَسادِ الإرادة، فلو كان لهم عِلْمٌ صحيحٌ فإرادتُهُم فاسدة؛ لا يُؤْثِرون إلَّا شهواتهم.

---

(١) أي: فإعطاؤُهُم. الصِّحاح (١٨٢٦/٥).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب النِّكاح، باب لا يَخْطُب على خِطْبَة أَخيهِ حتَّى ينكح أو يدع، رقم (٥١٤٣)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تحريم الظَّنِّ والتَّجسُّس والتَّنافس والتَّناجش ونحوها، رقم (٢٥٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

. . . .

فلا عِلْمَ عندهم صحيح، ولا إرادةَ صحيحة.

فكِلَا الأمرين اللَّذيْن يُوصِلان إلى الصِّراط المستقيم هما: العِلْم، والإرادة، وفساد الإرادة طريق اليهود، ومخالفة العِلْم طريق النَّصارى؛ وكلُّ باطل في الوجود فهو مَبنيٌّ على هذين الأصلين، أو أحدهما: إمَّا فساد العلم، أو فساد الإرادة، أو فسادهما؛ واللَّهُ أخبر عن عَبَدةِ هذه الأوثان أنَّه اجتمع في حَقِّهم الأمران: عبدوها بالجهل، وفساد الإرادة؛ كما أنَّه لا استقامةَ إلَّا لِمَنْ عنده عِلْمٌ صَحيحٌ وإِرادةٌ صَحيحةٌ؛ فلا بُدَّ في الاستقامة من هذين الأمرين: صلاح العِلْم، وصلاح الإرادة.

كلُّ فساد في الوجود إمَّا من فساد العِلم أو فساد الإرادة أو فسادهما

لا استقامةَ إلَّا بصلاح العِلم والإرادة

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الهُدَى هو: مُحمَّدٌ ﷺ الذي جاء بالإسلام المُخْرِج من الظُّلُمَات إلى النُّور، المُشتَمِل على العِلْم الصَّحيحِ المُستقيمِ والإِرادةِ الصَّحيحة.

الإسلام جَمَع بين العِلم الصَّحيح والإرادة الصَّحيحة

ووجهُ مطابقة الآيات للتَّرجمة: أنَّ المشركين - قريشاً وأَضرابَهم؛ ثَقِيفاً، والأَوْس، والخَزْرَج - يقصدون هذه الأوثان من دون اللَّه، ومن جُمْلة ما يَصدُر منهم إذا قصدوها أنَّهم يرجون منها البركة - أنْ تُبارِك لهم في نفائس أموالهم ومرضاهم -، ومن المعلومِ أنَّ رجاءَ البركةِ منها شرك أكبر؛

وجه مطابقة الآيات للتَّرجمة

. . . .

فعَلِمْنَا: أنَّ مَنْ تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ أنَّه يكون مشركاً الشِّرك الأكبر.

خطأ مَنْ أجاز التَّبرُّك بآثار الصَّالحين قياساً على التَّبرُّك بشَعَر النَّبيِّ ﷺ

وهنا مسألة، وهي: أنَّ بعضَ شُرَّاح الحديث[(١)] يذكر أنَّه لا بأس بالتَّبرُّك بآثار الصَّالحين، إذا مَرُّوا بذكر شَعَر النَّبيِّ ﷺ.

وهذا غَلَطٌ ظاهر، لا يُوافِقُهم عليه أهل العِلم الحَقِّ:

الأدلة على أنَّ هذا خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ

- وذلك أنَّه ما وَرَدَ إلَّا في حَقِّ النَّبيِّ ﷺ[(٢)].

لم يَتَبرَّك أحد من الصَّحابة بجسد الخلفاء الرَّاشدين

- وأبو بكر وعمر وذو النُّورَيْن عثمان وعليٌّ، وبَقيَّةُ العَشَرة المُبشَّرة بالجَنَّة، وبَقيَّةُ البَدْرِيِّين، وأهلِ بَيْعَة الرِّضوان[(٣)] رضي الله عنهم، ما فَعَلُوا هذا مع واحدٍ منهم، أفيكون منهم نَقْصٌ في تعظيم الخلفاء

---

(١) كابن بطَّال وابن عبد البَرِّ والنَّوويِّ وغيرهم. شرح صحيح البخاريِّ لابن بطَّال (٢/ ٧٧)، الاستذكار (٤/ ٤٠٦)، شرح النَّوويِّ على مسلم (١/ ٢٤٤).

(٢) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى مِنىً، فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنىً وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ: خُذْ، وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ»، وفي لفظ: «فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ، فَوَزَّعَهُ الشَّعَرَةَ وَالشَّعَرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ بِالأَيْسَرِ، فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ» رواه مسلم، رقم (١٣٠٥).

(٣) وهي: البَيْعَة التي حَدَثَتْ في ذي القَعدة من السَّنَة السَّادسة للهجرة النَّبويَّة تحت الشَّجرة، وفيها بَايَع الصَّحابة رسول اللَّه ﷺ على أن لا يَفِرُّوا، بعد أنْ شَاعَ قتل قريش لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وقد أثنى اللَّه تعالى على أهلها. جوامع السِّيرة (ص١٦٦)، الرَّوْض الأُنُف (٧/ ٥١).

. . . .

التَّعظيم اللَّائق بهم، أو أنَّهم لا يلتمسون ما ينفعهم؟! فاقتصارهم على النَّبيِّ ﷺ يدلُّ على أنَّه من خصائص النَّبيِّ ﷺ، وهي بركة جَعَلها اللَّه في النَّبيِّ ﷺ، كما جَعَلها لبعض المخلوقات.

حاصل أوجه الرَّدِّ على مَنْ أجاز التَّبرُّك بآثار الصَّالحين

والمقصود: أنَّ بعضَ المُؤَلِّفين قال: إنَّه لا بأس بالتَّبرُّك بآثار الصَّالحين - وهو مُحمَّد بن سالم البَيْحَانيُّ[(١)] -؛ وتَفْهَمُ أولاً: أنَّه غَلَطٌ، وأنَّه لا دلالة في القصَّة[(٢)]؛ للفَرْقِ بين الرَّسول ﷺ وغيره.

والثَّاني: عدم فعله مع الذين عرفناهم.

والثَّالث: أنَّه لو أُذِن فيه على وجه البركة من غير اعتقاد ذاتيٍّ فهو سبب، ويُوقع في التَّعلُّق على غير اللَّه في أكبرَ من هذا، والشَّريعَة جاءت بسدِّ أبواب الشِّرك.

---

(١) الصَّارم القرآني للبَيْحَانيِّ (ص٢١٨، ٥٨٩-٥٩٠).
والبَيْحَانيُّ هو: مُحمَّد بن سالم البَيْحَانيُّ الكَدَادي، ولد سنة (١٣٢٦هـ)، تعلَّم القرآن الكريم على والده، ثمَّ دَرَس الفقه على أجلَّة من مشايخ بيحان، ودرس علوم الدِّين واللُّغة العربيَّة على عدد من العلماء، توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٣٩١هـ). معجم البابطين للشُّعراء العرب المعاصرين (رقم٦٣٧٣).

(٢) أي: في قصَّة تبرُّك الصَّحابة بشَعر النَّبيِّ ﷺ لمَّا حلقه في الحَجِّ وأعطاه النَّاس.

. . . .

ومُؤَلَّفُه[١] جيِّد ونافع، وكلٌّ يُؤخَذ من قوله ويُترَك، والأوجُه التي بيَّنتْ لك هذا الشَّأن بيِّنةٌ واضحة لك.

(١) أي: كتاب البَيْحَانيِّ وهو: «الصَّارم القرآني».

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ،

(عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ) يعني: في غزوة حُنَيْن المذكورة في قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ الآية، وذلك بعد الفَتْح قريباً من شهر.

التَّعريف بـ«حُنَيْنٍ»

و(حُنَيْنٌ) مَوْضِعٌ في أَعْلَى مكَّة، قريب من الشَّرائع[1].

اعتذر أبو واقدٍ رضي الله عنه بأنَّ ما صَدَر منهم بسبب الجهل

(وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) يعني: قريبٌ عهدنا بالكفر، قال ذلك أبو واقد رضي الله عنه على وجه الاعتذار عمَّا صَدَر من هذا الجهل واستحسانِ ذلك الشِّرك، يشير إلى أنَّ استحسانَنا وسؤالَنا النَّبيَّ ﷺ أنَّا حُدَثَاء عهد بكفر، ولم نفهم ونعلم حقيقة ما بُعِثَ به النَّبيُّ ﷺ كالمُتقدِّمين؛ لأنَّه من مُسْلِمَة الفَتْح.

وفي هذا ما يُفيدُ ما قَرَّره المُصَنِّف في المسائل[2]: **(أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ)**.

---

(١) حُنَين: وادٍ شرقَ شمالِ مكَّة، وموضع الغزوة يبعد عن مكَّة ثلاثين (٣٠) كيلومتراً، ويُسمَّى اليوم: «الشَّرائع العليا» - شرائع النَّخيل -. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٤٣٧)، معجم البلدان (٢/ ٣١٣)، معجم ما استعجم (٢/ ٤٧١)، معجم المعالم الجغرافيَّة (ص١٠٧).

(٢) في المسألة الثَّانية والعشرين من مسائل هذا الباب (ص٤٤٩).

وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ،

مَنْ طالت صُحْبَتُه للنَّبيِّ ﷺ لم يسأل ما سَأَله مَنْ قَرُب عهده بالكفر

ويُفهَم أنَّ غيرَهم لا يجهل ذلك؛ ولهذا ما سألوا ذلك الشَّيء الذي لا يجوز ولا استحسنوه؛ بل عرفوا - من أجل طول صحبتهم - من النَّبيِّ ﷺ أنَّه من الشِّرك.

(وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ) يعني: شَجرةَ سِدْر - هذا السِّدْر المعروف -.

العُكُوف لُغةً

(يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا) العكوف لغة هو: الإقامة واللُّبث[1]، ومنه: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾، ومنه: البقاء في المسجد لطاعة اللَّه والتماس مرضاته.

والاعتكاف والعكوف شيءٌ واحد، إلَّا أنَّ الاعتكافَ «افتعال»، و«افتعل» أبلغ من «فعل».

العُكُوف: الإقامة واعتقاد البركة ورَجاؤُها

(يَعْكُفُونَ) يَلْبَثُون ويُقِيمُون عندها، واعتقادُ البركة فيها، ورَجاؤُها منها؛ وبهذه الثَّلاثة الأمور عُبِدَت الأشجار والأحجار، وصارت أوثاناً تُعبَد من دون اللَّه.

تعليق أَسْلِحَتِهم على السِّدْرة رجاء البركة منها

(وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ) لأجل البركة.

سبب عبادة الأشجار والأحجار ثلاثة أمور: العُكُوف واعتقاد البركة ورَجاؤُها

فهذه ثلاثة:

- العكوف، وذلك عبادة.

---

(١) تاج العروس (٢٤/ ١٨٠).

. . . .

- واعتقاد البركة[(١)]، فإنَّها لا تُعتقَد البركة إلَّا من اللَّه؛ فإنَّ اللَّهَ هو المبارِك والمتبارِك، وعَبْدُه هو المُبارَك إذا كان فيه بركة - وضع اللَّه فيه شيئاً من البركة -.

- والثَّالث: رجاء تلك البركة التي اعتقدها فيها.

العُكُوف عند القبور عبادة ووسيلة لعبادة أخرى

فإنَّ العكوف عبادة؛ ومنه:

- ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾، لم يذكر عنهم إلَّا العكوف.

- ومنه قصَّة اللَّات: «فَمَاتَ؛ فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ»[(٢)]؛ يعني: عَبَدُوه.

- ومنه في تفسير ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قصَّة وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ[(٣)]؛ وسبب عبادة قبورهم من دون اللَّه: أنَّ مِنْ ذلك أنَّهم تردَّدوا أوَّلاً على قبورهم، ثمَّ لَمَّا تعبوا لزموا قبور أولئك، فكان عبادة.

صنيع أهل السِّدْرَة: العُكُوف والْتِمَاس البركة ورَجاؤُها

وفي هذا: أنَّ أَهلَ هذه السِّدْرة؛ يصدر منهم العكوف، والْتِمَاس البركة، ورجاؤُها، سواء أكان منها ذاتها، أو أنَّها سببٌ وواسطة.

---

(١) وهذا من تعظيمها.

(٢) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (٢٢/٤٨)، عن مجاهد رحمه الله.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، رقم (٤٩٢٠).

يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ؛ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ....

العكوف وسيلة إلى الشِّرك

والعكوف عند القبور عبادة إذا كان يعتقد أنه فضيلة وعمل صالح، ووسيلة إلى عبادةٍ أكبر منه؛ فإنَّه أدنى مراتب عبادة صاحب القبر، ويَجُرُّ إلى عبادته من دون اللَّه؛ فهو شرك.

المسحُ وسيلة إلى الشِّرك

وكذلك التَّبرُّك مثل المسح(١)، هذا شركٌ خَفِيٌّ؛ فإنَّه عبادة، ووسيلة وذريعة إلى الشِّرك.

معنى «ذَاتُ أَنْوَاطٍ» وسبب تسميتها بذلك

(يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ) يعني: تُسَمَّى بهذا الاسم؛ وسُمِّيت بهذا لأجل كثرة ما يُناطُ بها من الأسلحة والثِّياب؛ لأجل أنْ تُصيبَها بركتها.

(فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ) وفي رواية: «خَضْرَاءَ»(٢).

استحسنوا صَنيعَ المشركين وطلبوه من النَّبيِّ ﷺ

(فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ؛ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ) استحسنوا صَنيعَهم وطلبوه من النَّبيِّ ﷺ، من غير عِلْمٍ أنَّه مَحذُورٌ وممنوع، وهم قد أسلموا، لكن لأجل حَدَاثَة عَهدِهم بالكفر.

أنكر النَّبيُّ ﷺ عليهم طلبهم وغلَّظ عليهم الإنكار

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) مُنكِراً عليهم ومُغلِّظاً الإنكار، مع

---

(١) أي: المسح المُجَرَّد من غير طلب البركة.
(٢) رواها أحمد في المسند، رقم (٢١٨٩٧).

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، . . . .

أنَّهم جُهَّال وأهل مقاصد حسنة، ما جعل ذلك عذراً؛ فإنَّ أُمورَ الشِّرك حقيقةٌ بأنْ يُغلَّظ فيها فوق جميع المُحرَّمات.

معنى «اللَّهُ أَكْبَرُ»

(اللَّهُ أَكْبَرُ!) تعظيماً وتنزيهاً للَّه سبحانه عمَّا لا يليق بجلاله وعظمته، وممَّا لا يليق بجلاله وعظمته أن يُتَّخذ شجرة يُطلَب منها البركة.

«اللَّهُ أَكْبَرُ» هنا من صِيَغ التَّعجُّب الإنكاري

فأنكر النَّبيُّ ﷺ عليهم، وهم جَهَلَة، قَصْدهم بذلك - ذاك الحين - الخير، فأنكر وغَلَّظ ﷺ؛ بقوله: (اللَّهُ أَكْبَرُ!)، فهذه من صِيَغ التَّعجُّب، تارة من نوع التَّعجُّب الاستحسانيِّ، وتارة من التَّعجُّب الإنكاريِّ؛ بدليلِ السِّياق.

(إِنَّهَا السُّنَنُ) جَمْع سُنَّة، والسُّنَّة: الطَّريقة[1].

سُنَنٌ في الأمم السَّالفة لا تزال مَوْرُوثَة في هذه الأُمَّة

يعني: أنَّكم سَلَكْتُم الطُّرق المَذمُومة؛ كما سَلَكَ الذين مِنْ قبلكم السُّنَن المَذمُومة، فهذه السُّنَنُ التي لا تزال مَوْرُوثَة، لا تخلو من سالكٍ وسائرٍ فيها، كما في الحديث: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[2]، ومثل ما في الآية: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

(١) لسان العرب (١٣/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ. . . . .

أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

المعنى: أنَّ الآخِرين يفعلون نظير ما فعله الأوَّلون، وهو معنى ونظير: «لِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثٌ»[١]، يعني: أنَّ جادَّةَ[٢] الباطلِ والضَّلالِ السَّوداءَ يسلكها آخِرون كما سَلَكَها الأوَّلون؛ وهذا ذمٌّ لهم.

حَلَفَ ﷺ لمزيد التَّحذير لأُمَّته أن يفعلوا مثل هذا الصَّنيع

(قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) أخبر ﷺ، وهو الصَّادق المصدوق وإن لم يَحْلِف، ولكنَّ حلِفَه مزيد تأكيد؛ لمزيد التَّحذير والتَّنفير لأُمَّته من هذا الصَّنيع أن يفعلوا مثله.

والحَلِفُ ثَبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه حَلَفَ في أكثر من ثمانين موضعاً[٣]، وحَلِفُه ليس من أجل أهل الإيمان ليُصَدِّقوه؛ بل لمزيدِ التَّحذير، كمالاً للنَّصيحة والشَّفقة على أُمَّته، وإلَّا فالأَيْمَان أصلُها أن لا تُستَعْمَل؛ ولهذا قيل[٤]:

---

(١) هذه مقولة اشتُهِرت، ولا يُعرَف قائلُها، وقد ذكرها الشَّيخ سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩هـ) في كشف الشُّبهتَيْن (ص٧٤)، وكشف الأوهام والالتباس (ص٥٥).

(٢) الجادَّة: الطَّريق المستقيم الواضح. تهذيب اللُّغة (١٠/ ٢٤٧).

(٣) إعلام الموقِّعين (٦/ ٥٤).

(٤) القائل: كُثَيِّر عزَّة. اللُّباب في علوم الكتاب (٤/ ٩٨).

كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، . . . .

قَلِيلُ الأَلَايَا[١] حَافِظٌ لِيَمِينِهِ فَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ

وإنَّما حُفِظ عنه هذه لأجلِ كمالِ نُصحِه أمَّته، وعظيم ضرر الشِّرك وسوء عاقبته.

تشبيه النَّبيِّ ﷺ مقالتهم بمقالة بني إسرائيل دليلٌ على أنَّه شرك أكبر

(كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾) شبَّه ﷺ مقالتهم: **(اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ)** بمقالة بني إسرائيل؛ فدَلَّ ذلك على ما تقدَّم أوَّل التَّرجمة أنَّ ذلك من الشِّرك الأكبر؛ لحَلِفِه أنَّ هذا نظير قول بني إسرائيل لموسى حين مَرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ﴾؛ فدَلَّ على أنَّه من الشِّرك الأكبر.

العبرةُ في الأشياء بحقائقها

ودَلَّ على أنَّ العبرةَ في الأشياء بحقائقِها، لا بصورِها الظَّاهرة، فإنَّ المشرك مشركٌ وإنْ سَمَّى شِرْكَه ما سمَّاه؛ ولهذا جاء: «أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»[٢]، فأَهلُ هذا الزَّمان يُسَمُّون الشِّرك بغير اسمه؛ فيقولون: تَوسُّلٌ، واسْتِشْفَاعٌ.

---

(١) الأَلَايا: جمع أَلِيَّة، وهي: الحَلِف. لسان العرب (١٤/ ٤٠).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٢٩٠٠)، من حديث أبي مالك الأشعري ﵁، ولفظه: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا».

لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» . . . .

نعم، هو تَوسُّلٌ واسْتِشْفَاعٌ؛ لكن هو تَوسُّلُ المشركين واسْتِشْفَاعُهم.

تصوُّر الحَقِّ باطلاً من فساد العقل

ويقولون: إنَّهم وسائط، ويَزعُمُون أنَّهم إذا جعلوا الوسائط بينهم وبين اللَّه قرَّبوهم إلى اللَّه، وأنَّهم قومٌ صالحون، وهذا هو الشِّرك - والعياذ باللَّه -، وهذا بعينِه هو إسلام أبي جهل وأضرابه، وعكسوا الإسلام ونكَّسوه[١]، وضادُّوا التَّوحيد، واستنكروا التَّوحيد، وعَادَوُا الرَّسول ﷺ، فتصوَّروا الحَقَّ باطلاً؛ وذلك لفساد عقولِهم وأمزجتِهم[٢].

الخبر المُؤَكَّد لتأكيد التَّغليظ

(«لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ») يعني: طُرُقَ مَنْ كان قبلكم.

أخبر ﷺ هذا الخبر المُؤَكَّد بأنواعٍ من التَّأكيد - وهو لام القسم، ونون التأكيد -؛ بأنَّ هذه الأُمَّة تَسلُك سُنَنَ مَنْ كان قبلها.

وهذا من أعلامِ نُبوَّتِه ﷺ؛ فإنَّه أخبر بوقوع هذا في الأُمَّة، فوقع كما أخبر.

ثلاث تغليظات في الإنكار

فهذه ثلاث تغليظات، أشار إلى ذلك المُصَنِّف[٣]:

(١) أي: قَلَبُوه على رَأْسِه. الصِّحاح (٣/ ٩٨٦).
(٢) مزاج البَدَن: ما رُكِّب عليه من الطَّبائع. الصِّحاح (١/ ٣٤١).
(٣) في المسألة السَّابعة من مسائل هذا الباب (ص٤٤٣).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

- (**اللَّهُ أَكْبَرُ!**) إنكار.
- (**إِنَّهَا السُّنَنُ**) إنكار.
- وخبرٌ معناه الذَّمُّ: (**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**).

وجه مطابقة الحديث للتَّرجمة

فظهر أنَّ مَنْ تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوِهما أنَّه مشرك الشِّرك الأكبر بيمين النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ قولَهُم: (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**) نظير قول بني إسرائيل لموسى: (﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾)، فكما أنَّ ذاك من الشِّرك الأكبر في حَقِّ بني إسرائيل فكذلك هذا، ولكنَّه أصغرُ بالنسبة إلى مُجَرَّد الاستحسان والسُّؤال؛ أمَّا الوقوع والفعل فإنَّه من الشِّرك الأكبر.

(**رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ**[1] **وَصَحَّحَهُ**).

حاصل ما تقدَّم

فالحاصل: أنَّ مُرادَه الشِّرك الأكبر من التَّرجمة.

والشَّاهد من الآية: أنَّ المشركين يقصِدون هذه الأوثان، ويتبرَّكون بها من دون اللَّه، وأنَّ تبرُّكَهم بها شرك أكبر.

فالتَّبرُّك بقبور الصَّالحين كالتَّبرُّك باللَّات، والتَّبرُّك بالأشجار كالتَّبرُّك بالعُزَّى، والتَّبرُّك بالأحجار كالتَّبرُّك بمَنَاة.

---

(١) أبواب الفتن، باب ما جاء لَتَرْكَبُنَّ سُنَن مَنْ كان قبلكم، رقم (٢١٨٠).

. . . .

ومن الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أنكر عليهم مقالتهم، وأنَّها شرك.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ؛ . . . .

(فِيهِ مَسَائِلُ):

(الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ): ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾.

حقيقة طلب الصَّحابة

(الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا) فإنَّ فِقهَ الحديث إنَّما يظهر حقيقةً بمعرفة صورة الأمر الذي طلب أولئك الصَّحابة، وأنكره ﷺ عليهم الإنكار الغليظ.

حَسِبوا أنَّ طلبهم لا يدخل في الشِّرك

حقيقته: أنَّهم استأذنوا الرَّسول ﷺ في أنْ يُعَيِّن لهم أو يَأْذَن لهم في سِدْرة يُعلِّقون عليها أسلحتهم، لم يستأذنوه في دعائها؛ فإنَّه لا يُشكِل عليهم، لكن طلبوا أَمْراً حَسِبوا أنَّه لا يدخل في الشِّرك؛ فإذن عَرَفْتَ حقيقة ما طلبوا، وعَرَفْتَ الإنكار عليهم.

الصَّحابة طَلَبُوا ولم يَفْعَلُوا

(الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا) إنَّما طلبوا واستحسنوا، والفعل وَقَفُوه على إذن الرَّسول ﷺ، ولم يفعلوا.

طلب الصَّحابة أمراً قَصَدوا به التَّقرُّب إلى الله لظَنِّهم أنَّه يُحِبُّه

(الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ) ما قَصَدوا

لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالوَعْدِ . . . .

إلَّا خيراً، ما قَصَدوا الذي يقصِده أهل الشِّرك.

ومن المَعلومِ أنَّه لا يُظَنُّ بأحدٍ من الصَّحابة أنَّهم يطلبون أمراً يعلمونه مُحَرَّماً، من المَعلومِ أنَّ مَنْ دونهم - من أهل الفضل والعلم والخشية للَّه - لا يرغب في ذلك.

وأيضاً يستفاد: أنَّه ليس مباحاً مُستوِيَ الطَّرفَيْن، فمثله لا يسألونه.

فلا ظَنُّوا أنَّه حرام، ولا أنَّه مباح مُستوي الطَّرفَيْن؛ فصار ما طلبوا أمراً قصدوا به التَّقرُّب إلى اللَّه؛ (لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ).

غير الصَّحابة أَوْلَى بجهل الأمور الشِّركيَّة

(الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالجَهْلِ) فلا يُستنكَر جهل كثيرٍ من النَّاس أُموراً شِرْكيَّة وقعوا فيها، أو أَوْقَعُوا أو غَرُّوا النَّاس فيها، ولا قَبَّحُوا أمرها، فغير الصَّحابة أَوْلَى أنْ يخفى عليهم؛ لِمَا بين الصَّحابة وبين غيرهم من العلم والفضل.

الصَّحابة لهم حسنات وموعودون بالمغفرة

(السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ) الماحية للسَّيِّئات، (وَالوَعْدِ

بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ؛ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»؛ فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.

الثَّامِنَةُ - الأَمْرُ الكَبِيرُ، وَهُوَ المَقْصُودُ -: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلِبَتَهُمْ........................

بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ) ما ليس لِمَنْ بعدهم.

النَّبيُّ ﷺ لم يعذرهم في الإنكار

(السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ) في ذلك؛ بل أنكر وغَلَّظ الإنكار.

فإذا عَرَفْتَ صورة الأمر الذي طلبوا، وأنَّهم أهل فضل، وأنَّهم ظَنُّوا أنَّه يُحِبُّه اللَّه، وأنَّه على وجه الاستحسان، ومع ذلك غَلَّظ ولم يعذرهم؛ **(بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ)** مع وجود هذه الأمور واجتماعها؛ بل أنكر إنكاراً مُغَلَّظاً بهذه الثَّلاث **(بِقَوْلِهِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ)** مع كون الأمر على ما تقدَّم.

النَّبيُّ ﷺ أنكر عليهم إنكاراً مُغلَّظاً

فهو يُنكَر عليه ويُغَلَّظ، إنَّما العذر في عدم الإثم بالجهل؛ فإنَّ في هذه القِصَّةِ أنَّ هؤلاء حُدَثَاء عَهْدٍ بالشِّرك.

الأمر المقصود من التَّرجمة

(الثَّامِنَةُ - الأَمْرُ الكَبِيرُ، وَهُوَ المَقْصُودُ) يعني: في التَّرجمة -: **(أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلِبَتَهُمْ)** قولهم: **(اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ؛ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ**

كَطَلِبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

أَنْوَاطٍ) (كَطَلِبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾)؛ فدَلَّ على أنَّ التَّبرُّكَ بالأشجار والأحجار شرك أكبر كالتَّبرُّك بالآلهة، فإنَّه[١] نَوعٌ من أنواع عبادة الأوثان، فإنَّها أنواع؛ أحدها: أنَّهم يرجون البركة - يأتون بأسلحتهم ودوابِّهم عنده[٢] رجاء البركة -؛ هذا معنى قول المُصنِّف: (وَهُوَ المَقْصُودُ).

إبطالُ اتِّخاذ ذات أنواطٍ مِنْ مَعْنَى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

(التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا) أنَّ نفيَ وإبطالَ أنْ يُتَّخذ ذاتُ أنواطٍ **(مِنْ مَعْنَى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»)** أنَّ هذا من الشِّرك الذي أَبْطَلَتْه «لا إله إلَّا اللَّه»، **(مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ)** خفي عليهم، وسألوه واستحسنوه، فَغيرُهم بطريق الأَوْلَى.

حَلِفُ النَّبيِّ ﷺ لمزيد التَّحذير

(العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا) لِمُجرَّد تأكيدٍ فقط؛ **(وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ)** والمصلحة هنا: التَّهديد، ومزيد التَّحذير

---

(١) أي: التَّبرُّك.

(٢) أي: عند مَنْ قصدوه.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»؛ فِيهِ أَنَّ

والتَّنفير من هذه الأمور.

مراد المُصَنِّف بقوله: إن الشِّرك فيه أكبر وأصغر

(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ) لا يُفهَم منه أنَّ مُرادَ المُصَنِّف أنَّ التَّبرُّكَ بالأشجار والأحجار شرك أصغر؛ بل هو شركٌ أكبر، لكن الشِّرك الأصغر هو سؤالهم واستحسانهم، لا الفعل نفسه.

لم يرتدُّوا لأنَّ الطَّلَب شرك أصغر

فمُرادُه: طلبهم واستحسانهم، فهو من الأصغر؛ **(لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا)** بدليل عدم تكفير النَّبيِّ ﷺ إيَّاهم بذلك.

والمُصَنِّف صَرَّح في «الكشف»[1] أنَّهم لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لَكَفَرُوا.

التَّبرُّكُ بالأشجار والأحجار شرك أكبر

فمُرادُه ومَقصدُه بالتَّرجمة: أنَّ التَّبرُّكَ بالأشجار والأحجار من الشِّرك الأكبر، وعبادة الأشجار والأحجار: بالتَّبرُّك بها، والعكوف عندها.

مَنْ صَحِبَ النَّبيَّ ﷺ طويلاً يعلم أنَّ اتِّخاذ ذَات أَنْوَاط شرك أكبر

(الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»؛ فِيهِ أَنَّ

---

(١) أي: كتاب «كشف الشُّبهات» - نسخة الحواشي - بتحقيقنا (ص١٢٦).

غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، خِلَافاً لِمَنْ كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

(غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ) بدليل أنَّه لم يَخْفَ إلَّا على هؤلاء الحُدَثاء.

التَّكبير عند التَّعجب والإنكار

(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ) أو الإنكار، (خِلَافاً لِمَنْ كَرِهَهُ)، فالمُصَنِّف أتى به لبيان أنَّه يجوز للإنكار كغيره.

سَدُّ الذَّرائع فلا حَسَنَ إلَّا ما حَسَّنه الشَّرع

(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ) عند الصَّحابة ﷺ، فإنَّه لا يكون شيءٌ مُقَرِّباً[1] بالظَّنِّ، فعندهم أنَّه ليس بحَسَن إلَّا إنْ حَسَّنه الرَّسول ﷺ، ولذلك لم يفعلوه.

النَّهي عن التَّشبُّه بأهل الجَاهليَّة

(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ) كتابيِّين أو غير كتابيِّين، ففي الحديث: النَّهي عن التَّشبُّه بهم، سواء كانوا كتابيِّين أو أُميِّين.

الغضب عند التَّعليم

(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ) فإنَّه ﷺ غضب عند هذا.

---

(١) إلى اللَّه ﷻ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللَّهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ؛ أَنَّهُ لَنَا.

العِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ: أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ. . . . .

توارث السُّنَن المذمومة

(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ») يعني: المذمومة، التي لا تزال يعمل بها الآخِر عن الأوَّل، وهذا معنى: «لِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثٌ».

عَلَمٌ من أعلام النُّبوَّة

(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ) لكون النَّبيِّ ﷺ أخبر بذلك، فوَقَع كما أخبر؛ فكان فيه الدَّلالَة على أنَّه رسول اللَّه حَقّاً.

ما فيه ذمٌّ لليهود والنَّصارى فهو تحذيرٌ لنا

(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللَّهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ؛ أَنَّهُ لَنَا) أنَّ المُرادَ نحن؛ لئلَّا نَصنعَ ما صنعوا، فيُفعَل بنا ما فُعِل بهم.

استنباط «مَنْ رَبُّكَ؟» من الحديث من أحد أمرَيْن

(العِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ: أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ) فإنَّ العَبدَ يُسأَل عنها، والحديث مُشتَمِلٌ على جوابِهم.

أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّكَ» فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا «مَا دِينُكَ» فَمِنْ قَوْلِهِمُ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا...﴾ إِلَخْ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ؛ كَسُنَّةِ

الأمر الأوَّل

(أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ» فَوَاضِحٌ) فإنَّهم يعرفون الرَّبَّ ولا يُشْكِل عليهم ذلك.

فمَنْ ربُّك: مَنْ إِلَهُك؛ فهم يعرفون الرُّبوبيَّة، وهي دليل على الأُلوهيَّة.

الأمر الثَّاني

أو مِنْ قوله: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)** أثبتت الرُّبوبيَّة، والرُّبوبيَّة تُثبت الإِلَهيَّة.

استنباط «مَنْ نبيُّك؟» من الحديث: مِن إخباره بالغيب ووُقوعِه

(وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّكَ» فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ) أخبر أنَّها تَسْلُك سبيل مَنْ قبلها من الأمم فوقع كما أخبر، فكان في ذلك الشَّهادة أنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه، المعنى: أنَّ جوابَها يُؤخَذ إشارة.

استنباط «مَا دِينُكَ؟» من الآية

(وَأَمَّا «مَا دِينُكَ» فَمِنْ قَوْلِهِمُ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا...﴾ إِلَخْ) والتَّديُّن هو: التَّعبُّد والتَّألُّه، فإنَّ العبادات مبناها على الأمر، ذلك لأنَّهم لم يفعلوه حتَّى يستأذنوه، يعني: أنَّ أَمْرَ العبادات تَوقيفيٌّ.

دين أهل الكتاب إمَّا مُحرَّف أو مَنسُوخ

(الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ؛ كَسُنَّةِ

الْمُشْرِكِينَ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

(الْمُشْرِكِينَ) فإنَّه حَصَل في دينهم التَّبديل والتَّحريف، فسُنَّتهم التي بدَّلوا هذه مَذمُومَة مُطْلقاً، وأمَّا ما فيها من حَقٍّ فهو مَنسوخٌ بالشَّرع المُحمَّديِّ.

جميع الشَّرائع آمِرَة بعبادة اللَّه وحده

وأيُّ شريعةٍ فهي آمرة بعبادة اللَّه وحده والإخلاص، وأن لا يُفعَل شيء ابتغاء وجه أحد، أو يتركه لأجل أحد؛ فهو شرك.

مُفارَقة العَوائِد صعب

(الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ) ونَشَأَ عليه (لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ)؛ لأنَّ مُفارَقة العوائد صعب، (لِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»).

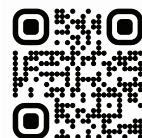


تَمَّ الجُزْءُ الأَوَّلُ بِحَمْدِ اللهِ

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ



مؤسَّسة طالب العلم للنَّشر والتَّوزيع
+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨



دار الدليقان للنَّشر والتَّوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع +٩٦٦٥٠٦٠٩٠٤٤٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٤٤٣٥-٣